

العلاقات غير المشروعة



بطاقة الفهرسة

العتبة الحسينية المقدسة (النجف، العراق). مؤسسة الخلق العظيم - مؤلف.

العلاقات غير المشروعة/ تأليف: مؤسسة الخلق العظيم، الشيخ إسكندر الجعفري، الشيخ
زياد الساعدي. - الطبعة الأولى. - النجف، العراق: العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة الخلق
العظيم، ٢٠٢٣م / ١٤٤٥ للهجرة.

٢٧٠ صفحة؛ ٢١ سم. - (العتبة الحسينية المقدسة ؛ ١٢١٠)، (مؤسسة الخلق العظيم؛ ١٧)،
(الفضائل والردائل؛ ٥).

يتضمن هوامش، لائحة المصادر (الصفحات ٢٤٩ - ٢٦١).

١. الإسلام والجنس. ٢. العلاقات الجنسية - جوانب اجتماعية. ٣. العلاقات الجنسية -
جوانب دينية (الإسلام).

أ. الساعدي، زياد - مؤلف. ب. الجعفري، إسكندر - مؤلف. ج. العنوان.

رقم التصنيف LC: BP190.5.S4 J34 2023

تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة.

العلاقات غير المشروعة

لجنة التأليف

الشيخ إسكندر الجعفري
الشيخ زياد الساعدي

الإشراف العلوي

المجلس العلمي في مؤسسة الفقه

الإصدار ١٧



جميع الحقوق محفوظة
للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٣ م

إصدار

مؤسسة الخلق العظيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هوية الكتاب

- عنوان الكتاب: العلاقات غير المشروعة
- المؤلف: مؤسسة الخلق العظيم
- الإشراف العلمي: اللجنة العلمية في مؤسسة الخلق العظيم
- الناشر: العتبة الحسينية المقدسة
- تقويم النصّ: وحدة تقويم النص والتدقيق اللغوي
- الإخراج الفني: محمّد شوكت
- الطبعة: الأولى
- المطبعة: دار المؤمن
- سنة الطبع: ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م
- عدد النسخ: ٥٠٠

مقدمة المؤسسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين
محمد وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد؛ فقد كانت الأخلاق ولا تزال هاجساً مهماً، يشغل مساحةً واسعة من
الفكر الإنساني على اختلاف اتجاهاته ومصادره المعرفية، وقد اشتركت في حمل هذا
الهمم الكبير مختلف المدارس الفكرية والديانات والحضارات، وسعت في معالجته
على وفق رؤاها المتفاوتة ومبانيها المختلفة. ويدلّل هذا الاهتمام البالغ على حقيقة في
غاية الأهمية، وهي أنّ الجانب الأخلاقي لدى أبناء البشر عصيّ على الإهمال
والتجاهل، وأنّ أيّ محاولة لتجاهل هذا البعد المحوري والفطري، أو التغافل عنه
ليست إلّا محاولة لضبط بركانٍ هائج، أو السيطرة على ثورة عارمة في أعماق
الإنسان تسوقه إلى ما يرى فيه خيره وسعادته وكماله، وهذا ما يدعو إلى التفكير في
هذا الميل الفطري الجارف نحو الأخلاق؛ للإحاطة به والاطلاع على دقائقه
وخفاياه، والعمل على معالجته نظرياً وعملياً.

إنّ التأمل فيما تعيشه البشرية - اليوم - من أزمات مختلفة على مستوى
المجتمعات والأفراد يؤكّد حقيقةً مهمّة؛ وهي أنّ قسطاً كبيراً من تلك الأزمات

يعود إلى وجود فراغات كبيرة في المجال الأخلاقي، أخذت تنعكس سلباً على الجانبين الروحي والسلوكي للإنسان المعاصر، وقد كان لمجتمعاتنا الإسلامية نصيبٌ من تلك الأزمات المتعددة الجوانب، فأثّرت بشكلٍ كبيرٍ في التراجع الأخلاقي الملحوظ، ولا سيّما مع ملاحظة مدى التعقيد الذي تتسم به التحديات الراهنة، وما تحمله الحياة المعاصرة من تغيّراتٍ مهمّة، وانفتاحٍ غير مسبوقٍ على الأفكار والثقافات والأنماط السلوكيّة المختلفة في ظلّ الثورة المعلوماتيّة، والتنوّع المذهل في وسائل الإعلام والتواصل. فلا ريب في أنّ ملاحظة ما مرّ ذكره تدعو المهتمّين بالشأن الفكري والثقافي إلى وضع الحلول المناسبة، والعمل الجادّ في سبيل مواجهة هذه الأزمات ومعالجتها على المستويين: النظري والعملي، من خلال التأسيس لرؤية أخلاقيّة شاملة، تقوم في جانبها النظري على الوعي التام والدقيق بطبيعة الإنسان، وأبعاده الوجوديّة، وخصائصه، وميوله، ورغباته، وفي جانبها العملي على إحياء القيم والفضائل الأخلاقيّة بشتّى الطرق والوسائل المتاحة. ولا تخفى حاجة هذا العمل المهمّ إلى جهد مؤسساتي منتظم، تتضافر فيه المساعي والخبرات لمواجهة التحديات، والنهوض بالواقع الأخلاقي للمجتمع المسلم. وقد سعت إلى ذلك (مؤسسة الخلق العظيم) لتكون السبّاقة في هذا المجال. وإليك عزيزي القارئ هذه الإطالة السريعة عليها.

(مؤسسة الخلق العظيم) ودوافع تأسيسها

لقد كان الشعور بالحاجة الملحّة إلى العمل الجادّ في المجال الأخلاقي، من قِبَل القائمين على العمل في العتبة الحسينيّة المقدّسة، حافزاً مهماً لإنشاء

مؤسسة متخصصة، ينصبّ جهدها في إحياء النهج الأخلاقي الإسلامي على المستويين: الفكري النظري، والسلوكي العملي، ونشره وترويجه بين أبناء المجتمع الإسلامي بطرقٍ ونشاطاتٍ مختلفة، فتمخّضت تلك الجهود المباركة عن تأسيس (مؤسسة الخلق العظيم)، التي اشتقّ اسمها من قوله تعالى في كتابه المجيد: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١)؛ تيمناً بما نعت به الجليلُ الأعلى نبيّه الكريم ﷺ بهذه الصفة السامية، على أمل أن تسدّ جزءاً من الفراغ الملحوظ في المجال الأخلاقي.

رؤية المؤسسة

تنطلق المؤسسة من الرؤية الإسلامية للأخلاق، وتبنّي استراتيجيةً عامّةً تقوم على ثلاثة عناصر أساسيّة يمكن أن نُعبّر عنها بـ(الأسس الميتافيزيقية للأخلاق)، وهي:

أولاً: فطريّة الميل الأخلاقي والهيّته

تنطلق الرؤية الأخلاقية الإسلامية من مبدأ التوحيد، والإيمان بالله تعالى وصفاته وأفعاله، وتبني على أنّ الله تعالى قد أودع في الإنسان ميلاً فطرياً يدفعه نحو الخير وتحصيل الكمال بإرادته واختياره، وتُعدّ الغاية القصوى للأخلاق هي الوصول إلى القرب الإلهي باعتباره الكمال المطلق،

وتكمن السعادة الحقيقية للإنسان في وصوله إلى تلك الغاية والاصطباج بصبغة الله ﴿صَبَّغَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْكَ اللَّهُ صَبَّغَهُ وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ﴾^(١). فالله تعالى هو الموجد للميل الأخلاقي لدى الإنسان، وهو المقصد والمبتغى الذي يجب على الإنسان التوجه إليه في كل محطّات مسيرته الأخلاقية، وأن يكون التوجه إلى الله عزّ وجلّ هو الروح السارية في كلّ فعاليّاته الأخلاقية.

ثانياً: تكامل النظام الأخلاقي في الإسلام

تعتمد الرؤية الأخلاقية المتبنّاة على أنّ الله تعالى كما أودع في الكون أحسن نظام؛ ليسير فيه كل مخلوق إلى كماله المطلوب، فقد أوجد نظاماً أخلاقياً متكاملًا من شأنه أن يوصل الإنسان إلى الكمال من خلال رسم الهدف الأسمى له، وتعيين طريقه، وبيان العقبات التي تعترض مساره، وعيّن القدوة والمرشد في هذا السير، وهو ما تكفّل ببيانه الدين الإسلامي الحنيف، بل هو من أهمّ الوظائف التي بُعث لأجلها سيّد الرسل ﷺ، فقد روي عنه: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»^(٢). ما يعني أنّ هناك نظاماً أخلاقياً متكاملًا ومنسجماً مع فطرة الإنسان، تكفّلت ببيانه الرسالة الإسلامية؛ فيتحتّم علينا التعرّف عليه، واستكشاف ركائزه وتعاليمه، والعمل على نشرها وترويجها والتثقيف عليها بمختلف الوسائل والأساليب.

(١) البقرة: آية ١٣٨.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٢١٠.

ثالثاً: محورية الإنسان في الأخلاق

يُشكّل الإنسان المحور في السجل الأخلاقي؛ فهو الموضوع الذي تدور حوله كلّ الجهود والفعاليات الأخلاقية، بكلّ ما يمتلكه من خصائص وجودية، ونفسية، وطبيعية، وعقلية، وميتافيزيقية، وما له من احتياجات ورغبات وميول، وكلّ ما يؤثّر في اتصافه بالصفات الأخلاقية، وفي صدور الأفعال الاختيارية عنه. ومن الواضح أنّ كل محاولة تهدف إلى تهذيب الأخلاق الإنسانية يجب أن تنطلق من رؤية صحيحة وواضحة ومتكاملة في طبيعة تلك الخصائص والميول والمؤثرات. ونعتقد - جازمين - أنّ الرؤية الأخلاقية الإسلامية تتوفر على قراءة واقعية ودقيقة وتامة وشاملة، تغطّي العناصر المهمة والأساسية في وجود الإنسان وطبيعته وخصائصه وميوله، وكلّ المؤثرات في مسيرته الأخلاقية.

وما ذكرناه - آنفاً - لا يمنع من الانفتاح على العلوم والمعارف المهمة بدراسة الإنسان وشؤونه وأبعاده المختلفة، ولا سيّما مع التطوّر الكبير الذي شهدته تلك العلوم وتخصصاتها الدقيقة، كالعلوم الطبيعية والإنسانية؛ من قبيل علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، وعلم النفس (السيكولوجيا)، وعلم الاجتماع (السيكولوجيا)، وعلم التربية وغيرها، إذ يُمكن الاستفادة من معطيات تلك العلوم والمعارف في المجالات التي تصبّ في سبيل تحصيل الوعي بخصائص الإنسان، والاطّلاع على الوسائل المؤثرة في التربية

والتهديب، شريطة أن لا تتصادم مع الأسس العقائدية، ولا تتنافى مع المبادئ والقيم الأخلاقية والتعاليم التربوية الإسلامية.

أهداف المؤسسة

تجدر الإشارة - في سياق الحديث عن مؤسسة الخلق العظيم - إلى الأهداف المتوخاة من وراء تأسيسها؛ إذ تهدف إلى:

١- رفد المكتبة الإسلامية بالتنتاجات العلمية التحقيقية في المجال الأخلاقي؛ من خلال تأليف الكتب والموسوعات والبحوث والمقالات العلمية الرصينة.

٢- إحياء التراث الأخلاقي الإسلامي؛ عبر رصد الكتب والمخطوطات الأخلاقية المهمة، والعمل على تحقيقها ونشرها، وفهرسة التراث الأخلاقي والتعريف به.

٣- النهوض بالجانب الأخلاقي والسلوكي للفرد والمجتمع؛ وذلك عن طريق النشاطات المختلفة التي تخاطب الناشئة والشباب، وطلبة الجامعات، والأساتذة، والكوادر العلمية والثقافية والمهنية، وأصحاب الاختصاص في المجال الأخلاقي، مضافاً إلى الأسر، والمجتمعات بأطيافها كافة.

٤- رصد المحاضرات والدروس والخطب الأخلاقية النافعة والمؤثرة التي أفادها العلماء والمختصون في هذا المجال، والعمل على نشرها بأساليب

مختلفة؛ كتدوينها وتحويلها إلى كتب، أو نشرها على شبكات الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي.

٥- إقامة المؤتمرات العلمية، والندوات البحثية المختصة؛ من أجل إثراء الفكر الأخلاقي، وفتح آفاق بحثية جديدة تناسب روح العصر ومتطلباته، وإقامة الدورات المختصرة في الأخلاق العملية، سواء منها ذات الموضوعات العامة، كالأخلاق الإسلامية، أو الخاصة كأخلاق المهنة، وأخلاق الأسرة، وغيرها.

٦- رصد الظواهر السلبية في المجال الأخلاقي، والمشاكل السلوكية التي يعانيها المجتمع، لتقديم دراسة متكاملة فيها؛ بغية وضع الحلول المناسبة لها.

٧- إعداد البرامج الإعلامية التي تُسهم في معالجة المشاكل الفردية والاجتماعية المختصة بالجوانب الأخلاقية، سواء منها البرامج المعدة للبحث على شاشات التلفاز، أو المناسبة للنشر على شبكات الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي.

٨ - ردف الساحة الفكرية بالتأجمات الأخلاقية المهمة عبر ترجمتها من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية، وكذلك ترجمة التأجمات المكتوبة باللغة العربية إلى اللغات الأخرى.

٩- فتح آفاق التعاون مع الجامعات والمراكز العلمية والمؤسسات والشخصيات المختصة والمعنية بهذا الشأن؛ لترشيد العمل وتطويره، والإفادة من الكفاءات في هذا المجال.

١٠- إعداد كوادِر متخصّصة بالأخلاق الإسلاميّة؛ من أساتذة وخطباء وباحثين.

١١- السعي إلى إعداد المناهج الدراسيّة في مجال الأخلاق الإسلاميّة، وتقديمها للمدارس الدينيّة، والمدارس والمعاهد والجامعات الأكاديميّة، والمراكز العلميّة الأخرى.

مشاريع المؤسسة

باشرت مؤسسة (الخُلُق العظيم) بإنشاء جملة من المشاريع في سبيل الوصول إلى أهدافها المنشودة، سواء المشاريع الطويلة الأمد والاستراتيجية أو غيرها، وقد صدر لها بعض الإصدارات في هذا الصدد، في حين سيري بعضها النور قريباً بإذن الله تعالى، وهذه المشاريع هي:

١. موسوعة المواعظ الحسنّة

يعمل هذا المشروع على تدوين خطب الجمعة الدينيّة ذات المضامين الأخلاقيّة، التي ألقاها ممثّل المرجعية العليا في النجف الأشرف والمتولّي الشرعي للعتبة الحسينية المقدّسة سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دامت بركاته) في الصحن الحسيني الشريف منذ عام (٢٠٠٣م)، وقد عازمت المؤسسة على إخراجها بصيغة كتاب ضمن موسوعة تضم عدة أجزاء وتتسم بتعديلٍ وتحقيقٍ واستخراجٍ للعناوين وغير ذلك.

٢. موسوعة الأخلاق الإسلامية

يهدف هذا المشروع إلى تأليف موسوعة ألفبائية أخلاقية، أو ما يُسمى بـ(دائرة المعارف الأخلاقية) تهتمّ بجمع المفاهيم الأخلاقية من الصفات والأفعال، وذلك بنحو الترتيب الهجائي، وتقديم عرضٍ كاملٍ ومستوفٍ وموثّق لكلِّ ما ورد في تلك المفاهيم على وفق الأسلوب المتبع في تدوين الموسوعات ودوائر المعارف؛ من بيان المعنى اللغوي والاصطلاحي، وبيان حقيقة المفهوم الأخلاقي، ووصفه في القرآن والسنة والتراث الأخلاقي، وبيان أقسامه وأسبابه ومناشئه وآثاره ونتائجه، والآلية العملية للتحلّي به إن كان من الفضائل، والتحرّز عنه إن كان من الرذائل، وما إلى ذلك من المباحث المتعلقة بكلِّ موضوع؛ وهذا ما يجعل المشروع سابقةً مهمّةً في المصنّفات الأخلاقية الشيعية، ومرجعاً قيماً ومعتبراً في الأخلاق الإسلامية.

٣. ترجمة النتاجات الأخلاقية

تهتمّ المؤسسة بترجمة الكتب الأخلاقية المهمة باللغة العربية وبالعكس، ونشرها بعد المراجعة الدقيقة لها وتقويمها من قِبَل اللجنة العلمية في المؤسسة، وقد تمّ العمل على ترجمة عدّة كتب وموسوعات، منها: موسوعة الأخلاق الإلهية لآية الله الشيخ مجتبي الطهراني، ومبادئ الأخلاق في القرآن لآية الله الشيخ عبد الله جواديّ الآملي، والمذاهب الأخلاقية لآية الله الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي، وغيرها من الكتب الكثيرة.

٤. موسوعة التراث الأخلاقي

تتضمّن هذه الموسوعة تعريفاً مختصراً بالكتب الأخلاقية على وفق الترتيب الهجائي، مع فهرسة تفصيلية للمباحث الأخلاقية في كلّ كتاب، وتنتهي بفهرس موضوعي للمباحث الأخلاقية في جميع تلك الكتب؛ ليكون دليلاً نافعاً للمحققين والباحثين.

٥. إعداد مناهج دراسية أخلاقية

تهدف المؤسسة إلى إعداد مناهج دراسية في مادة الأخلاق لمختلف المراحل في المدارس والثانويات العامة والمعاهد والكلّيات. وتقوم فكرة المشروع على إحصاء المناهج الدراسية في أهمّ بلدان العالم وترجمتها ودراسة محتواها، وتقييمها في ضوء معايير الأخلاق الإسلامية لغرض التعرف على نقاط القوة والضعف فيها، لتشرع المؤسسة - بعد ذلك - بكتابة مناهج خاصة لمختلف المراحل الدراسية المذكورة في مادة الأخلاق مستقاة من الأخلاق الإسلامية.

٦. الأدب الأخلاقي

إنّ للأدب بالغ الأثر في نفوس مخاطبيه من مختلف الفئات والأعمار والمستويات، وهذا ما يدعو إلى توظيفه في نشر القيم والمفاهيم الأخلاقية النبيلة. وقد رأت المؤسسة أن تعمل على ذلك في مجالين:

الأوّل: الرواية الأخلاقية؛ ويتمّ العمل فيه على تأليف روايات أدبية أخلاقية يكون المستهدف فيها فئات الأطفال والناشئة والشباب، من خلال

صياغة المفاهيم الأخلاقية، أو كتابة القصص الأخلاقية الماثورة عن المعصومين عليه السلام والعلماء والعظماء، بأسلوب روائي معاصر متناسب مع الفئات المستهدفة.

الثاني: الشعر الأخلاقي؛ حيث يعمل فيه على توظيف الأشعار الهادفة ذات المضامين الأخلاقية المؤثرة، وذلك عن طريقين؛ هما:

(أ) إعداد موسوعة ألفبائية للأشعار الأخلاقية، حيث تبوّب الأشعار - وفق العناوين الأخلاقية المتضمنة فيها - في ترتيب ألفبائي، لتكون رافداً مهماً للباحثين والخطباء وهواة الشعر والأدب.

(ب) كتابة الشعر الأخلاقي في الأحداث المعاصرة؛ فتتم دعوة الشعراء والأدباء واستكتابهم لتسليط الضوء على الفضائل الخلقية والظواهر الاجتماعية الإيجابية بغية دعمها وترويجها، ونقد الظواهر الاجتماعية والأخلاقية السلبية ومواجهتها.

٧. تحقيق التراث الأخلاقي وتدوينه

تعمل المؤسسة على إحياء التراث الأخلاقي، وذلك عن طريقين:

الأول: تحقيق التراث المخطوط والمطبوع؛ ويكون عبر جمع المخطوطات المهمة والكتب المطبوعة غير المحققة، لكي يتم العمل على تحقيقها وفق الأساليب الحديثة في التحقيق.

الثاني: تقرير التناجات الأخلاقية وتدوينها؛ ويتمّ عبر رصد الدروس والمحاضرات الأخلاقية المؤثرة للعلماء والفضلاء والأساتذة في الحوزة وسائر المراكز العلمية، والعمل على إخراجها على شكل كتب علمية، بما يحتاج ذلك من تنظيم وتبويب وتحقيق للمباحث الواردة فيها.

٨- مجلة الخلق العظيم

من المشاريع المهمة للمؤسسة إصدار مجلة علمية مختصة تُعنى بالشأن الأخلاقي، تهتمّ باستقطاب ونشر البحوث العلمية الرصينة للأساتذة والباحثين.

٩- تأليف سلسلة الفضائل والردائل

تعمل المؤسسة على تأليف سلسلة كتيّبات في جملة من الفضائل والردائل الأخلاقية، يتمّ من خلالها مخاطبة الشريحة المتوسطة من القراء، وتتناول المواضيع الأخلاقية المهمة وذات الأولوية الاجتماعية، لمعالجة أهمّ المشاكل الأخلاقية، والحثّ على مكارم الأخلاق الإسلامية، والترويج لها.

١٠- إقامة المؤتمرات والملتقيات والندوات الأخلاقية

تعمل المؤسسة على إقامة سلسلة من المؤتمرات والملتقيات والندوات الأخلاقية، بحضور نخبة من الأساتذة والباحثين المختصّين بالجانب الأخلاقي، لبيان المواضيع الأخلاقية التخصصية المهمة، وعرض أهمّ الآراء والنظريات

فيها، كفلسفة الأخلاق، وتاريخ علم الأخلاق، والمدارس الأخلاقية، والمقارنة بين علم الأخلاق والعلوم والحقول المعرفية الأخرى وما شابه ذلك؛ بغية إثراء الساحة الإنسانية والدينية بالفكر الأخلاقي الرصين الذي يعتمد بالدرجة الأساس على الأسس والمبادئ الإسلامية.

١١. المشاريع الإعلامية

تعمل المؤسسة على إعداد جملة من البرامج الإعلامية المختلفة، سواء منها ما يُعدّ للبث التلفزيوني، أو ما يكون مناسباً للنشر على مواقع التواصل الاجتماعي، من مقاطع وملصقات تعليمية وثقافية ذات مضامين أخلاقية.

١٢. إقامة دورات في الأخلاق الإسلامية

من مشاريع المؤسسة الاستراتيجية هو إقامة دورات قصيرة في الأخلاق العملية لمختلف الفئات، يتم فيها تدريس التعاليم الأخلاقية الخاصة بكل فئة من الفئات، كأخلاق المهنة، وأخلاق الأسرة، وما شابه ذلك.

١٣. المكتبة الإلكترونية الأخلاقية

قامت المؤسسة بعملية مسح ميداني في المكتبات والمواقع الإلكترونية وجمع النسخ المتوفرة للكتب الأخلاقية والتربوية؛ لتكون مصدراً مهماً للباحثين في هذا المجال، ليتم العمل على إعداد تطبيق مختصّ بالمجال الأخلاقي.

هذا الكتاب

إنّ الكتاب الذي بين يديك والموسوم بـ: (العلاقات غير المشروعة) يتناول موضوعاً حيويّاً مهماً، فإنّ تنظيم العلاقة بين الجنسين قد شغل فكر الباحثين قديماً وحديثاً، فتعددت فيه آراؤهم واختلفت أنظارتهم بحسب اختلاف توجهاتهم، من فلاسفة وعلماء نفس وطبّ وعلماء دين وغيرهم؛ لذا يُحاول الكتاب أن يقدّم أطروحة الإسلام في تكييف هذه العلاقة وتهذيبها بالشكل الأمثل والأقوم وتوظيفها في مجالها الصحيح، وفي ضوئها يتمّ تجنّب العلاقات غير السليمة التي يعاني من تداعياتها المجتمع، لا سيّما في هذا العصر الذي يشهد ثورة تكنولوجية في مختلف المجالات، وخصوصاً في مجال التواصل والانفتاح عبر شبكة الإنترنت والتي وفّرت فرصة كبيرة لإقامة علاقات منحرفة وخطرة.

ومن مميزات هذا الكتاب أنه يبحث في طبيعة العلاقات الإنسانية بشكل عام، ومن ثمّ العلاقة بين الجنسين بشكل خاص، وقد ظهرت على إثر هذا البحث نتائج قيّمة وطبيّة، كما ظهرت نتائج قيّمة أخرى عند البحث في تاريخ العلاقات غير المشروعة؛ إذ اتضح أنها قد طرأت على المجتمع في مرحلة من مراحلها بعد أن عاش سليماً مُعافى في أوائل تكوينه، وهذا ما جعل البحث في أسباب نشوء العلاقات المنحرفة أمراً مهماً، حيث درس الكتاب في بعض فصوله الأسباب التي أدت إلى نشوء هذه الحالة السلبية، ولأنّ هذه الظاهرة

من الظواهر الخطيرة جداً والتي تهدد كيان الأسرة والمجتمع نجد الكتاب يسلط الأضواء على أبرز تداعيات هذه العلاقات؛ ليُدرك القارئ حجم المخاطر والمفاسد التي تخلفها علاقات كهذه. كما يحاول أيضاً وفي فصله الأخير أن يقدم مجموعة من الحلول والمعالجات العملية في ضوء النصوص الإسلامية وهدى العقل والفطرة والأبحاث العلمية.

وقد ساهم عدّة من الإخوة الأفاضل في إعداد هذا الكتاب، فشكر الله سعيهم وبارك جهودهم، وأحسن جزاءهم؛ ونخصّ بالذكر منهم: فضيلة الشيخ إسكندر الجعفري، وفضيلة الشيخ زياد الساعدي؛ إذ كان لهما دورٌ كبيرٌ ومحوريٌّ في هذا العمل، فنسأل الله العليّ القدير لهما دوام التوفيق والسداد.

كما أنّ للأساتذة الكرام أعضاء اللجنة العلميّة في مؤسّسة الخلق العظيم جهوداً متواصلة في الإشراف العلمي على العمل والمراجعة المتأنيّة للكتاب، وإبداء الملاحظات القيّمة التي أسهمت في خروجه بهذه الحلّة القشبية، فشكر الله سعيهم وجزاهم خير جزاء المحسنين.

ونرى لزماً علينا أن نتقدّم بالشكر والامتنان لسماحة المتولّي الشرعي للعبة الحسينيّة المقدّسة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دامت بركاته)، على رعايته للمؤسّسة ودعمه لمشاريعها، فنسأل الله تعالى أن يمدّ في عمره، ويجعل هذا المشروع المبارك ذخراً له ولنا.

وختاماً: نرجو أن يساهم هذا العمل المتواضع في التعريف بشيء يسير من علوم القرآن الكريم، والعترة الطاهرة، وأن يشارك في نشر الفضيلة والخلق الرفيع في مجتمعاتنا الإسلامية، ونسأل الله تعالى أن يتقبل منا ومن القائمين على هذا العمل والمنجزين له بأحسن القبول، وأن يجعله ذخراً لنا ولهم يوم نلقاه؛ ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(١).
والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

الشيخ صباح الساعدي

مدير مؤسسة الخلق العظيم

٢٣/ جمادي الاول/ ١٤٤٤ هـ ق

١٨/ ١٢/ ٢٠٢٢ م

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

خلق الإنسان وهو مركّب من (عقل وشهوة)، حيث تدفعه الشهوة إلى ممارسة اللذائذ بكلّ حرّية ودون قيود أو حدود، بينما العقل يحاول تقييد الشهوة وينظم عملها وفق ضوابطه، وبين هذين تتأرجح إرادة الإنسان قوّة وضعفًا، بين ميول النفس وشهواتها، وحكمة العقل وميزانه.

وغرائز الإنسان متعددة، فمنها: غريزة حبّ البقاء والحياة، فتراه يخاف الموت ويتجنّب الضرر؛ لأجل رغبته في الحياة وحبّه للبقاء، ومنها: غريزة الأكل والشرب، فالنفس تدفع الإنسان إلى البحث عن الطعام والشراب إذا ما شعرت بالجوع والعطش، ومنها: غريزة حب التفوّق والتميّز والتي ترجع إليها مظاهر التطوّر والتقدّم والرّقيّ الذي يعيشه المجتمع الإنساني، ومنها: غريزة حب التملّك والحيازة. ومن بين تلك الغرائز المهمة والقويّة: الغريزة الجنسية، بل هي أهمّها على الإطلاق؛ لأنّ بقاء النوع متوقف عليها، وهي تمرّ بمراحل وأدوار، حيث تظهر آثارها في سنّ المراهقة، فتتأب المراهق - أو المراهقة - حالة من التوتر والقلق والاضطراب مع تغيّر في المزاج، وتستمرّ هذه الحالة كلّما كبر في السنّ، وقد تتحوّل إلى مرض نفسي يصعب علاجه؛ مما يكشف عن قوّة هذه الغريزة وشدّة تأثيرها النفسي ما لم تجد فرصة لتفريغها.

ومن هنا؛ كانت هذه الغريزة سبباً في كثير من المشاكل؛ لأنها أكثر ما يشغل بال الإنسان.

ولكي تتم السيطرة على هذه الغريزة وضبطها برزت اتجاهات ثلاثة في التعامل معها، حيث يرى الاتجاه الأول أن (الكبت) هو الحلّ السليم لمعالجة المشكلة الجنسية، وأن الأسلوب المتعين يكمن في كبت الشهوة داخل النفس؛ من خلال بعض الرياضات الروحية والجسدية التي تقلل من ضغط الشهوة: كالصوم وتقليل الطعام، وتجنّب الأطعمة ذات التأثير الجنسي، وكذلك تعويد النفس على الصبر والتحمّل، وتلقينها قُبْح الجنس ومساوئه، ومحاولة منع النفس من التفكير به، إلى غير ذلك من الأساليب والطرق التي يتبعها بعض المتصوفة والقساوسة، بينما يتجه الثاني إلى فكرة (الإباحية)؛ حيث يرى أن الحل المناسب للإنسان هو أن يطلق العنان لشهوته، فيمارسها متى شاء، ومع أيّ طرف أراد، وبأيّ كَيْفِيَّة يرغب، لكي يستطيع أن يتحرّر من الضغط النفسي الناتج عن ضغط الشهوة، وبذلك يتخلّص من الكثير من المشاكل التي يتعرّض لها بسبب هذه الغريزة، وأما الاتجاه الثالث؛ فهو يرى أن الحلّ يكمن في الوسطية بين الكبت والإباحية، فممارسة الغريزة حقّ جسدي وضرورة حياتية لا بدّ من ممارستها، كباقي الغرائز الأخرى، فكما أنّ الإنسان لا يستغني عن الطعام والشراب كذلك لا يمكنه أن يستغني عن الجنس، فبقاء النسل البشري يتوقّف على ممارسة هذه الغريزة، ولكن هذا لا يعني أنّه

ي مارس هذه الغريزة بشكل مطلق، ودون قيد أو شرط، لا، ليس الأمر كذلك، بل لا بدّ من ممارستها ضمن قنواتها المسموح بها ومجالاتها السليمة، والمقصود من هذا المجال إنّما هو الزواج، وهذا الاتجاه هو الذي تدعو له الشرائع السماوية والكثير من القوانين الوضعية، وسيأتي الحديث عن هذا الموضوع بشكل مفصّل في موضعه المناسب.

والجدير بالذكر أنّ الغريزة الجنسية تدفع بالإنسان إلى ممارستها وإشباعها من أجل المتعة واللذة، وليس ذلك لمجرّد التكاثر وإيجاد الذرّة، لأنّ الإنسان يدرك بالوجدان أنّه يمارس هذه الغريزة لمجرّد إطفاء نار الشهوة في كثير من الأحيان، وليس لغرض التكاثر فقط، نعم هذا لا يمنع أن تكون لدى الإنسان رغبة في طلب الأولاد والذرّة .

ولا شكّ في أنّ الغريزة الجنسية واحدة من أقوى الغرائز التي تتحرّك على أساسها أغلب العلاقات، وتنشأ بسببها الكثير من الارتباطات، وحيث إنّ هذه العلاقات تقوم على أساس الغريزة الجنسية؛ لذا تُعد من أخطر العلاقات، فهي إلى جانب كونها السبب في بقاء النوع الإنساني وتكوين الأسرة وبنائها وامتدادها، فإنها أيضاً تعد السبب الرئيس وراء الكثير من المشاكل الاجتماعية والنفسية والصحية وغيرها، وكما أنّ الغريزة الجنسية سبب في تكوين الأسرة فهي سبب أيضاً في تفككها وانهارها، وكما أنها سبب في تكامل الإنسان ورقّيه فإنها سبب في تراجعها وانحداره؛ لذا كانت هناك - وعلى

طول التاريخ الإنساني - حاجة ماسة لوضع ضوابط تؤطر هذه الغريزة، وقوانين تحدد طبيعة العلاقات الناشئة منها، وسيلاحظ القارئ أنّ الأنظمة السابقة والمعاصرة وضعت قوانين وسنّت تشريعات لضبط هذه العلاقات القائمة على أساس هذه الغريزة.

والإسلام بدوره سنّ لهذه العلاقات تشريعاتها المناسبة التي تكفل لهذه الغريزة تصريفها في قنواتها المشروعة والسليمة بما يضمن حفظ النسل البشري، ويصون تماسك الأسرة وبقاءها.

ونحاول في هذا الكتاب أن نتعرّف على رؤية الإسلام الخاصة بهذه العلاقات، وكيف تتم الموازنة بين الحاجة الغريزية لممارستها وتصريفها في قنواتها المتاحة من جهة، والسيطرة عليها من الانفلات وتجاوز الحدود المرسومة لها من جهة أخرى، وما هي الحلول التي يقدمها الإسلام لمعالجة العلاقات غير المشروعة.

والجدير بالذكر أنّ الرؤية الإسلامية هذه تقابلها رؤية أخرى سيتعرّف عليها القارئ الكريم في هذا الكتاب أيضاً، والمأمول من قرّائنا الأعزاء أن لا يتسرّعوا في القرار واتخاذ الموقف قبل قراءة الكتاب جيداً والتأمل في مضمونه مع مقارنة الرؤية الإسلامية مع الرؤى المقابلة.

تمهيد

محددات مفردات العنوان لغةً واصطلاحاً

١. العلاقة: لغةً واصطلاحاً

الأصل في (عَلَقَ) أنه يرجع إلى معنى واحد؛ وهو أن يُنَاط الشيء بالشيء العالي^(١)، وعلى هذا الأساس يقال: عَلَقَ الشيء؛ أي: لزمه، وعلق الصيد؛ أي: نشب في الحباله، ويُقال أيضاً للأمر إذا وقع وثبت، والعلاقة: الهوى والحبّ اللازم للقلب، ويُقال: عَلِقْتُ فلانة علاقةً أحبها، وعلقت هي بقلبي: أي تشبّثت به^(٢). فالذي يُفهم من كلام اللغويين أنّ العلاقة بمعنى: الارتباط وصلة الشيء بالشيء، فالإناطة واللزوم والنشوب والتشبّث كلها تُشير إلى وجود ارتباط بين طرفين، سواء كان هذا الارتباط أمراً مادياً أو معنوياً، فنشوب الصيد في الشبكة أو علاقة السيف ونحو ذلك علاقة ماديّة، بينما مثل الحبّ والهوى وأمثال ذلك فهي من العلاقة المعنويّة.

والمقصود من العلاقات الإنسانية في الدراسات الاجتماعية والنفسية: أنها عبارة عن تفاعل الأفراد في جميع أنواع المجالات، سواء في المجال الصناعي، أو التجاري، أو الحكومي، أو التعليمي، أو الاجتماعي^(٣).

(١) أنظر: ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ٤، ص ١٢٥.

(٢) أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٠، ص ٢٦١، ٢٦٢.

(٣) أنظر: مرسي، عبد الحميد، العلاقات الإنسانية: ص ١١.

ولكن هذا التعريف لا يُشير إلى منشأ هذا التفاعل، فلماذا يتفاعل الأفراد في هذه المجالات، وما هو سبب هذا التفاعل؟

نجد الإجابة عن هذا السؤال واضحة في كلام السيد الشهيد محمد باقر الصدر رحمته الله، حيث قال: «فقد خُلِق الإنسان مفطوراً على حب ذاته والسعي وراء حاجاته، وبالتالي استخدام كل ما حوله في سبيل ذلك، وكان من الطبيعي أن يجد الإنسان نفسه مضطراً إلى استخدام الإنسان الآخر في هذا السبيل أيضاً؛ لأنه لا يتمكن من إشباع حاجاته إلا عن طريق التعاون مع الأفراد الآخرين، فنشأت العلاقات الاجتماعية على أساس تلك الحاجات، واتسعت تلك العلاقات ونمت باتساع تلك الحاجات ونموها، خلال التجربة الحياتية الطويلة للإنسان. فالحياة الاجتماعية إذن وليدة الحاجات الإنسانية، والنظام الاجتماعي هو الشكل الذي ينظم الحياة الاجتماعية وفقاً لتلك الحاجات الإنسانية»^(١).

٢. المشروعة : لغةً واصطلاحاً

صرّح ابن فارس أنّ الأصل في (الشين والراء والعين) أنها: «أصل واحد: وهو شيء يفتح في امتداد يكون فيه، من ذلك: الشريعة، وهي مورد الشاربة الماء، واشتق من ذلك الشرعة في الدين والشريعة»^(٢)، ولهذا يُطلق على

(١) الصدر، محمد باقر، فلسفتنا: ص ٣٢٣.

(٢) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ٣، ص ٢٦٢.

الطريق الأعظم: الشارع، ويُطلق على المنزل إذا كان بابه على طريق نافذ: شرع المنزل^(١).

فالشرع والشرعية والمشرعة كلها في الأصل تدلّ على معنى واحد، وهو الشيء المفتوح والنافذ، وقد لخص بعض الأعلام ما ذكره اللغويون بما يلي: «إنّ الأصل الواحد في هذه المادة: هو إنشاء طريق واضح مادياً أو معنوياً. ومن مصاديق الأصل: طريق الورود للاستقاء فيقال: إنّه شريعة للماء. وشرع الطريق، أي: أنشأه واضحاً. وشرع في الأمر، أي: أحدث طريقاً في خصوص هذا الأمر، وابتدأ في السلوك فيه. وشرع من الدين، أي: أنشأ من الدين المعنوي والبرنامج في الحياة طريقاً واضحاً بيناً»^(٢).

وأما في الاصطلاح: فذكر أنّ المشروع بمعنى: ما أظهره الشرع^(٣)، وذكر أيضاً: ما جعله الله تعالى شريعة لعباده: أي طريقاً ومذهباً يسلكونه اعتقاداً وعملاً على وفق ما شرع^(٤).

ويقابل المشروع غير المشروع وهو: الذي لم يظهره الشرع، ولم يجعله طريقاً يسلكه الناس.

(١) أنظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: ج ٣، ص ١٢٣٦.

(٢) المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ج ٦، ص ٤١.

(٣) أنظر: محمود عبد الرحمن عبد المنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: ج ٣، ص ٢٩٢.

(٤) أنظر: المصدر السابق.

وعلى هذا الأساس؛ فيكون المقصود من العلاقات المشروعة أنها: تلك الصلات والارتباطات القائمة على ما هو مسموح به شرعاً، مثل الزواج، وأما غير المشروعة فهي: تلك الارتباطات غير المسموح بها شرعاً، مثل الزنا وبقية الانحرافات الجنسيّة.



الفصل الأول

طبيعة العلاقات في المجتمع الإنساني

الفصل الأول

طبيعة العلاقات في المجتمع الإنساني

لا شكّ في أنّ الإنسان اجتماعي بطبعه، أو مضطر إلى ذلك، بمعنى: أنّه محتاج إلى التعايش مع الآخر، والاستئناس به، وربما أُطلق عليه (إنسان)؛ لذلك، أي من الإيناس^(١)، فالإنسان بطبيعته يأنس بالآخرين ويؤنس به أيضاً، ومفطور على العيش معهم، فهو كائن اجتماعي، والشاهد على ذلك الأطفال، فأحدهم إذا ما لقي الآخر، يأنس به ويقيم معه علاقة دون معرفة مسبقة، فما هي إلاّ لحظات حتى تراهما يلعبان ويتحدثان وكأنهما يعرفان بعضهما البعض من فترة سابقة. فالعلاقات الإنسانية ناشئة من طبيعة الإنسان وفطرته، يُدرك الحاجة إليها بذاته بلا حاجة إلى تعلّم ذلك، فحاجته لأبويه ليست شيئاً يتعلمه من الآخرين، وإنما يشعر بذلك بشكل فطري، ويجد في وجدانه ما يدفعه للاستعانة بالآخرين. وتتّوّع هذه العلاقات وتشعّب بحسب حاجات الإنسان المتعددة والمتجددة، فكانت هناك العلاقات الاقتصادية والتبادلات التجارية النابعة من الحاجة الماديّة، وهناك العلاقات الاجتماعية النابعة من الحاجة العاطفيّة والنفسية، وهكذا باقي العلاقات

(١) أنظر: ابن الأثير، محمد بن القاسم، الزاهر في معاني كلمات الناس: ص ٦٣٩.

والارتباطات، فهي كلها ترجع إلى فطرة الإنسان وطبيعته التي تدفعه للتعايش والارتباط.

فبعض العلاقات الإنسانية تقوم على أساس المنافع والمصالح والحاجات النفسية المتنوعة، ولهذا ظهرت الحاجة إلى تهذيب هذه العلاقات وتنظيمها وتقنينها؛ كي تُحفظ تلك المصالح وتُراعى تلك الحاجات والحقوق، فوضعت القوانين الإلهية منها والوضعية لتنظيمها وتقنينها؛ لتحافظ العلاقات على مسارها الفطري الصحيح وتتجنب الانحراف.

والذي يعنينا من هذه العلاقات هي تلك العلاقات المرتبطة بالجانب النفسي والعاطفي التي يربط بها الإنسان بالآخرين، كعلاقة الرجل بالجنس الآخر، أو بالجنس المماثل، وفيما يلي نتحدث عن طبيعة هذه العلاقات:

العلاقة مع الجنس المماثل

والمقصود علاقة الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة، فكيف ينبغي أن تكون هذه العلاقة من الناحية العاطفية؟ وما هي الأسس الصحيحة التي ينبغي أن تقوم عليها؟

أساس العلاقة بين الإنسان والإنسان الآخر إنما هي علاقة إنسانية بالمستوى الأوّل، فالإنسان ينجذب إلى الآخر بدافع الإنسانية، وأنها من جنس واحد، وهذه صفة لا تختص بالإنسان، فكل مخلوق ينجذب إلى ما كان من جنسه، فتراهم يعيشون في مكان واحد، وتجمعهم روابط مشتركة. قال

تعالى: ﴿وَمِمَّنْ دَابَّتْ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ عَظِيمٍ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾^(١).

إذاً؛ أساس العلاقات الإنسانية قائمة على الاتحاد في الجنس، وهذا هو المستوى الأول في طبيعة هذه العلاقة، ثم تأتي بعد ذلك مستويات أخرى من العلاقة، فرابطة الرحم والدم لها مستوى، ورابطة الانسجام النفسي والروحي لها مستوى آخر، ورابطة البيئة والعادات والتقاليد لها مستوى من المستويات، ورابطة العلم والثقافة والتقارب الفكري لها مستوى مغاير أيضاً، إلى غيرها من المستويات.

وهذه المستويات لا تفرّق بين الرجل والمرأة، فكلها ميول فطرية عامة، من خلالها يتحدّد مستوى العلاقة بين الطرفين رجلاً كان أو امرأة، فمع توفّر هذه المستويات تتقارب العلاقة؛ لكثرة المشتركات، ومع فقدها تتباعد، فهي تقوى أو تضعف بمقدار ما يتوفّر من هذه المستويات.

نعم، هناك ميول فطرية خاصّة بين المرأة والرجل، وهي غريزة الجنس، حيثُ ينجذب كلّ منهما إلى الآخر بدافع غريزي، تماماً كقطعتي مغناطيس؛ حيثُ ينجذب أحدهما إلى الآخر بمجرد أن يقترب الطرف السالب من الطرف الموجب، بينما إذا اقترب الطرف السالب من الطرف السالب في الآخر فإنها سرعان ما يتنافران، فهكذا هو الحال بالنسبة للغريزة الجنسية،

فالرجل ينجذب تلقائياً للمرأة، كذلك هي تنجذب إليه تلقائياً، بسبب هذه الغريزة، فهذه الغريزة في الرجل والمرأة كالطرف السالب والموجب في قطعتي المغناطيس، وفي المقابل لا ينجذب الرجل للرجل الآخر بدافع الغريزة الجنسية، ولا المرأة للمرأة بالدافع نفسه؛ لأنها بمثابة نفس القطب، فكلاهما سالبان أو كلاهما موجبان.

فطبيعة العلاقة بين البشر هي علاقة إنسانية تتضمن الكثير من المشتركات التي تدفعهم للترباط والاتصال والحياة المشتركة، وبهذا يتضح أن علاقة الشخص بجنسه المماثل هي في الأساس علاقة إنسانية، ثم تأتي بعدها بقاء الروابط والمشاركات، كروابط اللغة والثقافة والبيئة والدم وغيرها، وبحجم الروابط قوة وضعفاً تتشكل العلاقات المتنوعة، فهناك العلاقات الاجتماعية فتنشأ رابطة الأصدقاء والزملاء، ورابطة زملاء الدراسة والعمل، وهناك العلاقات الاقتصادية، إلى غيرها من العلاقات المتنوعة والمختلفة.

ويجدر الالتفات إلى أن العلاقة مع الجنس المماثل لا تتضمن دوافع غريزية جنسية، فالرجل لا يندفع جنسياً إلى الرجل الآخر، وهكذا المرأة؛ لأنهما - كما ذكرنا سابقاً - إما قطبان سالبان وإما موجبان، فلا توجد دوافع فطرية نحو الآخر، وهذا ما نشعر به بالوجدان، وما نراه من علاقات جنسية بين طرفين متماثلين خلاف الفطرة والطبيعة، لذا يدخل في إطار الشذوذ والانحراف كما سيأتي الحديث عنه في محله.

العلاقة مع الجنس المغاير

هل الذكورة والأنوثة شيءٌ فطريٌّ أو مكتسبٌ؟

لا شكَّ في أنَّ الذكر يختلف عن الأنثى بيولوجياً ونفسياً، فهناك خصائص يمتاز بها الذكر وأخرى تمتاز بها الأنثى، وهذا شيء ندركه بالحواس، ونلمسه بالوجدان، فالقوَّة البدنيَّة التي يتمتع بها الرجل تتفوق على القوَّة البدنيَّة عند المرأة، ولهذا كان ولا يزال تقع على عاتق الرجل الأعمال الشاقَّة، مثل القتال والحروب، وبناء الدور وحمل الصخور وحرث الأرض وزراعتها وسقيها، إلى غيرها، فكلُّ ما نراه من تطوُّر هائل في مختلف المجالات من إعمار ومصانع وزراعة كان معظمه يعتمد على قوَّة الرجل البدنيَّة، وفي المقابل تتمتع المرأة بقوَّة عاطفيَّة عميقة، لا نجد مثلها عند الرجل، ومن بين أحضان هذه العاطفة نشأت الأمم والأجيال، وتربَّى الإنسان وعاش.

ولو عكسنا الأمر فأعطينا للمرأة أدوار الرجل البدنيَّة، وأعطينا للرجل أدوار المرأة العاطفيَّة لما تمكَّنَّا من الحصول على النتائج نفسها، وهذه حقيقة لا يشكَّ فيها اثنان، فتوزيع الوظائف بين الرجل والمرأة وتبادل الأدوار بينهما يرجع إلى فوارق فطريَّة، ولا يرجع إلى مكتسبات اجتماعيَّة، فلو لم تكن ترجع إلى الفطرة، فلماذا وُزعت الأدوار بينهما بهذا الشكل، ومنذ أن نشأ الإنسان؟! ألا يدلُّ هذا التوزيع على دور الفطرة التي دفعت كلاً منهما إلى ممارسة هذه الأدوار؟!!

ولماذا لم ينقل لنا التاريخ - ولو لفترة محدودة جداً - أنّ الأدوار قد انعكست، فأصبحت النساء تمارس دور الرجال والرجال يمارسون دور النساء؟!

وبهذا يتضح أنّ ما ذكرته الدكتورة (أورزولا شوي)، في كتابها: (أصل الفروق بين الجنسين) - من أنّ «الفروق القائمة اليوم بين النساء والرجال - نفسياً وفيزيولوجياً - مرهونة كلياً بالمجتمع، باستثناء وحيد هي: تلك الفروق البيولوجية المرتبطة بوظيفة الحمل والإنجاب، أي: الفرق التشريحي في الأعضاء الجنسية، وكذلك الفرق الهرموني والصبغي. وكلّ شيء مشتق من ذلك هو نتيجة التقسيم الجنساني للعمل»^(١) - لا يمكن قبوله بأيّ حالٍ من الأحوال، فهو مخالف للوجدان والواقع، وقد قلنا سابقاً: إنّ الفوارق الاجتماعية التي نلمسها بين الجنسين ما هي إلاّ إفرازات فطريّة، وبواعث طبيعيّة، تدعو كلاً للممارسة دوره الذي خُلق له، وفي الحديث عن النبيّ الأكرم ﷺ: «اعملوا فكلّ ميسر لما خُلق له»^(٢).

ومما يؤكّد الفوارق الفطريّة بين الرجل والمرأة مبدأ التناظر بين العلاقة الجنسيّة والعلاقة الاجتماعيّة؛ ففي العلاقة الجنسية يوجد طرفان: الفاعل والمنفعل، فالأول؛ هو المسيطر والمهيمن والأعلى، والثاني؛ هو المسيطر عليه

(١) أورزولا شوي، أصل الفروق بين الجنسين: ص ١٩.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٦٤، ص ١١٩.

والأسفل، فالرجل يمارس دور الأعلى والمُخضع بينما المرأة يكون دورها الأسفل والخاضع، هكذا هي الطبيعة الفطرية في هذه العلاقة، وهذه العلاقة تُناظر وتحاكي الواقع الاجتماعي؛ فالرجل في المجتمع يمارس دور السلطة والقيادة والنفوذ، والمرأة تمارس الدور المقابل لهذا الدور، ومع التأمل القليل يتضح أن الواقع الاجتماعي ما هو إلا انعكاس لتلك العلاقة الجنسية القائمة بينهما^(١).

وبهذا يتضح أيضاً أن كلا من الرجل والمرأة (موضوع للمتعة) بالنسبة للآخر، فالمرأة موضوع للمتعة بالنسبة للرجل، والرجل موضوع للمتعة بالنسبة للمرأة، وأن أحد الطرفين هو الفاعل والآخر هو المنفعل، أحدهما هو الموجب والآخر هو السالب، كقطبي قطعة المغناطيس، ويؤكد هذه الحقيقة الناحية البيولوجية؛ حيث يكون الحيوان المنوي فاعلاً يسعى إلى البويضة في الأنثى، ويسابق الحيوانات المنوية الأخرى إليها، وهو الذي يخترقها ويخصبها، بينما البويضة سلبية تستقر في مكانها من الرحم منتظرة للحيوان المنوي الفائز^(٢).

هكذا هي العلاقة العاطفية والطبيعية بين الطرفين، وبها تختلف عن باقي العلاقات الأخرى.

(١) أنظر: ميشال فوكو، تاريخ الجنسية، استعمال المتع: ص ٢٠٥.

(٢) أنظر: الحفني، عبد المنعم، الموسوعة النفسية الجنسية: ص ٥٦.

خصائص الرجل والمرأة

ذكرنا أنّ بين الرجل والمرأة فوارق فطريّة كانت لها تداعيات مختلفة، وانعكاسات نفسيّة واجتماعيّة وغيرها؛ ولكي تتضح هذه الفوارق أكثر دعونا نقف على أهمها:

الأول: الخصائص الجسديّة

لا نحتاج إلى ذكر الفوارق الجسديّة بين الرجل والمرأة؛ لأنها واضحة ومعلومة لدى الجميع، ولكن يمكن أن نذكر بعض الفوارق الدقيقة التي قد يغفل عنها البعض، وهي كالآتي:

١- الوزن

إنّ متوسط الوزن عند الولادة أكبر عند الذكر منه عند الأنثى بمقدار ٥٪، وتصل هذه الزيادة عند الشهر العشرين إلى ٢٠٪.

٢- الطول

إنّ طول القامة عند الذكر عند الولادة أكثر منه عند الأنثى بنسبة ٢٪، ونموّ الطول عند الفتاة يقف عند سنّ ١٧، بينما يستمر عند الفتى حتى سنّ العشرين، لذا يفوقها في الطول بنسبة ١٠٪.

٣- القوّة العضليّة

يفوق الذكر الأنثى في القوّة العضليّة لقبضة اليد اليمنى بنسبة ١٠٪ في

سنّ السابعة، ثمّ تستمر الزيادة حتى العشرين فتصل نسبة التفوّق إلى ٥٠٪ أو ٦٠٪، بينما الفتاة يتوقّف نموها العضيّ عند السادسة عشرة.

٤- سرعة النموّ والنضوج

تتفوّق الأنثى على الذكر في هذه الخاصيّة، حيث تنضج وتنمو بشكل أسرع من نضوج الذكر، ففي جميع شعوب العالم تصل الأنثى إلى درجة البلوغ قبل الذكر بعدة سنوات، وكذلك تفوقها في سرعة نمو هيكلها العظمي وظهور الأسنان وسرعة المشي والقدرة على تعلّم الكلام^(١).

٥- كثافة الدم

من الفوارق أيضاً تُخزن دم الرجل بالنسبة إلى المرأة، فإنّ نسبة كريات الدم الحمراء عند الرجل تزيد عليها عند المرأة بنسبة ٢٠٪، مما يعني أن الرجل يحصل على نسبة أوكسجين أكثر من المرأة، ولذلك تكون الطاقة عند الرجل أكبر^(٢).

الثاني: الخصائص الحسيّة والحركيّة

يوجد فرق حسي واضح بين الجنسين، وهو ما يخصّ الإبصار والقدرة على تمييز الألوان، فإنّ عمى الألوان شائع بين الذكور أكثر منه بين الإناث،

(١) أنظر: يوسف مراد، سيكولوجية الجنس: ص ١٧-٢٢.

(٢) أنظر: النعيمي، طارق كمال، سيكولوجية الرجل والمرأة: ص ٢٢.

وأما الحركة فقد أظهرت الدراسات والتجارب أنّ الذكر يتفوّق على الأنثى في الألعاب ذات الحركة السريعة كالقفز والسباحة والركض^(١). وكانت النتيجة الطبيعيّة لهذا الفارق أن يتصدّى الرجل لمختلف الأعمال الشاقّة والصعبة، وتتركّز نشاطات المرأة في الأعمال السهلة نسبياً، فتقسّمت الأدوار بينهما تلقائيّاً، وكما نراه اليوم.

الثالث: تركيز الرجل وتوسعية المرأة

يوجد تفاوت واضح بين نظرة الرجل وأسلوبه في التفكير عن نظرة المرأة وطريقة تفكيرها، فالرجل عادة يميل في تفكيره إلى التركيز على شيء محدد، كحلّ قضية معيّنة؛ فتراه طوال اليوم لا يفكّر إلّا فيها، بينما المرأة تحاول أن لا تقصر نظرها على شيء واحد، فهي توسعيّة في نظرها، تحاول أن ترسم صورة كاملة للموضوع ثمّ بعد ذلك تقوم بالتركيز، ولنذكر مثلاً لتقريب الفكرة، عندما يدخل الرجل إلى قاعة اجتماع أو حفل، فنراه يسارع أولاً إلى البحث عن مقعد للجلوس، فإذا ما جلس واطمأنّ، أخذ ينظر إلى المكان ويتطلّع فيه وفي الحضور، بينما المرأة عادة تطالع المكان أولاً ثمّ تفكّر بعد ذلك في البحث عن مقعد للجلوس^(٢).

ويؤثّر هذا الفارق على الكثير من الأمور؛ مثل؛ القيم، إعطاء الأولويات، مواهب الطبيعة، المصالح، فالمرأة حيث تتسم بالتوسّع فهي تميل

(١) أنظر: المصدر السابق: ص ٢٢-٢٧.

(٢) أنظر: النعيمي، طارق كمال، سيكولوجية الرجل والمرأة: ص ٣٣ وما بعدها.

إلى توسعة العلاقات الاجتماعية، وتميل إلى الصداقة والحب والمساعدة والمحادثة والمشاركة والتعاون، بينما الرجل ينظر إلى ربط الأمور بعضها ببعض الآخر، وهذا ما يدفعه إلى إحراز نتائج، وتحقيق أهداف، فهو مشغول بأمور تتعلق بالقوة والمنافسة والربح والعمل^(١).

والخلاصة: أن الله تعالى خلق الرجل والمرأة متغايرين فطرياً؛ ليؤدي كل منهما الدور الذي خلق له، فبعضهما يكمل البعض الآخر، وبهما تكتمل لوحة الحياة وتستمر وتتكامل.

أنماط العلاقات بين الرجل والمرأة

ذكرنا فيما سبق أن أساس العلاقة بين البشر تقوم على الأنس والألفة والحاجة والمصالح المشتركة، فهي ذات مستويات، فعلاقة الرجل بالمرأة ذات مستويات؛ فالمستوى الأول؛ أنها علاقة ذات بُعد إنساني، فكلاهما إنسان ويشتركان في النوع، فيتآلفان ويأنسان ببعضهما على هذا الأساس، والمستوى الثاني؛ الروابط الاجتماعية، كالعلاقة بين الأبوين وأولادهم، أو الإخوة فيما بينهم، أو الأعمام والأخوال وبقية الأقارب وغيرها، ثم تأتي المصالح كمستوى آخر للعلاقة بين الجنسين، إلى غيرها من المستويات.

والذي نريد التنويه إليه أن العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة ليست هي العلاقة الوحيدة بينهما، وإنما هي واحدة من تلك العلائق والروابط، نعم هي

(١) أنظر: المصدر السابق.

علاقة فطرية قويّة جداً، ولكنها ليست الوحيدة، فعلاقة الابن بأمه ليست جنسيّة، وكذا علاقة البنت بأبيها، وعلاقة الرجل بمديرة العمل ليست جنسيّة، وإنما هي علاقة مصالح.

وعلى هذا الأساس تنوّعت العلاقة بين الرجل والمرأة وأخذت مستويات متعددة ومختلفة، ولكي نقف عليها نحتاج إلى التفاصيل التالية:

١. العلاقة مع المحارم

كلمة المحارم تُطلق على الشخص الذي لا يحلّ الزواج به طبقاً للشرائع السماوية والوضعيّة، وفي مختلف الثقافات الإنسانية، فالشريعة - سماوية كانت أو وضعيّة - لا تسمح للأب أن يتزوَّج ببنته، كما لا تسمح للابن أن يتزوَّج بأمّه ولا بأخته ولا عمته ولا خالته، فلهذا يُطلق على هؤلاء الأشخاص: المحارم. والمحارم - في الشريعة - على صنفين؛ محارم نسبيين، ومحارم مصاهرة، والمراد من الصنف الأوّل هم:

١- الأبوان والأجداد وإن علوا.

٢- الأبناء وإن نزلوا.

٣- الإخوة والأخوات وأولادهم.

٤- الأعمام والأخوال، وإن علوا.

وأما الصنف الثاني فهم:

١- أمّ الزوجة وجداتها، أو أب الزوج وأجداده.

٢- أولاد الزوجة، أو أولاد الزوج.

٣- أخت الزوجة؛ فإنّها تحرم على زوج الأخت طالما كانت الأخت على ذمته.

وتفاصيل الأصناف المذكورة في كتب الفقه، يمكن مراجعتها لمن يريد معرفة التفاصيل^(١).

فالعلاقة مع المحارم عادة ما تكون عاطفية سببها الرحم والدم، فهي علاقة والدية أو أخوية أو خوؤلة أو عمومة، بعيدة كلّ البعد عن العلاقة الجنسية، إذ لا يجد الطرفان - بحسب العادة - في نفسيهما دوافع جنسية تجاه الطرف الآخر.

والذي نريد التأكيد عليه أنّ العلاقة بين الأرحام ليست جنسية، بل هي بعيدة كلّ البعد عن هذا الجانب، وإذا ما حصل مثل هذا فيُعدّ خروجاً عن الوضع الطبيعي والحالة المألوفة، بل هو خلاف المشاعر والأحاسيس، فلو رجع الإنسان إلى وجدانه ومشاعره لما وجد فيها رغبة جنسية تجاه أمه أو أخته أو ابنته أو غيرهنّ من أرحامه، فنكاح المحرم ومنذ القدم يثير أقصى درجات الاشمئزاز والاحتقار في أية صورة من صورته^(٢).

ولكي نؤكد هذه الفكرة ونعززها نذكر ما يلي:

(١) أنظر: الخوئي، السيد أبو القاسم، منهاج الصالحين: ج ٢، ص ٢٦٣.

(٢) أنظر: كباره، عبد الفتاح محمد ظافر، العلاقات الجنسية دراسة تاريخية فكرية دينية: ص ٩٧، نقلاً عن دائرة المعارف البريطانية.

١- هناك حقيقة لا يمكن أنكارها أو التشكيك بها، وهي: أنّ الشخص يلمس بفطرته أن لا وجود لميول جنسيّة تجاه أمه على الأقلّ، وإذا ما وجد ذلك فهو لتأثيرات خارجيّة أو ظروف استثنائية تكون على خلاف الفطرة والطبيعة والحالة النفسيّة، ومما يؤكّد عدم وجود ميول جنسية تجاه الأم أو الأخت أنّنا نجد مثل هذه الحالة عند بعض الحيوانات. تقول الدكتورة جين كودال - وهي التي قضت ٤٥ سنة من عمرها في دراسة التفاعلات الاجتماعية والأسريّة للشمبانزي في الحياة البريّة^(١) -: «لم يُستدل أو يُلاحظ أي علاقة مستمرة بين الأمهات وأبنائهن أو بين الأشقاء من الأم كما لم يتم رصد أي محاولة تذكر للانغماس بعلاقة مستمرة مع أخته أو أمه»^(٢)، ونُقل عنها قولها أيضاً: «إنّ الشمبانزيات التي تعيش طليقة في الطبيعة تعتبر زنا المحارم من المحظورات، حيث إنّ الأمهات لا يسمحن لأولادهن أن يتزاوجوا معهن، والأخوات لا يتزاوجن مع إخوانهن، والإناث لا يتزاوجن مع الذكور الأكبر منهن في السن في المجموعة العائلية. مع أنّ هذه الشمبانزيات ليست مرتبطة بيولوجياً إلا أنهم نشأوا في نفس المجموعة العائلية ولا يبدو أن أي تصرف جنسي تجاه بعضهم البعض»^(٣)، ولا يقتصر الأمر على عالم الحيوان فقط، حيث تُثبت

(١) للوقوف على ترجمتها أنظر: جين جودال - ويكيبيديا. <https://ar.wikipedia.org/wiki>

(٢) حسين قمبر، زنا المحارم في مجتمع القروء، مقال منشور على الإنترنت.

http://h-qamber-gis.blogspot.com/2017/06/blog-post_29.html

(٣) المصدر السابق.

بعض التجارب والملاحظات أنّ النباتات تميّز بين غبار الطلع القريب منها والطلع البعيد، حيثُ تفرز مادة سامة تقتل غبار القريب وتُبقي البعيد، فالنبات يفضّل الغريب ويتجنّب القريب؛ ولهذا يحاول الباحثون إعادة تصنيف النباتات على أنها كائنات عاقلة. وجاء في دراسة لجامعة ميزوري الأمريكية سنة ٢٠٠٦م، نُشرت في مجلة الطبيعة، يقول العلماء: «إنّ عملية تلقيح النباتات أكثر تعقيداً مما نتصور، وإنّ النبات يحاول أن يتجنب (زواج الأقارب) ويفضّل التلقيح من غبار طلع بعيد عنه، حتى أنّ بعض حبات الطلع مزوّدة بآلية طيران خاصة لتسافر إلى أماكن بعيدة عن مكانها الأصلي وتتزاوج مع نباتات غريبة.

ويؤكد الباحثون في دراسة لعام ٢٠١٦م، أصدرتها ميسوري الكولومبية أنّ النباتات تمتلك نظاماً جزيئياً يميّز بين غبار الطلع القريب والبعيد، فهي تشبه البشر، حيث إنها تفضل حبوب الطلع من نباتات بعيدة عنها وترفض حبوب الطلع الخاصة بها، بل وتحطمها قبل التلقيح، وهذا من شأنه أن يقوّي النسل أيضاً ويقلل الأمراض النباتية»^(١).

ويرى البعض أنّ فكرة الجنس تعتمد على عدم الألفة بين الطرفين^(٢)، فكلما كانت الألفة قويّة امتنع الميل الجنسي بينهما، ولهذا نجد أنّ الأقرباء مثل

(١) الحيوانات والنباتات ترفض زنا المحارم. مقال منشور على موقع (الشروق).

<https://www.echoroukonline.com>

(٢) أنظر: كولن ولسن، الجنس والشباب: ص ٢٩.

أبناء العمومة إذا كانوا يسكنون معاً تضعف رغبة البعض منهم في الزواج من الآخر، وما ذاك إلاً للألفة التي تحصل بين الطرفين بحكم المعاشرة والحياة المشتركة.

٢- تترتب على زواج المحارم نتائج تُربك النظام الاجتماعي، وتُفسد نسقه الطبيعي، فالنسق الطبيعي أن تكون الزوجة غير الأم، والبنت غير الأخت، فالطبيعي أن تكون للشخص أم وزوجة وأخت وبنت، بينما لو أجزنا زواج المحارم وتزوَّج الولد أمه فأنجب منها بنتاً، فهذه البنت ستكون بنته وأخته في نفس الآن، وأمّه هي زوجته أيضاً، ولو تزوَّج بنته أيضاً لكانت البنت زوجة وبنتاً وأختاً أيضاً، وهكذا تتداخل الأمور ويختل النظام الاجتماعي.

ومنذ القديم والمجتمع الإنساني قائم على هذا النظام؛ أي: نظام الأسرة المتكوّن من أب وأم وزوجة وإخوة وأخوات وأولاد، ولم يحدث أن تغيّر على شكل هذا النظام في حقبة من حقبة التاريخ، على الرغم من المحاولات المتعددة لتغيير شكله ونظامه من خلال الدعوة إلى إباحة زواج المحارم كما كان سائداً عند فراعنة مصر القديمة في فترة من الزمن^(١)، ومن حقنا أن نتساءل: لماذا لم يستجب المجتمع لمثل هذه الدعوات؟ مع أن المجتمع ليس على ثقافة واحدة وعقيدة واحدة واتجاه واحد، فهناك المؤمن وهناك الملحد،

(١) أنظر: بول فريشاور، الجنس في العالم القديم: ص ١٢٤.

بل هناك مجتمعات مطبقة على الإلحاد، ومع ذلك ترفض جميعها فكرة (زواج المحارم)، ولو كان أمراً طبيعياً أو لا يتنافى مع الفطرة فلماذا هو مرفوض حتى عند الفسقة والمنحرفين؟

٣- إنّ الأمراض الناجمة عن زواج المحارم تكشف عن وجود خلل بيولوجي في هذا النوع من الاقتران، كما تُشير إلى ذلك الكثير من الدراسات الطبية والعلمية، كما أنّ التجربة تكشف عن ذلك، فإنّ زواج المحارم قد أنتج الكثير من الأمراض عند الممارسين له، يشهد بذلك انقراض سلالة هايزنبورغ، التي حكمت أوروبا قروناً من الزمن، ولكنها انقرضت بعد أن أصيب أبناؤها بالعقم بسبب زواج الأرحام^(١)، ويُذكر أيضاً «أن بعض الحضارات قد بادّت بسبب تفشي الزواج من المحارم؛ كالحضارة الفرعونية التي شاع فيها الزواج بين الإخوة والأخوات»^(٢).

ويذكر الباحثون تعليلاً علمياً للأمراض الوراثية التي يولدها زواج المحارم، وخلاصته: أنّ العوامل الوراثية في معظمها إمّا سائدة وإمّا متنحية؛ والسائدة لها القدرة على الظهور والتعبير عن نفسها، فإن كانت الصفة الوراثية السائدة في أحد الزوجين كان لها القدرة على الظهور في بعض الأبناء.

(١) أنظر: أشهر حالات زواج وعلاقات قربي في التاريخ، مقال منشور على الإنترنت.

<https://dkhlak.com/incest-stories-throughout-history>

(٢) زواج الأقارب وتشوّه الجنين، مقال منشور على الإنترنت.

<https://www.alukah.net/culture/0/124078>

وأما المتنحية فليس لها القدرة على الظهور إلا إذا وُجدت هذه الصفة في كلا الزوجين، وتفيد البحوث العلمية أن تكرار الزواج بين الأقارب يزيد من فرص اتحاد الصفات المتنحية، فينتج عنها الأمراض الوراثية وتفشّيها في العائلة، ويُضعف النسل مع تعاقب الأجيال^(١)، وتتفق الدراسات على أنّ الأطفال المولودين من الزنا بالمحارم هم عرضة بدرجة أكبر لمخاطر التشوه والتخلّف العقلي الحاد، والموت المبكر، وقد أفاد تقرير من كولومبيا البريطانية حول ٢٩ طفلاً تولدوا من زنا المحارم أنّ أغلب هؤلاء الأطفال كانوا يعانون من اختلالات شديدة ومن نقص الوزن عند الولادة، ومن تخلّف النمو، واعتلالات صحيّة أخرى^(٢).

فهذه المؤشرات وغيرها تؤكّد أنّ زواج المحارم ليس أمراً طبيعياً يتوافق مع الفطرة تمام التوافق، وينسجم بشكل طبيعي مع الحالة الاعتياديّة في الزواج، وهناك حديث عن الإمام الصادق عليه السلام يؤكّد هذا المعنى، فعن زرارة قال: «سئل أبو عبد الله عليه السلام: كيف بدء النسل من ذرية آدم عليه السلام؟ فإنّ عندنا أناساً يقولون: إنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى آدم عليه السلام أن يزوج بناته من بنيه، وأنّ هذا الخلق كله أصله من الإخوة والأخوات؟ قال أبو عبد الله: سبحان الله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، يقول من يقول هذا: إنّ الله عز وجل جعل أصل صفوة خلقه

(١) أنظر: المصدر السابق.

(٢) أنظر: الخالقي، روح الله، الثقافة الجنسية: ص ١٩٥. وقد وضع المؤلف جداولاً لتمييز الوليد الطبيعي من غيره، وذكر معلومات قيّمة تستحق المراجعة.

وأحبائه وأنبيائه ورسله وحججه والمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات من حرام، ولم يكن له من القدرة ما يخلقهم من الحلال، وقد أخذ ميثاقهم على الحلال والطهر والطاهر الطيب. والله لقد بُنيت أنّ بعض البهائم تُنكرت له أخته، فلما نزا عليها ونزل كُشف له عنها وعلم أنها أخته أخرج عزموله^(١)، ثم قبض عليه بأسنانه، ثم قلعه ثم خرّ ميتاً^(٢)، فالإمام عليه السلام يُلقت في جوابه إلى أنّ حرمة زواج المحارم ليست مسألة تشريعية فقط، وإنما هي قضية فطرية، تنتفّر منها الطباع حتى عند الحيوانات.

٢. العلاقة مع غير المحارم

تختلف علاقة الشخص بالمرأة من غير محارمه، سواء كانت من أقربائه أو لا، فهي علاقة ذات بعد غريزي، فهي قد تدفعه لإنشاء علاقة جنسية معها، وكذلك الأمر في طرف المرأة، إذ النفس والعقل يسمحان لهذا الشخص أن يفكر في إقامة علاقة جنسية مع هذا الطرف، فلا يجد الشخص في نفسه ما يمنعه من ذلك سوى الموانع الخارجية، على خلاف العلاقة مع المحارم حيث يجد الشخص في نفسه ما يمنعه عن ذلك غالباً.

وهذا الميل الغريزي والفطري قد أكّده القرآن الكريم، في قوله تعالى:

﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ

(١) في الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري: ج ٥، ص ١٧٨٠، الغرمول: الذكر.

(٢) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٢٠، ص ٣٦٦.

الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ^ط وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١١﴾، فالله سبحانه أودع في الإنسان الشهوة؛ لضمان بقاء الحياة عبر التناسل والتكاثر. فالشهوة بين الرجل والمرأة أمرٌ فطري، ولعلّ الآية قدمت شهوة النساء على سائر الشهوات؛ لبيان أنها أقوى الشهوات أو أهمها.

والغرائز والشهوات المودعة في تركيبة الإنسان تدفعه لإشباعها فقط، فهي مجرد غرائز لا عقل لها، حالها حال الغرائز عند الحيوان، فهو يتحرّك وفقاً لها، فإذا ما شعر بالجوع تحرّك نحو الطعام؛ ليسدّ جوعه، فيتناول ما يجده، وإذا ما شعر بالحاجة إلى الجنس بحث عمّا يسدّ به شهوته، وهكذا، ولكن الإنسان يختلف عنه في جانب مهمّ، وهو أنّ الإنسان لا يتحرّك إلا ضمن حدود وقيود، يفرضها العقل والمجتمع؛ لذا لا تجد أحداً - غالباً - عندما يجوع يتناول ما يجده ولو كان طعام الغير، أو يمارس الجنس مع مَنْ يشاء متى ما أحسّ بالرغبة، وينام متى ما نعس وشعر بالحاجة إلى النوم، إنّ عقل الإنسان يفرض عليه قيوداً، كما أنّ المجتمع والقانون يفرض عليه قيوداً أيضاً، وهذه القيود والقوانين إنما جاءت لتهديب هذه الغرائز وتنظيمها. ومن هنا يتضح أنّ نظام حياة الإنسان يفرض عليه أن يخضع لقانون ودستور، وهذه النقطة يتفق عليها الجميع، فلا يوجد أحداً في شرق الأرض وغربها يدعو إلى إطلاق العنان

للشهوات والغرائز وتحريرها من القيود والضوابط، فهل هناك مَنْ يقول: يحقّ لكل أحد إذا ما جاع أن يتناول أيّ طعام يجده ولو كان ملكاً للغير؟! أو احتاج إلى شيء بيد الآخر فله أن يأخذه ولو بدون رضاه؟!

ليس هناك من أحد يدعو إلى تحرير رغبات الإنسان وإطلاقها، بل الجميع يدعو لتطبيق القانون وحفظ الحقوق واحترام النظام الذي تقوم عليه البشرية، ولكن عندما يكون الحديث عن الرغبة الجنسية فالأمر يختلف، حيث تتعالى الأصوات المطالبة بتحريرها من القيود، وينبري البعض لتأصيل فكرة الشيوعية في الجنس، وأضرار الكبت، ومن حقنا أن نتساءل:

لماذا عندما يكون الحديث عن غريزة الجنس تكون الدعوة إلى التحرر ورفع القيود والضوابط والقوانين، بينما لا يكون الأمر كذلك عندما يكون الحديث عن الغرائز الأخرى؟! أليس الجنس واحداً من غرائز الإنسان المتعددة؟! أليس الجنس غريزة والجوع والرغبة إلى الطعام غريزة أيضاً؟! فلماذا يكون الحديث عن أهمية التحرر وفوائد الشيوعية عندما يتعلّق الأمر بالشهوة الجنسيّة، بينما يكون الحديث عن الحقوق والملكيّة الشخصيّة عندما يتعلّق الأمر بشهوة الطعام؟!

لماذا تسمحون بالشيوعية الجنسيّة ولا تسمحون لها في باقي الغرائز؟! إنّ هذا التعامل لا يخلو من ازدواجيّة، ويدخل في سياسة الكيل بمكيالين، وربما له أهداف سياسيّة واقتصاديّة ونفسيّة، تتضح من خلال ما

يأتي. ومن شواهد هذه الازدواجية ما تناقلته وسائل الإعلام هذه الأيام عن لاعب كرة قدم سنغالي يلعب في الدوري الفرنسي، وقد رفض أن يرتدي عَلم المثليين لغرض دعمهم ورفض التمييز، ولكنه تعرّض لمساءلة قانونية من قبل الاتحاد الفرنسي، لجنة الانضباط الأخلاقي^(١)، فأين الحرية الفكرية؟! وأين حرية التعبير عن الرأي؟! لماذا عندما يكون الحديث عن الحجاب والعفة والشرف والعلاقات المشروعة وغير المشروعة ترتفع الأصوات المطالبة بالحرية الشخصية وضرورة تحرير المرأة والإباحية، ولكن عندما يكون الحديث عن رغبة المرأة بارتداء الحجاب، أو رفض دعم المثليين مثلاً يكون الحديث بشكل آخر، حيث تُسنّ قوانين لمنع الحجاب أو توجه عقوبة لمن يرفض دعم المثليين؟! إنّ المتابع لسياسة الدول التي تطالب بالحرية الجنسية والإباحية وتدعو إلى تحرير الإنسان يتضح له أنّ هذه المطالبات ما هي إلاّ أكذوبة، الغاية منها تحقيق أكبر قدر ممكن من المكاسب المادية والسياسية.

مبادئ العلاقات

للعلاقة بين المرأة والرجل مجالاتها وميادينها؛ فإنّ هناك أماكن كثيرة يمكن فيها أن يتواصل الرجل والمرأة، أو أحياناً يكون التواصل بينهما أمراً مطلوباً عرفاً؛ كمراجعة الطبيب، وممارسة العمل المشترك، والتعلّم عند

(١) أنظر: الأناضول، كلنا إدريسا... تضامن واسع مع لاعب سنغالي بفرنسا رفض دعم المثليين.

الأستاذ، والحضور في المناسبات العامة والخاصة المشتركة، وغيرها من الأماكن والميادين، وفي هذه الأماكن كثيراً ما يحصل التعامل المباشر بين الطرفين، وقد تحدث بعض المشاكل بسبب السلوك غير اللائق مما يُربك العمل، وفيما يلي نستعرض الميادين المهمة لهذه العلاقات، مع التركيز على الأسلوب الأمثل الذي ينبغي أن تكون عليه العلاقة:

١. البيت

البيت: المكان الذي نشأ فيه الشخص وترعرع، وعادة ما يكون مع أبوين وإخوة وأخوات، ثم زوجة وأولاد. والتعامل مع الأرحام قد اتضح من خلال ما تقدم، ولكن بقي أن نُشير هنا إلى عدة أمور مهمة ينبغي أخذها بعين الاعتبار:

(١) من الخطأ الشائع أن ينام الأبناء مع البنات في غرفة واحدة أو مكان واحد، وإذا ما حدث ذلك لسبب وآخر فاللزام تفريقهم بالمضاجع؛ فالأبناء لهم مكانهم الخاص بهم والبنات كذلك، وعلى الوالدين المسارعة إلى فصلهما إذا ما انساقا إلى مكان واحد سهواً أو من باب اللعب؛ فإنّ لهذا الفصل أهمية كبيرة في مجال سدّ الباب أمام الإثارة الجنسيّة أو حتى التفكير في ذلك.

(٢) الاهتمام بالاحتشام وتغطية معظم الجسد أمام الآخر، لا سيما الأماكن الحساسة؛ لأنّ رؤية هذه المواضع من شأنه أن يحرّك الشهوة والمخيّلة عند الناظر، لا سيما مع ملاحظة أنّ الصور التي يراها الإنسان في طفولته

تبقى منقوشة ومحفوظة لسنوات طويلة، فربما يستحضرها أيام المراهقة والبلوغ فتثيره جنسياً.

٣) متابعة الأبوين لسلوك الأولاد في مجال الجنس والنشاطات العاطفية، ومحاولة تهذيبها، وكم هو جميل ذلك الخلق المحتشم الذي كنا نتعلمه من آبائنا، حيث لا يسمحون لنا أن نتلفظ بمفردات غير لائقة، أو حركات لا تخلو من إحياءات جنسية. قد لا يفهم الطفل معنى هذه المفردات التي يتلفظ بها، أو تلك الحركات التي تصدر منه، ولكن طالما أنها قد توحى إلى أمور جنسية فهي ممنوعة في داخل الأسرة.

٢- أماكن الدراسة

أغلب أماكن الدراسة اليوم مختلطة بين الجنسين، فقلماً تجد مدرسة أو كلية أو معهداً مختصاً بالإناث فقط أو بالذكور فقط، وبسبب هذا الاختلاط تنشأ الكثير من العلاقات بين الجنسين، بعضها إيجابي والآخر سلبي، فالإيجابي هي تلك العلاقات القائمة على أسس بعيدة عن العلاقة الجنسية، وإن كانت المشاعر الجنسية موجودة في النفس، ولكنها لا تساهم في صياغة هذه العلاقات، فهي علاقات علمية أو إدارية أو ثقافية عامة أو اجتماعية، وأما العلاقات السلبية؛ فهي التي تنشأ بدافع الرغبة الجنسية التي تبحث لنفسها عن موضع للتنفيس والترويح، وهذه العلاقات هي وراء الكثير من المشاكل التي تحدث، ولولا أن مجتمعاتنا - والله الحمد - محافظة بقدر ما؛ حيث

تراعي تعاليم الدين ومقتضيات الأخلاق والآداب، لتفاقمت الجرائم الجنسية، ولسقط الكثير من الشباب والشابات في مستنقع الرذيلة والانحراف، كما هو الحال في المجتمع الطلابي الغربي؛ الذي تفقد فيه معظم الفتيات البكارة في وقت مبكر.

فالمجتمع المحافظ ضمانه لحفظ الأعراض وصونها من الرذيلة والدنس والانحراف، ولكن ما معنى: المجتمع المحافظ؟

إنّ المجتمع المحافظ هو الذي يرى أن للأخلاق والأعراف قيماً لا يمكن التنازل عنها، مثل الشرف والعفة، والطهارة والنزاهة، والستر والكرامة، والأصالة، والشجاعة والغيرة، والاحترام والتقدير وغيرها مما هي معروفة ومعلومة لدى أبناء ذلك المجتمع، فهذه الأخلاق وهذه الأعراف لها اعتبارات وقيم ومكانة لا يتنازل عنها هذا المجتمع مهما كانت الظروف ومهما كلف الأمر؛ فاحترام الكبير له قيمة كبيرة في مجتمعاتنا؛ لذا ترى الشباب يقدمونه في الكثير من المواقف، ويفسحون له الطريق إذا كان ضيقاً بهم، ويتركون له المكان المخصص للجلوس؛ ليجلس هو وإن بقي الآخرون واقفين، ويساعدونه على الحركة، ويقللون عثراته وزلاته بما لا يقللون غيره لو صدرت منه، ويستشيرونه ويستفيدون من خبرته وتجربته.

وكذلك احتشام المرأة وعفتها له من الإجلال والتقدير ما يكون مضرراً للمثل؛ فيقال: مثل نساء فلان، أو عائلة فلان إذا كنّ على مستوى عالٍ من

العقّة والوقار، وصحيح أنّ الرجال يرغبون في تحرر المرأة من الحجاب؛ كي يرون مفاتها، ولكنهم في قرارة أنفسهم لا يحترمون إلاّ العفيفة المستورة، بدليل أنهم لا يرغبون في الزواج إلاّ منها، فالعفيفة امرأة محترمة عند جميع شرائح المجتمع، يُشيد بها القاصي والداني، وبسبب الحفاظ على عفاف المرأة وحجابها يقتتل الناس وتنشب بينهم الحروب والخلافات.

كما أن للوالدين احتراماً وقداًسة لا توجد لغيرهما؛ فهما في نظر أبنائهم مصدر الحياة والخير والبركة، لا قول فوق قولهما ولا صوت يعلو صوتهما، هما مصدر القرار في داخل الأسرة، وبهما يُحسم الأمر ويُقطع. ويحظى الوالدان في مجتمعاتنا برعاية فريدة واهتمام خاص، لا سيما عند تقدّم السن بهما.

فأنت لا تجد مثل هذه الأخلاق والأعراف في المجتمعات غير المحافظة؛ أي: المفتحة والمتحررة، كالمجتمع الغربي، والسائد في تلك المجتمعات إنما هو القانون، فليس هناك ضمير يحرك الإنسان نحو هذه المثل - إن كانت مثلاً في نظرهم - وإنما يحركه القانون فقط، فإذا فرض عليه القانون رعاية كبير السنّ واحترامه فإنه سيفعل طالما هناك قانون يُحاسب ويُعاقب، ولكنّه سرعان ما يتنصّل عن ذلك متى أُنعم بالعقوبة، وهكذا بالنسبة لرعاية الأيوين والاهتمام بهما، وبالطبع فإننا لا نقصد الجميع بكل تأكيد، وإنما نقصد الصفة العامة والغالبة.

ولنعد لحديثنا عن ظاهرة الاختلاط والتداخل في أماكن الدراسة، فقد ذكرنا أنّ المجتمع المحافظ يضمن بشكل كبير السلوك الصحيح والسليم،

ولكن ذلك لا يمنع من حدوث المخالفات والخروقات ونحن نشهد كل هذا الانفتاح والحرية الإعلامية والثقافية، مع ملاحظة الهجمة المنهجية ضد أعرافنا وأخلاقنا.

لقد ذكرنا فيما سبق أنّ علاقة الرجل بالمرأة لها عدّة مستويات؛ فهناك علاقة إنسانية، إذ هما من جنس واحد وهو: الإنسان، وهناك علاقة المصالح الاقتصادية، كالعمل المشترك في مجال التجارة مثلاً، وهناك علاقة اجتماعية، كالأقرباء والجار، ونحوهما، وهناك علاقة ثقافة وعلم وفكر، كالأستفادة العلمية المتبادلة بينهما، فالعلاقة بينهما ليست منحصرة بالدافع الجنسي، بل إن هناك دوافع أخرى، اقتصادية أو اجتماعية أو نفسية أو غيرها، على ما تقدّم. والشرعية الإسلامية تؤمن بتوظيف العلاقة في مكانها المناسب، فلا مانع من وجود علاقة اقتصادية بين الرجل والمرأة إذا ما توفرت ظروفها الملائمة، وهكذا التواصل الثقافي والعلمي إذا توفّرت أجواؤه المناسبة، وأما العلاقة الجنسية فلا مكان لها؛ لأنّ ظروفها غير متوفّرة؛ إذ لم تكن المرأة زوجة، أو لم يكن الرجل زوجاً، وإنما تكون هذه العلاقة منحصرة في إطار الزواج فقط.

وبتعبير أوضح: يجب أن تبتعد العلاقة بين الرجل والمرأة عن الدافع الجنسي، إذا لم يكونا متزوجين، فزملاء الدراسة يجب أن تقتصر علاقتها على حدود الدراسة فقط، وعلاقة العمل يجب أن تقتصر عليه فقط.

٣. مواقع التواصل الاجتماعي

لا نجانِب الصواب إذا ما قلنا: إنّ مواقع التواصل الاجتماعي أصبحت اليوم تمثّل مشكلة العصر؛ فمعظم مشاكلنا الاجتماعية والأخلاقية وغيرها ترجع إلى هذا التواصل.

لقد وفّرت هذه المواقع فرصة كبيرة للتواصل بين الشباب والفتيات بعيداً عن أعين الأهل والرقباء، فالشباب يرسل الفئات ويتحدّث معها كما يحلو له بعيداً عن أنظار الأهل، مما أدّى ذلك إلى هتك الأعراض وارتكاب المحرّمات وفساد الأخلاق.

وقد أظهرت المعطيات الإحصائية لمستخدمي هذه المواقع أرقاماً مهولة، وأنها في ازدياد مطرد، فقد أفاد الموقع الإلكتروني [EspandCart] بعض الأرقام، وهي موزّعة كالآتي:

١- أفاد موقع الفيس بوك، وخلال شهر أبريل ٢٠١٨م، أنّ عدد مستخدمي الموقع قُدّر بـ ٢٢ مليار مستخدم شهرياً، ٤١ مليار مستخدم يومياً، وتحميل ٣٠٠ مليون صورة من الموقع نفسه، كما يتم إنشاء ٥ حسابات على الفيس بوك كل ثانية، وما يقرب من ٣٠٪ من المستخدمين تتراوح أعمارهم ما بين ٢٥ سنة و ٣٥ سنة.

٢- انستغرام أكثر من ٨٠٠ مليون مستخدم شهرياً.

٣- يقدّر مستخدمو الوات ساب بنحو ٧٠٠ مليون مستخدم شهرياً، أي: ما يزيد على ٢٣ مليون مستخدم يومياً، وفي المتوسط يسجل حوالي مليون

شخص على الوات ساب يومياً، ويتم إرسال ٤٢ مليار نصّ تقريباً، ويتم مشاركة ٦١ مليار صورة عبر تطبيق الوات ساب يومياً^(١).

وفي جانب آخر تُظهر الإحصائيات أرقاماً مهولة حول عدد الذين يلجئون إلى المواقع الإباحية، وقد قُدِّر العدد بأكثر من ٢٨ ألف مستخدم في الثانية الواحدة، تشكّل النساء النسبة الأكبر في زيارة غرف الدردشات الإباحية^(٢).

وسواء كانت هذه الإحصائيات دقيقة أو لا، فإنها تكشف عن حجم المخاطر التي تنجم عن هذه المواقع، فلا شكّ في أنّ هذه المواقع قد وفّرت للشباب - بل وحتى الكبار - فرصة للتواصل وتكوين العلاقات غير المشروعة، مع توفّر كل مستلزمات الانحراف والسقوط، من مواقع إباحية وبرامج مختلفة تدعو للانحراف وتُعلّم الشباب كيف تتمّ العلاقات وكيف يتعرّف الشباب بعضهم على بعض؟ ناهيك عن مواقع المثليين والشذوذ الذي أخذ يطفو على السطح ويتجاوز كلّ الأعراف والمعايير الخلقية للمجتمعات.

وكم يطرق سمعنا من قصص وحوادث يندى لها الجبين! فكم من امرأة متزوجة وعندها أطفال يُطلّقها زوجها ويفضحها بين الناس، بعدما يكتشف أنّ لديها علاقات ومراسلات مع بعض الرجال! وكم من امرأة تركت

(١) أنظر: محمد بنجدي، العلاقات الجنسية والعاطفية في العالم الافتراضي / دراسة سوسيولوجية:

زوجها وأطفالها وكرامتها وشرفها لتذهب مع عشيقها الذي تعرّفت عليه من خلال مواقع التواصل الاجتماعي! وكم من رجل فقد مكانته وسمعته بين أسرته وعائلته بعد أن اكتشفوا أنه يشاهد مواقع إباحية ويتواصل مع نساء!

إنّ تداعيات هذه المواقع كبيرة ووخيمة، وتطعن الأخلاق والثوابت في الصميم، وليكن معلوماً أنّ قيمة أي مجتمع ترجع إلى قيمة الأخلاق التي يؤمن بها، ومدى محافظته عليها، فإذا ما تماها المجتمع وتسامح مع هذه التداعيات والافرازات فإنه سيفقد قيمته تدريجياً، ويتنازل عن ثوابته الأخلاقية، ولعلّ القارئ لا يغيب عن ذهنه مشاهد التحلل الأخلاقي التي تشهدها مجتمعاتنا المحافظة في بعض المناسبات، مثل أعياد رأس السنة الميلادية، أو ما يسمى بعيد ميلاد المسيح ﷺ، فيختلط الشباب مع الفتيات، ويتراقصون ويتضحكون ويتبادلون الكلمات غير اللائقة على أصوات الغناء والموسيقى، بالإضافة إلى سلوكيات أخرى تُعرض عن ذكرها ترفعاً وتنزهاً.

وإذا استمر الأمر على هذا المنوال، فعلى المجتمع أن لا يستغرب من رؤية شاب مع فتاة يتبادلان الحب والغرام في الأماكن العامة، ويتعانقان ويضمّ أحدهما الآخر، ولا يتعجّب من كثرة الولادات غير الشرعية، وعلى الأبوين أن لا يتفاجأ إذا ما وجدا ابنتهما على علاقة برجل أو أكثر، وربما فقدت بكارتها أيضاً، كل هذه المخاطر وغيرها سببها الحرية الواسعة المعطاة للأولاد في مجال التواصل الاجتماعي عبر الإنترنت، والتسامح في مجال

العلاقات الاجتماعية في الكلية والجامعة والسوق والأماكن العامة وغيرها من الأماكن المختلطة، وإذا ما سألت الأب أو الأم عن سبب التسامح لقال لك: نخشى عليه/ عليها، من الكبت والعزلة. أو يقول: أنا واثق من عفة أولادي وطهارتهم، أو يقول: لا يزال صغيراً دعه يرى الحياة ويتمتع فيها فترة المراهقة والشباب!!

ماذا يعتقد هؤلاء الآباء والمربون؟ هل يعتقدون أن أبناءهم بدءاً من الأبناء؟! أو أن مجتمعهم بدءاً عن باقي المجتمعات؟! فكل مجتمع إذا ما تعرض أبناءه لهزات أخلاقية فإنه يتأثر بها، فهو أمر طبيعي، والتاريخ يشهد بذلك وكذا التجربة، قال الله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(١)، فالآية تتحدث عن معادلة طبيعية وهي: أن فساد الناس وانحرافهم يؤدي إلى فساد الأرض وعموم الانحراف، ففساد الناس يحرق الأخضر واليابس بطريقة يعم الجميع، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٢)، فالفتنة لا تُصيب الظالم فقط بل تُصيب الصالح أيضاً، فالؤمن يُخشى عليه من فساد المجتمع؛ لأن الآية تتحدث عن قانون التأثير، وتبين أن البلاء يصيب الجميع^(٣).

(١) الروم: آية ٤١.

(٢) الأنفال: آية ٢٥.

(٣) أنظر: مغنية، محمد جواد، التفسير الكاشف: ج ٣، ص ٩٥.

إنَّ تأثّر الشاب اليافع بمحيطة الاجتماعي، وبأبناء جنسه مسألة واضحة لا تحتاج إلى إثبات، والشاهد على ذلك ما ذكرنا من أمثلة في ما سبق وما نعيشه ونلمسه في حياتنا اليوميّة، ولهذا فثقة الآباء الزائدة بأبنائهم تكشف عن قلة وعي الآباء وتدني مستوى إدراكهم وفهمهم للأمور.

وستحدّث أكثر عن موضوع مواقع التواصل الاجتماعي عند الحديث عن الحلول والمعالجات.



الفصل الثاني

نشوء العلاقات غير المشروعة

ومراحل تطورها

الفصل الثاني

نشوء العلاقات غير المشروعة ومراحل تطورها

لا شكّ في أنّ دراسة أيّ موضوع يتطلّب الاطلاع على خلفياته التاريخية وأصوله وجذوره؛ فإنّ لها دخلاً في توضيح الكثير من معالمه وخصوصياته، ولهذا سنتحدّث في هذا الفصل عن مبحثين مهمين، الأوّل: عن نشوء العلاقات غير المشروعة، وأنها كيف نشأت ومتى؟ والثاني: المراحل والأدوار التي مرّت بها هذه العلاقات.

المبحث الأول: نشوء العلاقات غير المشروعة

لا شكّ في وجود نوعين من العلاقات الجنسية، الأوّل: العلاقات الجنسية المشروعة، والتي تعني إرضاء الغريزة الجنسية من خلال (الزواج)، والثاني: العلاقات الجنسية غير المشروعة، وهي الممارسات الجنسية خارج إطار الزواج، كالزنا واللواط وغيرهما، ولنا أن نتساءل: أيّ العلاقتين هي الأسبق نشوءاً، فهل نشأت العلاقة المشروعة أولاً ثمّ ظهرت الانحرافات بعد ذلك؟ أو نشأت أولاً العلاقة غير المشروعة، ثمّ وُضعت الضوابط والقوانين، فنشأت العُلقّة الزوجية؟

وبتعبير أوضح: كيف كانت الحياة الجنسية عند الإنسان البدائي؟ هل كان الجنس مباحاً ومشاعاً بين الجميع، فالمرأة مشاعة بين جميع الرجال، كما أنّ الرجل له أن يمارس الجنس مع أيّ امرأة شاء، ثمّ ظهرت الحاجة بعد ذلك إلى تكوين عائلة ووضع ضوابط للممارسات الجنسية؟ أو أنّ الجنس لم يكن مباحاً إلاّ بين الزوجين فقط، وإنما ظهر الانحراف بعد ذلك؛ لأسباب ومبررات متعددة؟

توجد إجابتان عن هذا التساؤل: إجابة دينية، وأخرى غير دينية، ولنبدأ بعرض الإجابة غير الدينية، ثمّ نتناول الإجابة الدينية.

الإجابة غير الدينية:

يرى بعض الفلاسفة وعلماء الاجتماع أنّ الجنس كان مباحاً عند البشر البدائيين، فالمرأة مشاعة بين رجال القبيلة وغيرهم، كما أنّ الرجال مباحون لها أيضاً، فليس هناك ضوابط أو قوانين أو أعراف تمنع من ذلك، وإنما ظهرت القيود والضوابط بعد ذلك بسبب العقائد والديانات والقوانين الوضعية والأعراف القبلية.

فهذا الفيلسوف الألماني (فردريك انجلز) يذكر في كتابه: (أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة) أنّ الزواج الجماعي الذي تكون فيه جماعات بأسرها من الرجال وجماعات بأسرها من النساء في علاقات جنسية مشتركة هو السائد في الشكل القديم للعائلة الإنسانية البدائية^(١)، فالمرأة مبدولة لكل

(١) أنظر: فردريك انجلز، أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة: ص ٢٧.

الرجال، دون قيد أو شرط، وينتج عن ذلك أنّ الأولاد لا ينتسبون لأبّ بعينه، ويمكن أن ينتسبوا إلى الأم.

ويقول باحث آخر: «إنّ الزواج على الصورة التي نعرفها الآن لم يعرفه الإنسان البدائي؛ ذلك أنّ المفروض أنه لم يكن يعرف للأسرة نظاماً ثابتاً ولا للعلاقات الجنسية حرمة، وليس ببعيد أو بمستغرب أنه كان يتصل اتصالاً جنسياً بأمه وجدته وأخواته وبناته وحفيداته، غير أن غريزة التملك والاستئثار قد هدته - على تعاقب الدهور والقرون - إلى الحرص، ولو إلى وقت قصير، على إحدى النساء باختطافها والهرب بها بعيداً عن مواطنيه ومساكنيه، خاصة حين يكون مرغوباً فيها من أنداده»^(١).

وبحسب هذا تصوّر لا يعرف الإنسان البدائي أي شيء عن (العائلة) التي تتألف من أبّ وأمّ وأولاد، كما لا يعرف شيئاً عن (الزواج)؛ لأنّ العائلة تفترض وجود علاقات أحادية بين الرجل والمرأة، وعلاقات فردية بينهما، وحيث إنّ هذا التصوّر يقوم على أساس فكرة الجنس المشاع، وأنّ المرأة مشاعة للجميع، فليس لنا أن نتصوّر وجود عائلة أو علاقة زوجية .

فالحياة الجنسية في بداية الإنسانية كانت تتسم بالإباحية في أوسع نطاقها، فليس هناك من قانون أو نظام أو عرف يمنع من ذلك، ثمّ تضيّقت الدائرة بمرور الزمن بسبب ظهور الحاجة إلى العلاقة الأحادية، فسُنّت

(١) عبد الله حسين، تاريخ ما قبل التاريخ: ص ١٩٠ .

القوانين والتشريعات؛ لتنظيم هذه العلاقات ووضع لها حدوداً، وفي ضوءه انقسمت العلاقات إلى مشروعة وأخرى غير مشروعة، فتقيّد (العلاقات الجنسية) وفق رؤية هؤلاء أمرّ طارئ ومتأخّر، ولم يكن من أول الأمر.

ويحاول أصحاب هذا التصوّر أن يدعموا تصورهم ببعض الشواهد والقرائن، منها: قياس عالم الإنسان على عالم الحيوان؛ حيث لوحظ أنّ بعض الحيوانات تعتمد مبدأ العلاقات الجنسية المشاعة، وبعيداً عن العلاقات الأحادية، نعم قد تطرأ الأحادية نظراً لبعض الظروف، كحاجة الأنثى إلى الذكر في أثناء الحمل أو عند الشعور بالخطر، فالإنسان البدائي لا يختلف كثيراً عن حال هذه الحيوانات. ومنها: أنّ ملاحظة الكثير من الشعوب التي لا تزال تعيش البدائية يؤكّد مبدأ الإباحية في حياة الإنسان البدائية، إذ تكشف الدراسات والكثير من الرحلات عن وجود هذا المبدأ في هذه الشعوب في العهود القريية منا. ومنها: العهد الأمومي، فإنّ التاريخ يحدثنا عن كثير من القبائل والأقوام كانوا يُنسبون إلى الأم، وليس إلى الأب؛ مما يدلّ على أنهم لم يكن لديهم آباء محدّدون لينتسبوا إليهم، وهو تعبير آخر عن الإباحة الجنسية التي كانوا يعيشونها، إلى غيرها من الشواهد.

ويواجه هذا التصور العديد من التساؤلات الموضوعية التي لم تلقَ جواباً مقنعاً من قبل دُعاة هذا الاتجاه، فمن تلك الأسئلة:

١. إنّ هذا التصوّر يعتمد في أصوله على نظرية التطوّر والنشوء أو ما تسمى بـ(نظرية دارون) التي تدّعي أنّ هناك نوعاً من القرودة قد تطوّر فتحوّل إلى إنسان، فلذا كان الإنسان البدائي يشبه - إلى حدّ كبير - الحيوانات. ولكن من الواضح أنّ هذه النظرية عاجزة عن إثبات نفسها، فهي تفتقر إلى الدليل والبرهان، فكيف يمكن إثبات ما يترتب عليها من آثار ونتائج؟ فأصحاب هذا التصوّر عليهم أولاً أن يقنعونا بصحة نظرية التطوّر والنشوء، ثمّ يرتبوا عليها هذا التصوّر.

٢. لو سلمنا بصحة نظرية التطوّر، فلماذا يقيس أصحاب هذا التصوّر الإنسان على بعض الحيوانات ذات العلاقات الشيوعية، ولم يقيسوه على الحيوانات ذات العلاقات الأحادية، كما في القرودة أو في بعض أنواعها؟ فإنها ذات علاقات فردية، وهي تعتمد نظام العائلة، فهناك أب وأمّ وأولاد، فربما كان الإنسان البدائي يشبه هذا النوع من الحيوانات، خصوصاً وأنّ هذه النظرية تدّعي تطور الإنسان من القرودة.

٣. كيف لنا أن نتعرّف على حياة الإنسان القديم من خلال ملاحظة حياة الإنسان المعاصر، اعتماداً على بعض التشابه والمقاربات في طبيعة العيش؟ فكيف نستطيع الحكم على الإنسان القديم من خلال ملاحظتنا لقبائل الهنود الحمر مثلاً؟ فمجرد وجود تشابه بين حياة الإنسان البدائي وهذه القبائل في طريقة العيش لا يُثبت الاشتراك من جميع الجوانب، يضاف

إلى ذلك أنّ قبائل الهنود الحمر وأمثالها تعتمد نظام العائلة والزواج، ولديهم في هذا المجال قوانين وأحكام، وهناك دراسة مستفيضة بخصوص هذا الموضوع قام بها الفيلسوف (إدوار ويستمارك) في كتابه: (موسوعة تاريخ الزواج)، حيث استعرض فيها حياة القبائل ذات الطابع البدائي، وما هي قوانينهم وأحكامهم في مجال الزواج والانحرافات الجنسية، وما هي العقوبات المترتبة على ذلك.

٤. كيف نستطيع التوفيق بين فكرة الإباحية وبعض الغرائز المودعة في فطرة الإنسان، مثل الغيرة، وحب الحياة والتملك؟ فالرجل عندما يعاشر امرأة ولو لفترة محدودة لا يسمح لرجل آخر أن يعاشرها أو يأخذها منه، فأين كانت هذه الغرائز في حياة الإنسان البدائي؟ أيمكن أن لا تكون موجودة عنده؟ وإنما نشأت ونمت في داخله بعد فترة من الزمن؟ وهذا خلاف كونها غرائز وأموراً فطرية.

ثم إنّ هذا التصور يبتني على أنّ الأخلاق أمور كسبية يتعلمها الإنسان ويتلقاها من محيطه ومجتمعه، فليست هناك أمور أخلاقية وأخرى غير أخلاقية، وإنما هذه أحكام تعلّمها الإنسان بمرور الزمن من خلال الأعراف والتشريعات، فالعفة والأمانة والصدق والنبل والشجاعة والوفاء وغيرها من الأخلاق النبيلة كلها أمور كسبية ليس وراءها إلاّ العرف والقوانين والأحكام المجتمعية، وهذه أيضاً مجرد دعوى تحتاج لإثباتها أدلة وبراهين، فلو عاش شخص في غابة لوحده فهل ترى أنه سينشأ مجرداً من هذه المعاني؟

ثم لم لا يصحّ العكس، فيكون الإنسان البدائي قد عاش حياته في أجواء من العفة والشرف والوفاء، فكان للمرأة زوج واحد تحفظه ولها عائلة، ثم طرأت بعد ذلك طوارئ وحدثت تغيّرات جعلت الإنسان يتنازل عن بعض الأمور الفطرية، مثل العفة والغيرة والوفاء، فسمح لنفسه أن يتحرر منها بسبب الشهوة والإغراء وتسويلات النفس ونحو ذلك؟

والخلاصة: أنّ فكرة الإباحية عند الإنسان البدائي مجرد دعوى وتحمين تفتقر إلى الدليل والبرهان، ولا يصحّ أن نرتّب عليها آثاراً أو نحكم من خلالها على طبيعة الحياة الإنسانية القديمة، كما لا يمكن أن ننفي بسببها الرؤية الدينية إذا أمكن إثباتها بالأدلة والشواهد .

الإجابة الدينية:

يؤمن الاتجاه الديني بأنّ الإنسان خُلق كجنس مختلف عن الحيوانات وسائر المخلوقات، فيختلف عنها في الشكل والمضمون، فهو لم يكن حيواناً مشابهاً لبقية الحيوانات في يوم من الأيام ثمّ تطور وصار إنساناً، وإنما خُلق الإنسان على هذا الشكل وبهذه الكيفية من أول الأمر، وقد زُوّد بالكثير من الغرائز والشهوات إلى جانب العقل الذي يستطيع من خلاله تنظيم تلك الغرائز وتوجيه تلك الشهوات، ووضع الله له شريعة ومنهاجاً، فأدرك الإنسان في أول وجوده أنّ هناك علاقات مشروعة وأخرى غير مشروعة، وقد أدرك ذلك بفطرته وإرشاد عقله وفي ضوء الشريعة الإلهية.

تقول الرواية الدينية: إنّ الله خلق (آدم) وهو أبو البشر، ثم خلق له زوجاً وهي (حواء)، وأتمها قد تزوجا قبل أن يهبطا إلى الأرض، فهما يعرفان الزواج والعفة والحياء والطاعة والمعصية وغيرها، ويدل على ذلك ما ذكره القرآن متحدثاً عن قصتهما، فذكر القرآن أنّ الله بعد أن خلق آدم أودع فيه العلوم والمعارف: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^(١)، ثم خلق حواء وزوجها إياه، ﴿وَقُلْنَا يَتَّكِدُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾^(٢)، فآدم وحواء يعرفان الزواج وأنّ العلاقة الجنسية ينبغي أن تمرّ من خلال مسارها الطبيعي وهو الزواج، كما أنها يعرفان العفة والستر والحياء، ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾^(٣)، فلمّا تكشّفت لهما عورتاهما استحيا؛ فجعلتا يغطيانها بأوراق الشجر، مما يعني أنهما يعرفان الستر وأنّ هناك مواضع في الجسد يجب أن تبقى مستورة كما كانت قبل أكلهما من الشجرة، وحيث إنّ الورق لا يفي بالغرض أنزل الله لبني آدم لباساً يمكنهم أن يسترُوا أجسادهم به، فقال تعالى: ﴿يَبْنِيْ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُؤَرِّى سَوْءَ تَكُمُ وَرِيشًا﴾^(٤)، فلا معنى لستر الجسد إذا لم يكونوا يشعرون بالحياء ويلمسون بفطرتهم ضرورة ستر بعض المواضع.

(١) البقرة: آية ٣١.

(٢) البقرة: آية ٣٥.

(٣) الأعراف: آية ٢٢.

(٤) الأعراف: آية ٢٦.

فالرؤية الدينية تعتبر الأخلاق والفضائل أموراً مغروسة في طبيعة البشر، فلا يختلف فيها الإنسان القديم عن الإنسان الحديث، فكلاهما يشتركان في الطبيعة والفطرة، فما نجده الآن في داخلنا من مشاعر وأحاسيس وقيم أخلاقية هو نفس ما كان يشعر به الإنسان البدائي، نعم نحن نختلف عنه من جهة التقدم العلمي والتكنولوجي، وربما نختلف عنه في جوانب أخرى، ولكن القيم الأخلاقية والفضائل لا تختلف .

فالإنسان البدائي كان يصرف شهواته الجنسية عبر قناة (الزواج) حصراً، أي من خلال العلاقات المشروعة، ثم بعد ذلك وبسبب ظروف متعددة ظهرت الانحرافات السلوكية وصار البعض يصرف شهواته عبر علاقات غير مشروعة، فظهر الزنا واللواط وغيرهما من الانحرافات الجنسية.

وتشير المصادر التاريخية إلى أن الفاحشة والعلاقات الجنسية غير المشروعة قد ظهرت بعد آدم بفترة من الزمن، فيذكر أن سلالتين من ولد آدم، كان أحدهما يسكن السهل، والآخر يسكن الجبل، وكان رجال الجبل يتمتعون بجمال الوجه بخلاف نسائهم الآتي لا يمتلكن جمالاً ووضاءة، بينما كان نساء السهل يتمتعن بجمال على خلاف رجالهنّ، وإن إبليس أتى رجلاً من أهل السهل في صورة غلام، فأجر نفسه منه، وكان يخدمه، واتخذ إبليس شيئاً يشبه المزمار، فجاء فيه بصوت لم يسمع مثله، فبلغ ذلك من حولهم، فانتابوهم يستمعون إليه، واتخذوا عيداً يجتمعون إليه في السنة، فتتبرج الرجال

للنساء، ويتزين النساء للرجال، وإنّ رجلاً من أهل الجبل دخل عليهم وهم في عيدهم ذلك، فرأى النساء، فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك، فتحولوا إليهنّ، فنزلوا معهنّ، فظهرت الفاحشة فيهنّ^(١).

فالانحرافات والعلاقات غير المشروعة أمرٌ طارئ على المجتمع الإنساني، نشأ بسبب ثوران الشهوات وطغيانها، وترك العنان للنفس ومشتهاياتها، دون الرجوع إلى منطق العقل وتوصيات الشرائع والأعراف.

المبحث الثاني: العلاقات الجنسية في الحضارات القديمة

يتفق الجميع على أنّ ظهور الحضارات وانتشار القيم المجتمعية فرضت قيوداً على طبيعة العلاقات الجنسية، ووضعت حدوداً للمشروع منها عن غير المشروع، فأباحّت ممارسة الجنس ضمن العلاقات الزوجية أو ما هو بمثابة الزواج، فلا يسمح بممارسته خارج هذا الإطار، بل ويُعاقب عليه القانون، وقد تبلغ العقوبة حدّ القتل، وفي ما يلي نذكر نماذج من تلك القوانين:

١- شريعة السومريين

من أقدم الشرائع العراقية الواصلة إلينا إلى الآن هي شريعة أور نمو، (٢١١١-٢٠٠٣ ق.م)، وقد جاء في المادة الرابعة منها: «إذا أغوت زوجة رجل بمفاتنها رجلاً آخر، بحيث إنه ضاجعها، فللزواج الحق في أن يقتل المرأة - أي:

(١) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٢٢، ص ٧.

الزوجة. ولكن يجب اطلاق سراح الرجل الذي أغوته المرأة»^(١)، فهذه المادة تدلّ على عظم جريمة الزنا في هذه الحضارة، ولا يقف الأمر على ذلك، بل يتعداه إلى مستوى الاتهام، فقد نصّت المادة الحادية عشرة من الشريعة على أنه: «إذا اتهم رجل زوجة رجل آخر بالزنا، ولكن النهر (الحكم) أثبت براءتها، فعلى متهمها أن يدفع غرامة...»^(٢)، فهذه الشريعة تعاقب على مجرد الاتهام، مما يكشف عن شدة الاهتمام بالأعراض والعفة والشرف.

وجاء في المادة (٢٨) من قانون إيشنونا، وهو يسبق (حمورابي) بنصف قرن: «إذا تزوج رجل امرأة بدون سؤال أبيها وأمها، ولم يقيم وليمة ليلة الزفاف، ولم يكتب (بذلك) عقداً مختوماً مع أبيها وأمها فلا تعتبر (هذه المرأة) زوجة شرعية، حتى لو عاشت في بيته سنة كاملة»^(٣).

٢- شريعة البابليين

لم يختلف البابليون في قوانينهم كثيراً عن قوانين السومريين، فهناك مواد قانونية في شريعة حمورابي تؤكد على ضرورة المحافظة على سلامة العلاقات الجنسية وأنها لا بدّ أن تكون في إطار الزواج، وأنها إذا ما خرجت عن إطارها المرسوم عرّضت صاحبها إلى العقوبة، فقد نصّت المادة (١٢٩) من شريعة

(١) كاوه محمود، الزنا في الشرائع القديمة: ص ١٥.

(٢) المصدر السابق: ص ١٦.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٠، ٢١.

حمورابي على القانون التالي: «إذا قُبِضَ على امرأة سيّد مضطجعة مع سيد ثان، فيجب عليهم أن يوثقونها ويلقونها في الماء، ويمكن لزوج المرأة أن يبقي زوجته على قيد الحياة إن رغب، كما يمكن للملك أن يخلّص حياة أمتة»^(١)، ولا تقتصر العقوبة على المرأة فقط، فقد جاء في المادة (١٣٠): «إذا اغتصب شخص عفاف زوجة سيّد لم يسبق أن تعرّف على رجل ولما نزل في بيت والدها، ونام في حضنها وقُبِضَ عليه أثناء ذلك، فإنّ هذا الرجل يُقتل، وهذه المرأة تترك»^(٢)، وفي هذه الشريعة توجد الكثير من المواد المهمة التي تتعلّق بالشرف والعفاف وزنى المحارم، وعقوبة الفاعل وغير ذلك.

٣- شريعة الآشوريين

تناولت النصوص القانونية الآشورية مسائل المحرّمات الجنسية، والعقوبات المترتبة عليها، فنصّت بعض المواد على أنّ الذي يزني بامرأة محصنة يواجه عقوبة القتل وكذلك المرأة، كما أنّ المغتصب يواجه نفس المصير، فجاء في بعض المواد: «إذا خرجت زوجة رجل من بيتها، وذهبت إلى مسكن رجل [آخر] وضاجعها وهو يعرف أنها متزوجة، فالرجل والمرأة يقتلان»^(٣). والملفت أنّ العقوبة في هذه الشريعة لا تقتصر على الزنا فقط، بل تشمل حتى بعض

(١) شريعة حمورابي: المادة (١٢٩).

(٢) المصدر السابق: المادة (١٣٠).

(٣) كاوه حمود، الزنا في الشرائع القديمة: ص ٢٩.

حالات التحرش، مثل مدّ اليد للمرأة لغرض المداعبة، ومثل التقبيل، فالقانون ينص على قطع إصبع من أصابعه، في الحالة الأولى، وقطع اللسان في الثانية^(١)، وهناك غيرها من العقوبات، ويمكن إجمال العقوبات الواردة في قانون الآشوريين بما يلي:

- (١) الزنى بامرأة متزوجة/ قتلها معاً.
- (٢) اغتصاب المرأة مع ممانعتها/ قتل الرجل.
- (٣) إذا مدّ رجل إصبعه لامرأة بغية المداعبة/ يقطع إصبع من أصابعه.
- (٤) إذا قبّل رجل امرأة/ يقطع لسانه.
- (٥) عقوبة القاذف، فلو قال رجل لآخر: (زوجتك زانية) ولم يُثبت التهمة فعقوبته/ الجلد أربعين جلدة، ويوضع في خدمة أعمال الملك شهراً كاملاً، ويعلم بعلامة.
- (٦) عقوبة اللائط مع ثبوت التهمة عليه ...

٤- مصر القديمة

لا تختلف مصر القديمة في قوانينها عن غيرها من الشرائع القديمة، إذ كان الزواج هو القناة المشروعة لممارسة الجنس، ويُعتبر الخروج عن هذا الإطار عملاً مداناً يعاقب عليه القانون، ويرفضه المجتمع، ويدلّ على ذلك صيغة القسم التي يُثبت بها المتحدث لآلهته أنه لم يزن، ففي لوحة منسوبة

(١) المصدر السابق: ص ٢٨.

لبعض الشخصيات قد سجّل عليها سلوكه السيويّ، جاء في بعض الفقرات؛
«... لم أضاجع العبدّة التي كانت في منزل أبي، ولم أغو خادمته»^(١).

وكانت هناك عقوبات قاسية للخيانة الزوجيّة، فخيانة الزوجة قد تبلغ عقوبتها حدّ الموت، وقد تبلغ جِدَع الأنف، وأما خيانة الزوج فربما يُجلد، وقد لا يعاقب، ولكن لا شكّ في تعرّضه لإدانة اجتماعيّة^(٢).

٥. الحضارة اليونانية

كانت النساء في أثينا تتميّز بالحجاب والحشمة والعقّة^(٣)، وكان المجتمع يفرض على المرأة أن لا تخرج من الدار إلّا وهي ترتدي الحجاب اللائق، على أن تصحب معها مَنْ يوثق به، وفي غير هذه الحالة لا يُسمح لها بالخروج من الدار، وكانت المرأة تقضي معظم وقتها في الجناح المخصص للنساء والذي يقع في مؤخّر الدار، ولم يكن يُسمح لزائر من الرجال أن يدخل إليه، كما لا يسمح لها بالظهور إذا كان مع زوجها زائر^(٤).

وكان القانون يعاقب الزانية والرجل إذا زنى بمتزوجة بالإعدام، ولكنهم قد يتساهلون في تطبيق هذا القانون، حيث يُترك الأمر للزوج، فله أن يقتل الزاني إذا وجده متلبساً، كما له أن يرسل عبداً لقتله، أو يأخذ تعويضاً^(٥).

(١) ليز مانيش، الحياة الجنسية في مصر القديمة: ص ٢١.

(٢) أنظر: كاوه، محمود، الزنا في الشرائع القديمة: ص ٣٤.

(٣) أنظر: ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة: ج ٢، ص ١٠٣.

(٤) أنظر: المصدر السابق: ص ١١٨.

(٥) أنظر: المصدر السابق: ص ١١٥.

٦. الحضارة الرومانيّة

لا يختلف الأمر كثيراً في روما عنه في أثينا، فالعفة والطهارة ومحافظة الفتاة على البكارة والشرف أمرٌ في غاية الأهميّة، فكان القانون الروماني والمجتمع يقدّسان الحياة الزوجية، فلا يسمحان بالخيانة الزوجية، وكان القانون يعطي للزوج صلاحية قتل الزوجة في حال خيانتها.

والملفت أنّ النساء العواهر في المجتمع الرومي لا يسمح لهنّ بلبس (مئزر الأمّهات) وهو شعار الزوجة المحترمة، وكنّ محصورات في أماكن مظلمة في المجتمع^(١).

هذه نماذج من أحكام العلاقات غير المشروعة في الشرائع غير الدينية والتي سبقت الشريعة اليهودية والمسيحية، أو الأخيرة على الأقل، وقد اتضح أنّها جميعاً تقدّس رابطة الزواج وتعتبره القناة الوحيدة لممارسة الغريزة الجنسية، وأنّها تُدين بقوانينها وتقاليدها وأعرافها كل علاقة جنسية خارجة عن هذا الإطار، يتضح ذلك فيها من خلال شدّة العقوبات الصارمة تجاه الخروج عن الحدود السليمة للعلاقات الجنسية المشروعة، مما يدلّ على خطورة هذه العلاقات وتأثيراتها السيئة.

والذي يبدو أنّ ظاهرة الانحرافات الأخلاقية وانتشارها بشكل واسع قد حدثت بعد المسيح ﷺ، وهذا لا يعني أنّ الانحراف لم يكن موجوداً قبل

(١) أنظر: ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة: ج٩، ص ١٤١-١٤٤.

ذلك، كلا، فقد كانت الانحرافات موجودة، كما في قصة قوم لوط مثلاً، ولكن لم تكن هذه الظاهرة واسعة الانتشار، وإنما كانت محدودة وضمن حدود معينة، ويمكن لنا أن نذكر بعض الشواهد:

١- يتحدث القرآن الكريم عن حقتين زمنيّتين، الأولى: عصر الأنبياء من زمن النبي آدم إلى النبي عيسى عليه السلام، والثانية: ما بعد ذلك، وفي هذه الحقبة قد انتشرت الفاحشة وساد الانحراف واختلفت أخلاق الناس، مما يعني أن الأمر لم يكن بهذا المستوى في الحقبة الأولى، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجَبَيْنَا^١ إِذْ نُنَالِي عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرَوْا سُجَّدًا وَبُكِيًا * خَلَقَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا^(١)﴾، وهذا لا يعني أن في الحقبة الأولى لم تكن هنالك انحرافات واتباع للشهوات، كيف لا يكون والقرآن يحدثنا في قصة هابيل وقابيل، كيف قتل قابيل أخاه؟، ويحدثنا أيضاً عن قوم لوط ومفاسدهم، ويحدثنا عن ضلال الأمم وانحرافاتهم التي عاقبهم الله عليها، ولكن ما تدلنا عليه الآية الكريمة أنّ في تلك الحقبة لم يكن الانحراف والضلال واسعاً وعماماً وفي كل أرجاء المعمورة، بل كان هناك نوع من الاستقامة والالتزام أكثر مما هو عليه في الحقبة الثانية.

٢- يحدّثنا القرآن الكريم عن قوم لوط عليه السلام، وعن علاقاتهم الشاذة، والتي يقول عنها: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحْشَاءَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ * إِنَّا نَكُفُّ عَنْكُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾^(١)، فهذه العلاقة لم تكن موجودة قبل زمان النبي لوط عليه السلام، ولم يكن يعرفها أحد، مما يعني أنّ الانحرافات الجنسية والعلاقات الشاذة ظهرت بشكل تدريجي، ولم تنشأ مع نشوء الإنسان، والذي يؤكّد أنّ ظهور الشذوذ بدأ في عصر لوط عليه السلام أو قريباً منه أنّ شريعة السومريين خلت من الحديث عنه، وإنّما جاء ذلك في شريعة الآشوريين، كما تقدّم، وزمان لوط عليه السلام يتصل بزمان الآشوريين، وكان يسكن في بلادهم.

والخلاصة: أنّ الإنسان البدائي لم يكن يعيش الإباحية الجنسية، والمرأة لم تكن مشاعة بين رجال القبيلة كما يزعم بعض الباحثين، بل كان يمارس علاقاته الجنسية ضمن إطار الزواج، وكان يحافظ على العائلة وتماسكها، وتصون الزوجة زوجها، وقد تعلّم ذلك بفطرته وغريزته، وهدته إليه الشرائع السماوية التي جاءت مع مجيء الإنسان، بالإضافة إلى القوانين التي سنّها الإنسان؛ فإنّها لم تخرج عن هذه الدائرة، حيث شرّعت قوانين تحفظ بها الأسرة وتصون الأخلاق، كل ذلك لكي لا يخرج الإنسان عن دائرة العلاقات السليمة.

فالحضارات التي حكمت العالم وعاش الإنسان في كنفها - سواء في العصور القديمة أو المتوسطة - كلها قد سنّت قوانين لحفظ الأسرة وصيانة العائلة من الضياع والتفكك بسبب العلاقات الجنسية غير الشرعية، وكلّما حاول الخروج عن هذه الدائرة تعرّض لمختلف العقوبات الجسدية والنفسية والمالية، التي قد تصل أحياناً إلى القتل أو الإلقاء بالماء أو حتى الحرق، مما يعني أن ممارسة النشاط الجنسي خارج إطار الزواج لم يكن وفق الحالة الطبيعية المألوفة، وإنما كان يشكل ظاهرة غريبة أو مرفوضة اجتماعياً.

المبحث الثالث: العلاقات الجنسية في الأديان الإبراهيمية

وكان للأديان السماوية الثلاثة دور مميز في إرساء قواعد الأخلاق وترشيدها، لا سيما ما يرتبط منها بعالم الجنس، وتنظيم العلاقة بين المرأة والرجل، فكلها تتفق على ضرورة أن تنحصر العلاقة الجنسية في إطار الزواج فقط أو ما بحكمه.

ففي التوراة الموجود حالياً بين أيدينا توجد نصوص تنهى عن الزنا، منها: «لا تزن... لا تشته امرأة قريبك»^(١)، ومنها: «إذا زنى رجل مع امرأة قريبه، فالزاني والزانية يقتلان»^(٢)، وبعض النصوص تحرّم الشذوذ الجنسي، وتعاقب عليه بأشدّ عقوبة، مثل اللواط بالذكر، وإتيان البهيمة، فقد ورد:

(١) الكنيسة، الكتاب المقدّس، (العهد القديم): ص ١١٩، ١٢٠.

(٢) التوراة والإنجيل، موقع arabicbible، ص ٢٠٩.

«وإذا ضاجع رجل ذكراً مضاجعة امرأة، فكلاهما يقتلان لأنها ارتكبا رجساً. ويكون دمهما على رأسيهما»، وورد أيضاً: «وإذا عاشر رجل بهيمة فإنه يقتل، وكذلك البهيمة تمتونها أيضاً، وإذا قاربت امرأة بهيمة ذكراً لتنزوها فأمتها. كلاهما يقتلان، ويكون دمهما على رأسيهما»^(١)، إلى غيرها من النصوص الكثيرة التي تحرّم العلاقات الجنسية بشتى أشكالها إذا كانت خارج إطار الزواج.

وأما الإنجيل الحالي والمشمّل على تعاليم النبي عيسى عليه السلام، فالأمر فيه لا يقتصر على الزنا، بل يتعدّى ذلك إلى تحريم النظر إلى المرأة الأجنبية شهوة، فقد جاء في تعاليمه عليه السلام لأصحابه: «قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن، وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتيتها فقد زنى بها في قلبه»^(٢)، وجاء في بعض النصوص: «أن النساء يزيّن ذواتهن بلباس الحشمة مع ورع وتعقل لا بصفائر أو ذهب أو لآلئ أو ملابس كثيرة الثمن، بل كما يليق بنساء متعاهدات بتقوى الله بأعمال صالحة»^(٣)، فعلى النساء المسيحيات أن يحتشمن ويتورعن ويتجنبن إظهار المفاتن التي تثير شهوة الرجل، وعليهن أن يظهرن بمظهر النساء الصالحات.

(١) المصدر السابق.

(٢) الكنيسة، الكتاب المقدّس، (العهد الجديد): ص ٩.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٣٩.

وأما الشريعة الإسلامية، فقد كانت قوانينها صارمة وشديدة - في هذا الجانب - أكثر من بقية الديانات السابقة، فإنها قد حرّمت العلاقات الجنسية التي هي خارج إطار الزواج أو ملك اليمين، كما حرّمت المقدمات التي تؤدي إليها وتشجع عليها، وبما أن النصوص في هذا الشأن كثيرة فسوف نقتصر على بعض الشواهد:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾^(١)، فالآيات تعطي قانوناً عاماً، حيث يُسمح بممارسة العلاقات الجنسية في إطار الزواج وملك اليمين فقط، وأما خارج هذا الإطار فهو من مصاديق التعدي، ولذا وصفهم تعالى بقوله: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾^(٢).

وأما ما يتعلّق بالمقدمات، فقد أوجب القرآن الحجاب على النساء وحرّم عليهنّ التبرّج كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾^(٣)، كما أوجب غَضّ البصر على كلّ من الطرفين بقوله: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾^(٤)، إلى

(١) المؤمنون: آية ٥-٧.

(٢) المؤمنون: آية ٧.

(٣) النور: آية ٣١.

(٤) النور: آية ٣٠-٣١.

غيرها من المقدمات التي سيأتي الحديث عنها مفصلاً في الفصل الخامس إن شاء الله تعالى.

وبهذا يتضح أنّ كلّ التشريعات والقوانين والأعراف والتقاليد تسمح بممارسة العلاقات الجنسية ضمن إطار الزواج فقط، ولا تسمح بما هو خارج عن ذلك، كما أنها تفرض عقوبات في حقّ المخالفين؛ صوناً للأسرة وحفظاً للعائلة من التفكك والانحيار، مما يعني أنّ الأسرة تعتبر شيئاً مقدساً يجب المحافظة عليه.

ويجدر الالتفات إلى أنّ التشريعات القانونيّة المعاصرة تعتبر العلاقة الزوجيّة شيئاً مقدساً، وأنّ الزنا جنحة^(١)، تجعل من الطلاق أمراً مبرراً، ففي القانون الفرنسي، يُعدّ الزنا جنحة، ويترتب عليه أنّ أحد الزوجين يحقّ له طلب الطلاق فيما لو زنى شريكه^(٢)، كما أنّه ينصّ على معاقبة الزانية بالحبس لمدة سنتين، وأما الزوج الزاني فعقوبته غرامة ماليّة^(٣).

ولكن مع كلّ هذا نرى أنّ المجتمعات الغربيّة والكثير من الشرقيّة تعيش حالة من التحرر الجنسي، والانفلات الأخلاقي، فكيف حصل هذا التحول الكبير والواسع؟ وما هي المبررات والعوامل التي ساهمت في وصوله

(١) الجُنَاح: الجناية والجُرْمُ، ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٢، ص ٤٣٠.

(٢) أنظر: عبد الله علي حسين، المقارنات التشريعية بين القوانين الوضعية المدنية والتشريع الإسلامي: ص ٢٤٩.

(٣) أنظر: كِبّارة، د. عبد الفتّاح، الزواج المدني/ دراسة مقارنة: ص ١٦٢.

إلى هذا المستوى من الفساد والانحطاط، فالخلفية الدينية والحضارية لهذه الشعوب كانت على خلاف ما هو سائد اليوم؟
 علماً أنّ هذا التحلل الأخلاقي قد طرأ على المجتمع الغربي متأخراً، ولم يكن كذلك في العصور القديمة، كما قد اتضح ذلك من خلال حديثنا السابق عن الحضارة اليونانية والرومانية، وفي المبحث اللاحق ستناول أبرز العوامل التي أدت إلى الانحراف الأخلاقي في المجتمع الغربي.

المبحث الرابع: عوامل الانحراف الأخلاقي في المجتمع الغربي

إذا تتبعنا جذور هذا الموضوع يتضح لنا أنّ تحلل هذه المجتمعات يعود إلى عدّة أسباب ومبررات، نذكر بعضاً منها:

١- لقد جرت العادة ومن قديم الزمان أن يقوى سلطان المرأة كلما زادت ثروة المجتمع، ذلك أنه إذا امتلأت البطون أخلى الجوع الميدان للحب؛ لذلك انتشرت الدعارة واللواط في روما بعد اتصالها ببلاد اليونان وبلاد آسية. كما يقول كاتو: «إنّ الرجال في جميع أنحاء العالم يحكمون النساء، أما نحن الرومان الذين نحكم جميع الرجال، فإنّ نساءنا يحكمننا»^(١)، ويجدر الالتفات إلى أنّ من قوانين روما القديمة أي ما قبل ١٩٥ ق.م، أنه يحرم على النساء الخروج إلى الأسواق وهنّ يضعن الزينة ويلبسن الألوان والتحلّي بالذهب وركوب العربات، ولكن في عهد كاتو، تمّ إلغاء هذا القانون وقوانين أخرى

(١) ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة: ج٩، ص١٨٦، وما بعدها.

كانت تحدّ من حرّية المرأة وتقلل من نفوذها وسلطتها، بفعل الضغط الجماهيري، وقد حذر كاتو المجتمع من إلغاء هذا القانون مبيناً لهم عواقبه الوخيمة وإنه سيؤدي في النهاية إلى تسلّط النساء على الرجال، فينتشر الفجور والفساد في المجتمع^(١).

فإذن، زيادة الثراء من أهمّ العوامل في الانحلال الخلقي وانفصام رابطة الزواج^(٢). وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه الحقيقة كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾^(٣).

٢- من العوامل أيضاً كثرة الزواج القائم على أساس المصالح السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فهناك الكثير من الرجال يندفعون إلى الزواج بنساء على أساس الثروة التي تملكها، أو الموقع الاجتماعي لها أو لعائلتها، فلم تكن الدوافع هي الحب والعطف والقناعة، مما حدا بالكثير من الزوجات وهكذا الأزواج إلى البحث عن علاقات أخرى ملء الفراغ العاطفي الذي يشعرون به، ومما زاد الطين بلة أنّ الطلاق بحسب قوانين الدولة الرومانية لم يكن محصوراً بالزوج، فيجوز للزوجة أن تطلق زوجها، هذا ما أدى إلى انتشار ظاهرة الطلاق في المجتمعات، وعلى حدّ تعبير بعض المؤرخين: «ولم

(١) أنظر؛ ول وإيريل ديورانت، قصة الحضارة: ج ٩، ص ١٨٧، ١٨٨.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ٢٧٨.

(٣) الإسراء: آية ١٦.

يكن نَمّة امرأة موسرة إلاّ طُلقت مرّة على الأقل»^(١)، وذكر هذا المؤرّخ تعليلاً لكثرة الطلاق بقوله: «فقد كان أكبر أسباب انتشار الطلاق أن الزواج عند الطبقات العليا أصبح خاضعاً للمال والسياسة؛ ذلك أن الرجال كانوا يختارون أزواجهم أو كانت الأزواج يُخترن للشبان؛ ليحصلوا منهم على أكبر البائئات^(٢) أو صلات يفيدون منها جاهاً ومالاً»^(٣).

٣- من بين العوامل المهمّة دور الكنيسة السلبي تجاه القضايا الفطريّة والماديّة في الإنسان؛ فإنّ رجال الكنيسة قد أساءوا فهم الدين، فشرّعوا أحكاماً بحسب آرائهم وفهمهم، مما انعكس سلباً على حياة المجتمع، فالكنيسة كانت تنظر إلى العلاقات الجنسية نظرة سلبية، وأنّ الشهوة واللذة رذيلة حتى لو مُورست في إطار الزواج، وإنّما الهدف من الزواج يجب أن يقتصر على طلب الولد فقط، وبعيداً عن أي رغبة أخرى، وكان هذا الفهم الخاطئ والبعيد كلّ البُعد عن مقتضيات الفطرة البشرية أحد العوامل المهمّة لنشوء العلاقات غير المشروعة، وتعاطي حالات الشذوذ حتى بين القساوسة والمتدينين، كما أنه كان من المبررات المهمة للثورة ضدّ الكنيسة ورجالها، بل ضدّ الدين وفكرة الألوهيّة، وتحوّل الكثير كردّة فعل إلى الإلحاد والفكر الماديّ^(٤).

(١) المصدر السابق: ص ٢٧٨.

(٢) البائنة: العطيّة. أنظر: البدرى، عادل عبد الرحمن، نزهة النظر في غريب النهج والأثر: ص ٩٣.

(٣) المصدر السابق.

(٤) أنظر: كُبّارة، عبد الفتاح محمد ظافر، العلاقات الجنسية دراسة تاريخية فكرية دينية: ص ٥٢،

وما بعدها.

٣- الثورة الجنسية التي حدثت في أوروبا في نهايات الستينيات وبداية السبعينيات من القرن العشرين، والتي كانت تدعو للتحرر الجنسي، بعيداً عن القيود الدينية والتقاليد والأعراف^(١).

٤- الابتعاد عن الدين بسبب عدة عوامل من أهمها: دعوات بعض الفلاسفة للتخلي عن الدين، وتحذير المجتمع منه، وأنه السبب الرئيس وراء تراجع الشعوب واضطهادها وحرمانها، فمن هؤلاء الفيلسوف الألماني كارل ماركس صاحب المقولة الشهيرة: «الدين أفيون الشعوب»^(٢)، أي: إن الدين مادة تحدر الشعب عن التطور والتكامل وتغيير الواقع المأساوي، وتمنع من انتشالهم من الفقر والتعاسة؛ وذلك لأن الدين يدعو إلى الآخرة، ويؤكد على أن هناك جنة فيها كل ما يشتهي الإنسان؛ فعلى هذا الأساس لا داعي لأن ينشغل الإنسان بما يفنى ويزول.

٥- ظهور حركات ومنظمات تدعو إلى التحرر من القيود الدينية والوضعية، كإباحة الجنس والمخدرات، مثل حركة (الهيبيز) التي ظهرت في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين، حيث ظهرت في أمريكا وانتشرت بعد ذلك في عموم الغرب، وقد استقطبت ملايين الشباب والمراهقين، ثم بدأت

(١) أنظر: الثورة الجنسية، ويكيبيديا، <https://ar.wikipedia.org/wiki>

(٢) كارل ماركس، نقد فلسفة الحق عند هيجل: ص ١.

بعد ذلك بالتراجع والذوبان ضمن حركات سياسية ومنظمات اجتماعية أخرى، ولكن تركت هذه الحركة وأمثالها آثاراً سلبية كبيرة وواسعة في الثقافة الغربية والتي منها ما يرتبط بالمعتقدات الدينية والسلوكيات الأخلاقية^(١).

(١) أنظر: مقال منشور على النت تحت عنوان: صيف الحب: ثورة (المهييز) التي أعاد فشلها صياغة شكل العالم.



الفصل الثالث

مفهوم الانحرافات الجنسية وأسبابها

الفصل الثالث

مفهوم الانحرافات الجنسية وأسبابها

الانحراف الجنسي ليس ظاهرة حديثة العهد، بل هي قديمة، حيث شهدت الأمم السابقة أنواعاً من الشذوذ والانحراف، وقد تحدّث القرآن الكريم والكتب السماوية عن قوم لوط والشذوذ الذي كان سبباً في هلاكهم واستئصالهم، كما تحدّثت كُتب التاريخ - كما ألمحنا إلى ذلك في ما سبق - عن ممارسات شاذة وانحرافات شهدتها الإنسانيّة قديماً. فالانحراف الجنسي ليس وليد الساعة، بل هو ظاهرة قديمة، قد عانى المجتمع الإنساني منها كثيراً.

إلا أن الملفت اتساع هذه الظاهرة وانتشارها في هذا العصر بشكل واسع، وقد صار لها قانون وتشريع يخصصها عند بعض الدول العلمانية، وصار لأصحابها حقوق وواجبات. ولأهميّة هذا الموضوع وخطورته تصدّى الكثير من الباحثين للكتابة حوله ودراسته بشكل مفصل، حيث بحثوا أسبابه وآثاره وأنواعه وطُرق علاجه، ونحن فيما يلي سنستعرض جوانب مهمة من هذا الموضوع.

المبحث الأول: معنى الانحراف الجنسي

لتحديد معنى الانحراف الجنسي وُجدت عدّة اتجاهات:

الأول: أنّ الغاية من الجنس إنما هي طلب الذريّة وبقاء النسل البشري، فمتى ما كان الهدف من الممارسة الانجاب كان ذلك هو الجنس الطبيعي السليم، وأما لو لم تكن الغاية هي الانجاب والتناسل، سواء كانت لمجرد المتعة واللذة أو غيرها فإنه سيكون انحرافاً وخروجاً عن الوضع الطبيعي^(١). وهذا الاتجاه ليس صحيحاً؛ لأنّ معناه أنّ الذي يمارس الجنس مع أمه أو أخته أو غيرها من المحارم من أجل الإنجاب وطلب الذريّة ليس انحرافاً جنسياً، وهو أمر لا أظن أنّ صاحب الاتجاه نفسه يوافق عليه، فكلّ المفكرين والباحثين - بل كلّ المجتمع - يستهجن ذلك ويمجّه. كما أنّ ممارسة المرأة الياثس للجنس يُعدّ انحرافاً جنسياً حسب هذه المقولة؛ لأنها في هذا السنّ لا تتمكن من الحمل، وهكذا المرأة العقيمة والرجل العقيم، وأيّ عاقل يتفوّه بمثل هذا الكلام؟!!

كما أنّ ممارسة الجنس لمجرد اللذة والمتعة لماذا لا يكون شيئاً طبيعياً؟! ليست الغريزة الجنسية أمراً فطرياً مودعاً في طبيعة الإنسان وفطرته؟! ثمّ كيف نُثبت أنّ الطبيعة لا تطلب غير الإنجاب؟! فلماذا لا تقتضي المتعة أيضاً؟! إنّ هذا مما يحتاج إلى دليل وإثبات.

الثاني: أنّ الجنس الطبيعي هو: نشاط جنسي يؤدي في النهاية إلى عملية التناسل^(٢)، ويفترق هذا الاتجاه عن سابقه: بأنّ الغاية حصول التناسل حتى

(١) أنظر: كولن ولسن، أصول الدافع الجنسي: ص ١٤، ١٥، نقلاً عن تولستوي.

(٢) أنظر: المصدر السابق.

لو سبق القذف في المهبل سلسلة من الممارسات غير الطبيعية، فالمهم أن يكون القذف في فرج المرأة، فلا يُعارض هذا الاتجاه أن يُصاحب هذه الممارسة اللذة والمتعة.

وتُسجّل على هذا الاتجاه نفس الملاحظات التي تمّ تسجيلها على الاتجاه الأوّل، فالذي يمارس الجنس مع زوجته دون أن يقذف يُعدّ ذلك نوعاً من الشذوذ.

الثالث: إنّ كلّ ممارسة جنسيّة تهدف إلى الإشباع الجنسي بعيداً عن مراعاة القيم الاجتماعية والقوانين الدينية والوضعية تُعدّ انحرافاً جنسياً؛ لأنه خارج إطار النظام القانوني والقيمي^(١).

ويُسجّل على هذا الاتجاه أنّ القيم الاجتماعية تختلف من مجتمع لآخر، كما أنّ القوانين تختلف أيضاً، إذ على هذا الأساس يكون الزنا في المجتمع المحافظ انحرافاً بينما يكون في المجتمع الذي يسمح به أمراً طبيعياً، فالمجتمع الاسلامي لا يُجيز الزنا فيكون انحرافاً، بينما المجتمع الغربي يسمح به ويُطلق عليه: العلاقة خارج إطار الزواج، أو نحو ذلك، فهي علاقة مشروعة ومقبولة اجتماعياً، فيكون شيئاً طبيعياً، وهكذا الزواج بين المثليين، وظاهرة التعرّي في الأماكن العامة، إلى غيرها من الممارسات التي تختلف من مجتمع إلى آخر بحسب درجة المقبولية.

(١) أنظر: حسنة عزوز، الانحرافات الجنسية لدى الشباب / أسبابها وأنواعها: ص ٢٩.

فهذا الاتجاه لا يُعطينا ضابطة كليّة نستطيع بها تمييز الانحراف الجنسي عن غيره، بحيث يمكننا في ضوئها التمييز بين الممارسة الطبيعية، والممارسة الشاذة.

وبهذا يتضح أنه لا توجد ضابطة واضحة لتحديد مفهوم الانحراف الجنسي، إلا إذا تبنى الباحث مذهباً دينياً معيناً، حيث يفرض عليه الدين أحكامه وقوانينه، ومن الطبيعي يكون الخروج عنها انحرافاً وشدوذاً. وأما لو أراد الباحث أن يعرف الانحراف تعريفاً سيولوجياً لما نجح في ذلك؛ لأنّ زوايا الرؤية مختلفة، مع تغيّر الموضوعات المقتضي لتغيّر الأحكام، فاللواط كان انحرافاً وشدوذاً ومرضاً نفسياً وهكذا نكاح المحارم، ولكنه الآن يختلف، فالقوانين وبعض التفسيرات العلميّة لا ترى في ذلك أيّ انحراف.

والمهم فإن من الصعب جداً أن نكتشف ضابطة علميّة سيولوجية تحدد معنى الانحراف الجنسي، سوى بعض الحالات التي تمّ الاتفاق عليها لحدّ الآن على أنها شدوذ وانحراف، ولكننا لا ندري، فربما في المستقبل القريب تتحوّل هذه الحالات إلى ممارسات طبيعيّة؛ لأنها تدخل مثلاً في إطار تلبية حاجة نفسيّة مهمة، أو غيرها من التفسيرات والتحليلات.

ولهذا فإننا سنحاول أن نقدّم تفسيراً للانحرافات الجنسيّة وفق الرؤية الدينية الإسلامية، وسيتضح مدى توافقها مع الطبيعة وانسجامها مع النظام الكوني.

لا شكّ في أنّ خالق هذا الكون حكيم عليم، خلقه وُفق نظام محكم ودقيق ومترابط، يشهد بذلك ما بُصره من مظاهر الصنع وآياته، وما نقرأه في الكتب العلميّة التي تتحدّث عن دقّة الصنع وحكمته. ولا شكّ في أنّ الله تعالى شرّع للإنسان شريعة عبر رسله وأنبيائه، فهذه الشريعة نابعة من ذات الصانع والخالق، فالله تعالى هو الصانع وهو المشرّع، ولا شكّ في أنّه حكيم في صنعه وحكيم في تشريعه، ومعنى ذلك: أنّ الشريعة لا بدّ أن تكون متوافقة ومنسجمة مع النظام الكوني تمام الانسجام. فالشريعة «التي يصوغها الله تعالى لا يمكن أن تنحرف عن الكون، أو تختلف معه، في خطّ من الخطوط، أو يصطدم معه في جانب من جوانبه، وإنما هو تعبير كوني عن حياة الإنسان، وموقع الإنسان من الكون وعلاقاته الوثيقة بالطبيعة، تستوحي الكون، وتتجاوب معه وتلتقي به»^(١). فإذن: التشريع الإسلاميّ يشتمل على مراعاة للطابع التكويني، كما سيّضح ذلك قريباً.

وتمتاز الشريعة الإسلامية بالثبات والاستقرار؛ لأنها لا تخضع للرغبات والميول لتتغيّر بتغيّرها، كما أن مشرّعها حكيم عالم بالمصالح، ولا يخفى عليه أيّ شيء، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾^(٢).

إنّ النظام الكوني قائم على أساس الزوجيّة كما تؤكّد ذلك الدراسات العلمية، فالزوجيّة لا تقتصر على الكائنات الحيّة؛ مثل الإنسان والحيوان

(١) الآصفي، محمد مهدي، العلاقة الجنسية في القرآن الكريم: ص ١٤.

(٢) فضّلت: آية ٥٤.

والنبات، بل تشمل حتى الجمادات؛ فالذرة تتألف من نواة وإلكترونات وبروتونات، والنواة تحمل شحنة موجبة والإلكترونات تدور حولها تحمل شحنة سالبة مكافئة لها^(١)، فوجود شحنتين موجبة وسالبة في الذرة شاهد على نظام الزوجية.

ومن الطبيعي لا يُقصد من الزوجية العامة الزوجية بمعناها الخاص الذي نفهمه؛ أي: زوجية الرجل والمرأة، وإنما يُراد العلاقة السالبة والموجبة، فوجود طرف سالب وآخر موجب يوجب تفاعلاً وتماسكاً بين الطرفين، وعلى أساس هذا التفاعل يقوم الكون، فأنت ترى هذا التفاعل قائماً في كل ذرات الكون، ويدخل في جميع معادلاته، فهناك طرف فاعل وآخر منفعل، وهناك طرف موجب وآخر قابل أو مستقبل. وهذه الحقيقة هي ما نصّ عليها القرآن الكريم في قوله: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٢)، فالشيء يشمل كل ما موجود في الكون من حيوان ونبات وجماد، وعلى الأقلّ ثبوت هذا النظام في عالم الأحياء، وبالأخصّ الإنسان، فنحن لا نحتاج في بحثنا إلى إثبات فكرة الزوجية فيما هو أوسع من عالم الإنسان، فالحياة الإنسانية تقوم في بقائها واستمرارها على نظام الزوجية.

فالطبيعة البشرية قائمة على التفاعل بين الرجل والمرأة، فالرجل هو الطرف الفاعل والمرأة هي الطرف المنفعل، الرجل هو الموجب والمرأة

(١) أنظر: النجار، زغلول، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، نسخة الكترونية.

(٢) الذاريات: آية ٤٩.

السالب، وناتج هذا التفاعل بقاء الإنسان واستمرار حياته. فالزوجية في الإنسان نظام كوني وطبيعي قبل أن يكون نظاماً وقانوناً شرعياً.

وكما قلنا: إنّ الزوجية تقوم على أساس وجود طرفين مختلفين، أحدهما فاعل وموجب، والآخر هو القابل والمنفعل، وبدون هذين الطرفين لا يتحقق تفاعل أبداً، فلو كان الطرفان كلاهما من نفس الجنس لما حدث التفاعل بل لحدث التصادم والتنافي والتنافر، كقطبي المغناطيس، فإذا كان أحدهما موجباً والآخر سالباً لحصل الانجذاب والتفاعل والتكامل، بينما لو كان كلاهما موجبين أو سالبين لحصل التنافر والابتعاد، وقال علماء الفيزياء: «إنّ القطبين المتشابهين يتدافعان دائماً، والقطبين المختلفين يتجاذبان»^(١).

وعلى هذا الأساس تكون العلاقة الجنسية الطبيعية والفطرية هي القائمة بين الرجل والمرأة؛ لأنها - كما تقدّم - الطرفان المتجاذبان والمتلازمان في هذه المعادلة، وكلّ نشاط جنسي خارج عن حدود هذه العلاقة هو نشاط منحرف وشاذ، فالمثلية - وهي علاقة جنسية بين رجلٍ وآخر أو بين امرأةٍ وأخرى - تُعدّ انحرافاً وشذوذاً؛ لخروجها عن المعادلة الطبيعية الفطرية؛ فإنها تقوم على علاقة بين طرفين متشابهين، فكلاهما فاعلان أو منفعلان، فالرجل هو الطرف الفاعل والموجب، فكيف يتلاءم مع طرفٍ له نفس الخاصية؟ وهكذا المرأة فإنها طرف منفعل ومتأثر فكيف تتلاءم مع طرف يمتلك نفس الخاصية؟!

(١) المرجع الإلكتروني للمعلوماتية، تخطيط المجال المغناطيسي.

وهكذا العلاقة الجنسية التي تنشأ بين الإنسان والحيوان؛ فإنها شاذة أيضاً؛ إذ الإنسان يختلف عن الحيوان في خلقته وتركيبه، فالأحاسيس والمثيرات والعواطف كلها مختلفة بينهما، فالإنسان مثلاً يثار جنسياً من خلال حافز عقلي محض، أي: من خلال المخيلة، بينما الحافز الجنسي في الحيوان هو الرائحة التي تنبعث من الأنثى^(١)، وهكذا الأمر في الاستمناء؛ وهو ممارسة المتعة الجنسية بدون الشريك، كممارسة الرجل المتعة وحده، أو المرأة وحدها، فهذا أيضاً يدخل في إطار الشذوذ والانحراف؛ لأنّ الممارسة الطبيعية تقتضي وجود طرفين مختلفين، أحدهما فاعل ومؤثر وثانيهما المنفعل والمتأثر، فبدون أيّ طرفٍ من طرفي التفاعل لا تكون الممارسة طبيعيّة، وهكذا بالنسبة لبقية حالات الانحراف وصوره.

ولهذا شرّع الله تعالى الزواج وما كان في معناه، وجعله السبيل الوحيد لممارسة العلاقة الجنسيّة، واعتبر كل ما سواه انحرافاً وجريمةً، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْوَاجِهِمْ حَفْظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾^(٢)، فالذي يبتغي غير الزوج وملك اليمين فقد تعدّى حدود الله تعالى، والمتعدي: هو المتجاوز لما حدّ له^(٣)، فكل ممارسة جنسيّة خارج إطار الزواج وملك اليمين هي تجاوز وانحراف وتعدّ.

(١) أنظر: كولن ولسن، أصول الدافع الجنسي: ص ١٦.

(٢) المؤمنون: آية ٥-٧.

(٣) أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٥، ص ٣٣.

وإلى هنا نكون قد وصلنا إلى النتيجة التالية، وهي: أنّ العلاقة الجنسية الطبيعية هي الزواج وما كان في معناه، وكُلّ ما سوى ذلك شذوذ وانحراف، وسيأتينا المزيد من الحديث حول هذه النتيجة فيما بعد.

المبحث الثاني: أسباب الانحرافات الجنسية

إذا كان الزواج هو السبيل الطبيعي للعلاقة الجنسية، وهو الطريق الفطري النقي الذي لا يشوبه شيء، فلماذا تعاني الإنسانية وعلى مدى التاريخ من الانحراف والشذوذ؟ ولماذا ينحرف الإنسان عن الفطرة؟ وما هي الأسباب والدواعي التي تدفعه لذلك؟ للإجابة عن هذه التساؤلات أهمية كبيرة في هذا الزمان الذي بلغ فيه الانحراف والشذوذ مستويات لم يبلغها من قبل في أيّ حقبة زمنية ماضية.

فنحن اليوم لا نتحدّث فقط عن الزنا والاستمراء ومشاهدة الأفلام الإباحية، وممارسة الجنس مع الحيوان التي صارت - مع الأسف - أموراً مألوفة في المجتمع، وإنما نتحدّث عن المثلية التي بدأت تأخذ طابعاً قانونياً، بعد أنّ شرّعت بعض الدول العظمى قانوناً يُبيح الزواج بين المثليين، ويُعطيها حقوق الزوجية، ونتحدّث عن الممارسات الجنسية الإلكترونية التي تتمّ عبر الإنترنت، والتي يُطلق عليها: (الجنس الإلكتروني)، الذي هو مزلق كبير وواسع لشريحة واسعة من المجتمع، فالذي لا يجرؤ على ممارسة الانحراف بشكل مباشر يتمكن من ممارسته عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

وينبغي الالتفات إلى أنّ الفطرة لا تعني أكثر من الاستعداد والقابلية، ففرخ الطائر يملك بفطرته قابليّة الطيران والاستعداد لذلك، ولكنه موقوف على توفّر مجموعة من العوامل والأسباب، فنبات الريش والسلامة من الأمراض، والنجاة من الأعداء، والتكيّف مع الظروف، وتعلّم الطيران، كلها عوامل لا بدّ من توفرها ليتمكّن من الطيران، وكذلك الإنسان يولد وهو مستعدّ فطرياً للمشي على قدميه، ودون الاستعانة بيديه؛ ولكنّ ذلك مرهون بالتعلّم وتوفّر البيئة التي تساعد على ذلك، فلو عاش هذا الإنسان في بيئة غير بيئته، كما لو عاش مع الحيوان لربما صار يمشي على أربع، وهكذا الأمر بالنسبة للقدرة على النطق والكلام فإنه يحتاج إلى بيئة ملائمة تساعد على التكلّم، وبدونها لا يستطيع النطق على الرغم من استعداده الفطري له، إلى غيرها من الغرائز الفطرية. وبهذا يتضح الجواب عن السؤال المتقدم، وهو: إذا كان الزواج بين الرجل والمرأة هو السبيل الفطري والطبيعي في ممارسة الجنس فكيف ينحرف الإنسان عن هذه الفطرة ويختار شكلاً آخر لهذه الممارسة، كاختيار شريك من نفس الجنس، أو الممارسة بدون شريك، وهكذا؟ فقد اتضح أنّ الاستعداد الفطري وحده لا يكفي ما لم تتوفّر البيئة والظروف الطبيعية، والتأثيرات السليمة، التي تؤدّي إلى هذه الغاية، فلو نشأ الطفل في بيئة تمارس الجنس مع الجنس المماثل فإنه بلا شكّ سوف ينشأ على ذلك. إذن هناك عوامل وأسباب تحرف البوصلة عن وجهتها الطبيعية وتتجه بها إلى جهة أخرى.

ويبقى علينا أن نتعرّف على الأسباب والعوامل التي تؤدي إلى الانحرافات الجنسية والشذوذ، وفي هذا المجال رصدنا العوامل التالية:

١. التقليد ومحاكاة الغير

المحاكاة والتقليد من الأمور الفطرية الواضحة في سلوك الإنسان، فالملاحظ عليه أنه يسلك طرقاً يحثي بها حذو الغير، ويعمل ويتصرّف طبقاً لما يعمل به الآخر، ممن يتأثر به، فاللغة والعادات يتعرّف عليها الإنسان من خلال تقليده للآخرين ومحاكاته لهم، فالطفل يسمع الكلمة من أبيه أو أمه فيرددّها، ثم يستعملها في المعنى الذي يستعملانه فيه، وهكذا يتعلّم اللغة والكلام، وعندما يسمع أصوات الحيوانات يحاول تقليد أصواتها، وأحياناً يحاول محاكاتها في طريقة المشي والعدو وتناول الطعام وشرب الماء، وهكذا يتأثر بالغير على مستوى العمل والنشاط الاقتصادي، فيتعرّف على طرق الزراعة وفنون الصناعات عن طريق تقليد الآخرين، بل يتأثر بهم على مستوى الفكر والعقيدة، فالكثير من الأفكار يحملها الإنسان لا عن قناعة وتأمّل، وإنما عن طريق التقليد ومحاكاة الغير، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة في حياة الإنسان وسلوكه. فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾^(١)، فهؤلاء يحملون عقيدة ويمارسون طقوساً وعبادات قد

تعلموها من آباءهم، فقد وجدوا أباءهم يحملون هذه العقيدة ويمارسون هذه الطقوس فأخذوا ذلك منهم، محاكاةً وتقليداً، ودون أن يمنحوا عقولهم فرصة للتفكير والتأمل.

والخلاصة: يعتمد الإنسان على تقليد الآخرين في الكثير من أفكاره وسلوكياته.

ويجدر الالتفات إلى أن السلوك التقليدي يوفّر للشخص الكثير من المنافع والمزايا، فإنّ التقليد يحتاج إلى دافع يدفع الشخص إلى تقليد الغير، كما لو كان ذلك السلوك منسجماً مع متطلبات النفس من غرائز وشهوات، أو يوفّر للشخص المال والثروة، أو السلطة والمكانة، وربما كان هذا العامل هو السرّ الكامن في فلسفة التقليد والمحاكاة، لا سيما في مراحل النضوج والإدراك.

وتأثّر المقلّد بالمقلّد يرجع إلى:

١- اعتقاد المقلّد أنّ المقلّد أعلى منه وأرفع وأكمل؛ لذا يسعى لتقليده ومجاراته؛ ليكتب له العلوّ والكمال الذي يتمتع به المقلّد، فالطفل يحاول تقليد الكبير في سلوكه، والولد يحاول تقليد أبيه، والتلميذ يقلّد الأستاذ، والجاهل يقلّد العالم، وغير ذلك، ومن هنا يحاول الإنسان الشرقي تقليد الغرب في مختلف مجالات الحياة؛ نظراً للتطوّر الهائل الذي يتمتع به الغرب في الكثير من المجالات، من صناعة وزراعة وتقدم علمي وتكنولوجي، كما أنّ التأثير امتدّ إلى المجالات الأخلاقية والعقائدية والثقافية، فالشباب الشرقي اليوم يؤمن

بالكثير من الأخلاقيات الغريبة ويحاول ممارستها تقليداً ومحاكاة ليس أكثر، كما سنلاحظ لاحقاً.

إذن؛ واحدة من أسباب التقليد ودوافعه هو الاعتقاد بعلو مكانة المقلد وارتفاع شأنه حسب ما يراه المقلد.

٢- طبيعة الصلة والعلاقة بين المقلد والمقلد، فعندما تكون الصلة بينهما قويّة والرابطة التي تربطهما متينة يقوى التقليد والمحاكاة، كما نلاحظ ذلك في الأصدقاء، فالصديق بدافع الحبّ والانسجام النفسي يحاول تقليد صديقه في السلوك والمظهر الخارجي، ويسايره في طريقة التفكير ويشاطره الاهتمامات والنشاطات، وهكذا الأب والابن أو الأم والبنّت في أحيان كثيرة، فعندما تكون العلاقة بينهما متينة تظهر على الأبناء آثار التأثير والمحاكاة، فترى الأبناء يحبون ما يحبه الآباء ويغضون ما يغضونه، لا سيما في العلاقات الاجتماعية، فالشخص الذي لا يرغب الأب في التواصل معه تجد الابن كذلك لا يرغب في التواصل معه، وهكذا الزوج والزوجة، فترى أحدهما متأثراً بالآخر بحسب الودّ والحب المتبادل.

والخلاصة: من أسباب التقليد والمحاكاة طبيعة الصلة وقوّة العلاقة بين المقلد والمقلد.

وبهذا يتضح أنّ من العوامل المؤثرة في نشوء الانحرافات الجنسية وانتشارها تقليد الغير والتأثر به ومحاكاته في السلوك والفعل، لا سيما مع الالتفات إلى ما في الانحراف الجنسي من دافع غريزي وتلبية لنداء الشهوة واللذة، مما يدفع بشكل أقوى وأشدّ لتقليد الغير ومجاراته.

ولنأتي بعد هذا إلى موضوعنا: (الانحراف الجنسي)، فإن التقليد عامل مهم من عوامل انتشار الانحرافات الجنسية في مجتمعاتنا، بل هو من أهم العوامل؛ فشبابنا اليوم شديد التأثر بالغرب فيحرص على تقليدهم ومحاكاتهم في السلوك الأخلاقي، ومن المؤسف أن بعض الشباب وبمجرد أن يذهب إلى بلاد الغرب لغرض الدراسة - أو إقامة مؤقتة - يرجع إلى أهله وهو محمل بأفكار التحرر والإباحية والتحلل الأخلاقي، بدلاً من أن يحمل أفكاراً إيجابية في مجال التقدم العلمي والتكنولوجي، وفي هذه الآونة قد وفّرت شبكة الإنترنت للشباب كل ما يحتاجه في هذا المجال، فلا يتوقف تأثيره بالأفكار الشاذة على السفر إلى بلاد الغرب ليتأثر هناك سلباً، بل يكفي أن يتصفح المواقع المخصص لذلك فيتأثر بها.

إن بعض الشباب ربما يتصور - كما يُراد له ذلك - أن السرّ في التقدم الغربي في مجال العلم والتكنولوجيا وفي مختلف الصناعات والتقنيات وغيرها يكمن في التحرر الأخلاقي والديني والقيمي، بذريعة أن كبت الغرائز في داخل النفس وعدم تحريرها وإطلاقها يؤدي إلى مشاكل نفسية وصحية، واضطرابات سلوكية تمنع من الإبداع والإنتاج، فتقدّم الإنسان وتطوره يأتي من إطلاقه العنان لشهواته وممارسته لغرائزه بحرية تامة، ومن هنا زعم عالم الأعصاب الشهير فرويد أن جلّ الأمراض النفسية - إن لم تكن جميعها - ترجع في الأصل إلى حالة الكبت الجنسي الكامنة في منطقة اللا شعور أو اللا وعي^(١)، كما ربط كارل ماركس بين حالة الضعف والاضطهاد التي تمرّ بها

(١) أنظر: سيجموند فرويد، الكبت: ص ٤.

الشعوب وبين الدين، فزعم أن الدين هو السبب في ضعف الشعب وتقاعسه عن التقدّم والنهوض، ومن هنا أطلق عبارته الشهيرة: (الدين أفيون الشعوب)، بمعنى أن الدين يشبه حبوب المخدرات التي إذا ما تناولها الإنسان دخل في عالم اللا وعي وعدم الإدراك، أشبه بالغيوبة، فالدين يُفقد الإنسان وعيه وإدراكه.

وفي الحقيقة لا توجد أيّ علاقة بين تحرير الغرائز والتقدّم العلمي؛ فإنّ التقدّم العلمي والتقني له أسبابه وعوامله، منها: الاستفادة من التجارب والخبرات، توفر المواد والعناصر اللازمة لذلك، استثمار العقول واستقطاب المبدعين والمخترعين، مع تهيئة الظروف الملائمة، مع الحاجة الملحة للإبداع والاختراع، كل هذه العوامل وغيرها هي وراء تقدّم الإنسان وتطوّره العلمي والتقني، فالتحرر الجنسي والأخلاقي لا علاقة له بالتقدّم العلمي والحضاري، بل ربما الأمر على العكس تماماً فإنّ التحرر الجنسي يجعل الشخص مشغولاً أكثر في اللذة والمتعة، بعيداً عن أيّ نشاط علمي أو فكري، فالإباحية لا توفر للشخص راحةً للبال واستقراراً نفسياً وشعوراً بالرضا الداخلي؛ ليكون ذلك سبباً في زيادة التفكير والنشاط الإيجابي، بل هي لا تجلب إلاّ مزيداً من الهوس الجنسي والإرهاق الفكري والنفسي والجسدي، ولذلك لم يكن المحاربون يصطحبون معهم النساء في المعارك والحروب؛ لأنّ وجودهن يشبّط عزائمهم عن القتال، ويقلل من نشاط المحاربين في الحرب؛ لما يجدون فيهنّ من اللذة التي تقعدهم وتشغلهم عن الغاية التي جاءوا لها. ولو

كان التقدّم الحضاري مرهوناً بالتححرر الجنسي لكان الإنسان البدائي أكثر تقدماً مما عليه الإنسان اليوم، فإنهم - كما أوضحنا ذلك في الفصل الأول - يزعمون أنّ الإنسان البدائي كان يعيش حالة الإباحية الجنسية، ومقتضى هذا الاعتقاد أن يكون الإنسان البدائي أكثر تقدماً وإبداعاً؛ لما يجد في نفسه من راحة واستقرار مما يدفعه نحو التفكير الإيجابي الخلاق. والملفت أنّ أوروبا قد شهدت تقدماً علمياً وانفجاراً تقنياً هائلاً في زمان لم تكن تؤمن فيه بضرورة التحلل الأخلاقي والتحرر من الدين، بل كانت تؤمن بضرورة المحافظة على الأخلاق والدين.

ومنذ متى كان الدين سبباً في تراجع الشعوب وقهرها واستضعافها؟! ومنذ متى كان الدين من أسباب الجهل والتخلف والتدهور؟! ألم يدعو الدين إلى طلب العلم؟! كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ^(١) إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ^(٢)﴾. ألم يأمر القرآن الإنسان بالسعي في الأرض وتطويرها والاستفادة منها؟! وذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَ^(٣) فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا^(٤)﴾، بمعنى أن الله تعالى جعل الإنسان قادراً على عمارة الأرض والسكن فيها^(٥).

(١) الزمر: آية ٩.

(٢) هود: آية ٦١.

(٣) أنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج ٦، ص ١٦.

ألم يساهم الأنبياء في تطوير العلوم والصناعات وقيام الحضارات وتأسيس الحكومات؟! فهذا آدم عليه السلام علمه الله تعالى صناعة الملابس، فيقول تعالى: ﴿يَبْنِيءَ آدَمَ قَدْ أَزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَ تَكُمُ وَرِيشًا﴾^(١)، فآدم بعد أن أكل هو وحواء من الشجرة بدت لهما سوءاتهما، فأخذا يسترانهما بورق الأشجار، كما ألان الله تعالى لنبيه داود عليه السلام الحديد، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أَوْبَىٰ مَعَهُ وَالطَّيْرِ وَأَلْنَاهُ لَهِ الْحَدِيدِ﴾^(٢)، وعلمه صناعة الدروع كما في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُؤْسٍ لَّكُم لِنُحْصِنَكُمْ مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾^(٣)، فالتعبير بـ (لتحصنكم) إشارة إلى كون المصنوع هو الدرع؛ لأنَّ به تحصل الوقاية والتحصن من البأس. وكانت معجزة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله هي القرآن الكريم، ومن أبرز مظاهر إعجازه اللغة، فهو معجز بلفظه وتعبيره، ونحن نعلم أنَّ اللغة من أبرز مظاهر الحضارة.

فالدين يدعو إلى العلم والتعلُّم ويمدح العلماء ويشني عليهم، ويدعو إلى الاستفادة من العلم، ومراجعة العلماء والأخذ عنهم. وهذه قضية واضحة يلمسها كلُّ شخص يطلع على القرآن الكريم وأحاديث النبي الأكرم وأهل البيت ويلاحظ سيرتهم، ولا يحتاج الأمر إلى دليل وبرهان.

(١) الأعراف: آية ٢٦.

(٢) سبأ: آية ١٠.

(٣) الأنبياء: آية ٨٠.

ويجدر الالتفات إلى أنَّ الديانات السماوية كانت تُحدث ثورة كبيرة في المجتمعات التي تنتشر فيها، ثورة أخلاقية وقيمية ومعرفية وتشريعية وفي كل المجالات، فكان الدين ولا يزال يبيِّث في النفوس روح التغيير والرغبة في التكامل والاستقامة، ورفض التخلف والتقليد والخنوع والذل.

مع قليل من الإنصاف ندرك أنَّ فكرة الإباحية الجنسية وتحرير الغرائز هي الأنسب بشعار: أفيون الشعوب، فلهوَس في الجنس أسلوب من أساليب تخدير الشعوب واستغلالهم والهيمنة على عقولهم وأفكارهم، ولو رفعنا شعار: الإباحية أفيون الشعوب، لما كنا مجانبين للصواب، بعد أن أثبتت التجربة الغربية فشلها في هذا المجال؛ فإنَّ الشعوب الغربية - بل حتى الحكومات - تعاني من هذا الانفلات الأخلاقي والتفكك الأسري.

وليت شبابنا يتعلمون من الغرب ما هو نافع ومفيد، فليتهم يتعلمون منهم أسباب التفوق العلمي والتقني، وأسباب التقدُّم الاقتصادي والتكنولوجي، ولكن الشباب - مع الأسف - يتعلمون بدلاً عن ذلك كل ما هو ضار ومتدني، فيأخذون سلبياتهم ويتركون إيجابياتهم، فيذهب البعض إلى الغرب ليقضي أغلب وقته في أماكن الدعارة والفساد وشرب الخمر، والتحلل من الأخلاق والقيم، وكأنه كان في سجن ووجد حرَّيته هناك.

إذن؛ واحدة من أسباب الانحرافات الجنسية هو تأثر مجتمعاتنا الشرقيَّة المحافظة بالمجتمع الغربي المتحلل أخلاقياً، وسبب التأثر يرجع إلى اغترار أبناء مجتمعاتنا بمظاهر التقدُّم الحضاري التي يتمتع بها الغرب.

ويتأثر الشخص أيضاً بالصدق؛ فيكتسب منه الكثير من الأفكار والسلوكيات، فكم من شخص راح ضحية أصدقاء السوء؛ والسبب وراء تأثير الأصدقاء بعضهم في البعض الآخر يكمن في ميول كل منهما للآخر نفسياً وذهنياً بسبب التقارب المزاجي والذوقي بينهما، والتلاؤم في الطباع والأفكار والميول، ويحرص الشخص عادة على أن يكون مقبولاً في وسط زملائه وأقرانه؛ لذا يحرص على إرضائهم، فيفعل ما يفعلون ويسلك طريقهم، فإذا كانوا منحرفين جنسياً فلا شك في أنه سينحرف جنسياً، وإلا فإنهم سوف يطردونه من مخالطتهم ومصاحبتهم؛ لأنه لم يعد منسجماً معهم ومرضياً لديهم.

وفي مدى تأثير صديق السوء يذكر لنا التاريخ القصة التالية:

كان عقبة بن أبي معيط وأبي بن خلف صديقين حميمين، وكان عقبة لا يأتي من سفر إلا صنع طعاماً يدعو له أشراف قومه، وكان يُكثر من مجالسة النبي ﷺ، فقدم يوماً من سفرٍ وصنع طعاماً على عادته ودعا أشراف القوم إليه، وكان من بين المدعوين رسول الله ﷺ، فلما قُدم الطعام امتنع رسول الله ﷺ من الأكل، وقال: ما أنا بآكلٍ من طعامك حتى تقول: أشهد أن لا اله إلا الله وأني رسول الله. فقال عقبة: أشهد أن لا اله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله. ولما علم أبي بن خلف بذلك انزعج من تصرف صديقه عقبة، فقال له: صبئت يا عقبة؟! فقال عقبة: لا والله ما صبئت، ولكن دخل علي بيتي وأبى أن يتناول طعامي حتى أشهد له، فاستحييت أن يخرج من بيتي، ولم يطعم طعامي، فشهدتُ له. فقال له أبي: ما كنتُ براضي عنك أبداً حتى تأتيه

فتبزيق في وجهه! ففعل ذلك عقبة، وارتدّ، وأخذ رحم دابة فألقاها بين كتفيه. فقال له النبي ﷺ: لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوتُ رأسك بالسيف. ففُصِرَ عنقه يوم بدر صبراً. وأما أبي بن خلف فقتله النبي ﷺ بيده يوم أحد مبارزة^(١). وهذه الحادثة نزل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَوَيْلَ لِيَئِنِّي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾^(٢).

فهذا الرجل وقع ضحية صديق السوء الذي كان يحرص على إرضائه إلى درجة أن يتنازل عن مبادئه الخلقية وأعرافه الاجتماعية.

إنّ الكثير من الجرائم الجنائية والخلقية - كالقتل والسرقة والاعتصاب واللواط وهتك الأعراض وشرب المسكرات وتناول المخدرات وغيرها - ترجع إلى تأثر المجرم بأصدقاء السوء الذين خلقوا منه أداة للفساد والانحراف، وفي الحديث: «صحبة الأشرار تُكسبُ الشرَّ، كالريح إذا مرّت بالنتن حملت نتناً»^(٣)، فالريح التي هي تشبه فطرة الإنسان في نقائها وصفائها، إذا مرّت على قذارة وجيفة فإنها سرعان ما تفقد ذلك النقاء؛ فتتحوّل إلى ريح كريهة يتنفّر منها الإنسان، ولا يقدر على استنشاقها، فكذلك الإنسان النقي الطاهر إذا ما خالط الأشرار فإنه سيفقد ذلك النقاء وتلك الطهارة.

(١) أنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان، ج ٧، ص ٢٨٩.

(٢) الفرقان: آية ٢٧-٢٩.

(٣) الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص ٣٠٤.

٢. الانسياق وراء الشهوة

لا شكّ في أنّ الشهوة الجنسية هي من أقوى الشهوات في الإنسان وأكثرها إلحاحاً، كما أنّ لها تأثيراً كبيراً على نفسيّة الشخص وسلوكه وتفكيره، وهذا شيء محسوس بالوجدان. ولكن في نفس الوقت فإنّ كثرة الانشغال بالجنس والتفكير الزائد فيه له آثار سيئة جداً، ومردودات نفسيّة وخيمة، والأمراض النفسيّة والجسدية التي تولدها الإباحية لا تقلّ خطراً عن الأمراض النفسيّة والجسدية التي يولدها الكبت، ولربما كانت في الكبت أهون، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ترك الخطيئة أيسر من طلب التوبة، وكم من شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً، والموت فضح الدنيا، فلم يترك لذي لبّ فرحاً»^(١)، فالتبادي في طلب الإشباع الجنسي يجلب إلى الشخص الكثير من المشاكل، كما أنّ التماهي مع الشهوة لا يوفرّ للشخص قناعة أو شعوراً بالارتواء، بل هو أشبه شيء بشرب ماء البحر، لا يزداد شاربه إلاّ عطشاً. وقد أجاد كولن ولسن حينما قال: «من منا لا يحسد السلطان الذي يلتفت إلى وزيره، حين يرى فتاة جميلة، ويقول له: أحضرها إلى قصري الليلة. لكن هل هذا فعلاً هو ما يجعل حياة الإنسان الجنسية كاملة؟ بالطبع لا، ولعدة أسباب؛ منها أنّ السلطان سيضجر من حريمه كما يضجر أمين المكتبة من كتبها. ما يريد السلطان أن يجربه مرة ومرة هي تلك الأحاسيس التي تنتاب شاب يمارس الحب لأول

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٤٥١.

مرة، ويعرف أن حبيبته على استعداد أن تمنحه نفسها كلياً. إنّ الحريم المملوء بالنساء لن يكون مثيراً بعد عدة أسابيع، أكثر من حضيرة مملوءة بالأبقار. ما يبرز في ذهن أيّ شخص يملك العقل ليتعمّق هذه المشكلة هو أنّ الحاجة لكل النساء هي خدعة وحيلة»^(١). ولك أنّ تشبّه الأمر بالأكل، فهو لا همّ له إلاّ أكل الأطعمة والتفكير فيها، مما يُسبب له السمّة والتخمة والكثير من الأمراض والمشاكل النفسيّة، فهكذا حال من يُطلق العنان لشهواته؛ فإنه لا يزداد إلاّ تعلقاً ورغبة، دون أن يكون ذلك عاملاً مساعداً على كبح جماح الشهوة أو الوصول إلى مستوى الرضا النفسي والشعور بالارتواء؛ وذلك لأنّ المحرّك الأساسي للشهوة في الإنسان إنّما هو الخيال، فالأفكار والصور الذهنية هي المحرّك الأساس للشهوة عند الإنسان، وبذلك يفترق عن الحيوان، فإنّ محرّك الشهوة في الحيوان إنّما هو الرائحة، وهذا الخيال إذا ما سيطر على الإنسان فإنه يفقد السيطرة على شهوته، ويبقى أسيراً لذلك التفكير والخيال، وربما يُشير إلى ذلك حديث أمير المؤمنين عليه السلام القائل: «غالب الشهوة قبل قوّة ضراوتها، فإنها إن قويت ملكتك واستقادتك ولم تقدر على مقاومتها»^(٢).

فإعطاء النفس كل ما تُريد من لذة جنسيّة يقود الشخص إلى الانحراف الجنسي؛ لأنّ الشهوة تضغط على النفس للوصول إلى مستوى الإشباع، مما

(١) كولن ولسن، الجنس والشباب الذكي: ص ٤٨.

(٢) الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص ٣٥٠.

يعني التوسّع في النشاط الجنسي، والبحث عن وسائل وأساليب جديدة لبلوغ النشوة والارتواء من ممارسات مثليّة واغتصاب أطفال ودعارة وشذوذ وغيرها، وقد ينتهي به المطاف في أحد المصحّات أو السجون المخصصة لأصحاب الشذوذ، أو ينتهي به الحال أن يُصاب بأحد الأمراض الخطرة التي يسببها الانحراف الجنسي كالإيدز: (مرض نقص المناعة) أو غيره من الأمراض، ناهيك عن الجرائم التي قد يقترفها أثناء مغامراته الجنسية.

٣. تفكك الأسرة

تمثّل الأسرة نواة اجتماعيّة أو خليّة اجتماعية، فالمجتمع يتألّف منها، مثل الخلايا التي يتألّف منها الجسم. وهذه الأسرة تعتمد في وجودها وبقائها على العلاقة القائمة بين أفرادها قوّة وضعفاً، فكلما كانت علاقة الأب والأم قويّة وهكذا علاقتها بالأولاد تكون الأسرة متماسكة وقويّة، وتخضع لنظام وسلطة، ومن ثمّ الاستقرار والهدوء، وأيّ شرخ أو تصدّع يُصيب هذه الأسرة ينعكس على أفرادها بشكل سلبي، وقد يحصل ذلك بفقدان أحد الأبوين، أو ابتعاد أحدهما عن الأسرة، كما لو سافر الأب وتركهم، وقد يحصل ذلك بسبب الطلاق أو افتراق الأبوين بسبب المشاكل، أو يحصل ذلك بسبب كثرة المشاكل داخل الأسرة، كالمشاكل بين الزوجين أو بينهما وبين الأولاد، أو غيرها من العوامل التي تؤدي إلى تفكك نسيج العائلة؛ فإنّ هذا التفكك يؤثّر بشكل كبير في سلوك أفراد العائلة لا سيما الأولاد، ومن بين

تلك الآثار السلبية هو الانحراف الجنسي؛ فإنَّ نسبة كبيرة من المنحرفين جنسياً أو الذين لديهم علاقات جنسية شاذة ينتمون إلى أسر مفككة.

إنَّ تفكك الأسرة يعني غياب دور المرشد والمربي والموجه، فعندما يبتعد الأب عن الأسرة بسبب انفصاله عن الأم - أو مشاكله معها أو بسبب العمل - فإنَّ الولد يأمن المراقبة والمحاسبة، أو يجهل الكثير من الأمور التي تطرأ على حياته فلا يُحسن التعامل معها، كالنضوج الجنسي الذي يشتد في مرحلة المراهقة؛ مما يتطلب متابعة الأبوين للولد وتعليمه وتربيته جنسياً وفق المسار الصحيح، وكيفية التعامل مع المتغيرات الجسمية والنفسية والذهنية، وتحذيره من السلوك الخاطئ وتجنُّب الأصدقاء المنحرفين والسيئين، مع المراقبة والمتابعة.

إنَّ الأسرة المفككة والمنهارة لا تتمكن من تعليم الأولاد وحفظهم من الانحراف؛ لأنَّ كلاً من الأبوين مشغولٌ بمشاكله وحياته، كما أنَّ تأثير التفكك الأسري لا يقتصر على انحراف الأولاد فقط، بل يسهم في انحراف الأبوين أيضاً، فالمرأة التي تفقد حنان الزوج واهتمامه ربما تدعوها الحاجة لإنشاء علاقات غير مشروعة مع رجل آخر، أو ربما علاقات شاذة، وهكذا الرجل عندما لا يجد من زوجته إلاَّ القطيعة والنفرة.

وتؤكد الدراسات والاستبيانات على تأثير التفكك الأسري في الانحرافات الجنسية لدى الأولاد؛ فإنها تُشير إلى أنَّ الكثير من الشباب

والشابات من المنحرفين والشاذين جنسياً كانوا ضحية واقع أسري متدهور^(١)، فالأب يغيب عن البيت كثيراً، أو كان منفصلاً عن زوجته، أو انشغال الأبوين بنفسيهما، فلم يجد هؤلاء الشباب أحداً يرشدهم إلى ما يحتاجون معرفته مما يخص الحياة الجنسية، والغريزة الجنسية تضغط عليهم وتدفعهم للتفريغ، فالتجأوا إلى الشارع حيث أصدقاء السوء ينتظرونهم؛ ليأخذوهم إلى عالم الانحراف والشذوذ. وللوقوف على عوامل التفكك الأسري، ومدى تأثيره في انحراف الأولاد يمكن مراجعة بعض الأبحاث والدراسات التي تناولت هذا الموضوع^(٢).

٤- ضعف الوازع الديني

يدخل تحت هذا العنوان نقطتان:

١- الضعف الديني الناشئ من الجهل بالأحكام الشرعية وعدم معرفتها، فيتورط الشخص في سلوكيات منحرفة؛ لأنه لا يعرف الحكم الشرعي الخاص بذلك السلوك، فلو كان على معرفة ودراية بوظيفته الشرعية ربما لن يتورط بمثل هذا السلوك.

(١) أنظر: حسنة بن عزوز، الانحرافات الجنسية لدى الشباب/ أسبابها وأنواعها: الفصل الخامس، الجانب الميداني: ص ٨٧-١٠٥.

(٢) أنظر: نادية هایل عبد الله العمرو، التفكك الأسري وعلاقته بانحراف الفتيات في الأردن، (رسالة ماجستير). وأيضاً: الهواري، ازدهار خلف، الهبارنة، نجاح حسين، العوامل المؤدية إلى التفكك الأسري وانحراف الأحداث في المجتمع الأردني. (مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد ١٨٦ الجزء الثاني، أبريل سنة ٢٠٢٠م).

٢- الضعف الديني الناشئ من عدم مراعاة الأحكام الشرعية والتهاون في تطبيقه بسبب تسويل النفس وضغط الشهوة، فهو يعرف أنّ الزنا حرام، ولكنه يتهاون في ذلك ويستسهل ارتكاب الحرام، ويعرف أنّ أي علاقة عاطفية مع المرأة الأجنبية محرّمة، ولكنه لا يستطيع مقاومة هذه العاطفة، ويضعف أمام هكذا نوع من العلاقات.

فالكثير من الناس يتورّطون بعلاقات غير مشروعة نتيجة جهلهم بالحكم الشرعي الخاص بالعلاقات بين الرجال والنساء، فهم لا يعرفون ما هو المسموح به وما هو غير المسموح، ولا يعلم بحرمة هذه العلاقة إلاّ بعد أن ينشئ سلسلة من العلاقات المحرّمة والمشبوهة والتي تتبعها محرّمات. علماً أنّ التورّط بمثل هذه العلاقات ليس من السهل التخلّص منها، وربما لا يفلح البعض في ذلك؛ لأنها تحاكي الجانب الغريزي في الإنسان، وهو ما يدعوه إلى التماهي مع الشهوة والتفكير فقط في كيفية إشباعها ولو على حساب الدين.

يُذكر أنّ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام مرّ بدارٍ يُسمع منها صوت الطرب واللّهو والمجون، فخرجت جارية لترمي القمامة، فسألها الإمام عليه السلام: صاحب الدار حرّ أم عبد؟ فقالت: حرّ، فقال لها: صدقت، لو كان عبداً لخاف من مولاه. فلما عرف سيدها بذلك خرج حافياً مسرعاً خلف الإمام عليه السلام فلما لحقه تاب على يديه^(١).

(١) أنظر: العلامة، الحسن بن يوسف بن المطهر، منهاج الكرامة: ص ٥٩. وأيضاً: المقدسي،

بالفعل فإن الإيمان بالله والخشية منه تعالى من أهم أسباب الاستقامة والتهديب وكبح جماح النفس الأمّارة بالسوء.

لو لاحظنا حال الإنسان في فترات العبادة ومواسم ممارسة الشعائر الدينية وحاله في غير ذلك، ففي أيام شهر رمضان مثلاً يتوجه إلى العبادة والطاعة والالتزام الديني، فتقلّ عنده المشاغل الماديّة وتنحسر نشاطاته الغريزية، فالبعض ممن يمارس الرذيلة يتركها في شهر رمضان، ويتجه إلى الصوم والعبادة، وهكذا في موسم الحج حيث الناس ينشغلون بأداء هذه الفريضة ويتناسون أو ينشغلون عن الشهوات واللذائذ، أو يقلّ اهتمامهم بهذا الجانب، وتبقى هذه الحالة الروحيّة عند الكثير منهم فترة طويلة ما بعد الحج، وهكذا أيام المناسبات الدينية، مما يُعطي ذلك زخماً روحياً يدفع الناس إلى الطاعة والحرص - ولو وقتياً - على حدود الشريعة . وهذا يؤكّد أهميّة الوازع الديني في حفظ الإنسان أخلاقياً وسلوكياً.

وتُشير النصوص الدينية - بشكل واضح - إلى أهمية الالتزام بالعبادات في مجال تهذيب الأخلاق والتربية الروحية، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(١)، فللمصلاة تأثير ودور في استقامة الشخص وتهذيب أخلاقه، وابتعاده عن الفحشاء والسلوك غير المناسب، ومنه العلاقات المحرّمة، فالمحافظة على الصلاة يساهم في

القضاء على العلاقات غير المشروعة، وجاء في الحديث عن النبي الأكرم ﷺ، أنه قال: (أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم، يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا قال: فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بها الخطايا)^(١)؛ وذلك لأن إقامة الصلاة في أوقاتها تجعل الإنسان ذاكراً لله في هذه الأوقات مراقباً لسلوكه، وهذا المعنى لا يقتصر على الصلاة بل هو شامل لباقي العبادات، مثل الصوم والحج وغيرهما، وإنما ذكر ذلك النبي كمثال، حيث قال: فذلك مثل الصلوات الخمس.

٥. المواقع الإباحية

إن أخطر ما يتعرض له هذا الجيل هو المواقع الإباحية التي تستهدف أخلاق الشباب وأعرافه وقيمه؛ حيث تقوم هذه المواقع بنشر فيديوهات لممارسات جنسية صريحة، من زنا ولواط ومساحقة وممارسات شاذة وصور عارية ومحادثات متسافلة، تُثير المشاهد وتعلمه كيف ينحرف، وبعض هذه المواقع تدعو بشكل صريح إلى الشذوذ والانحراف والمثلية، وتحاول أن تستقطب - من خلال ما تبثه من ثقافة - أكبر قدر ممكن من الأتباع والمؤيدين، حتى باتت هذه المواقع تعجّ بملايين المتابعين والمؤيدين، بل صارت تشكل ظاهرة اجتماعية.

(١) الأحسانى، ابن أبي جمهور، عوالي اللئالي: ج ١، ص ١٠٩-١١٠.

وهناك أيضاً مواقع للبوح المحظور، أي: يبوح فيها المشارك بما يدور في نفسه من رغبات جنسية وانفعالات شهوية، فيجد على إثر ذلك مَنْ يلبي له هذه الرغبات ويسهل له الانزلاق في مستنقع الرذيلة. ثم تطورت هذه الظاهرة حتى وصلت مرحلة الجنس الإلكتروني، حيث يُمارس فيه الطرفان الجنس على مستوى الكلام والصور والإشارات والرموز. ثم تظهر آثار هذه المواقع على سلوك الشباب من تكوين علاقات غير شرعية وحالات شذوذ وانحراف.

إنّ هذه المواقع تنشط على شبكة الإنترنت على مدار الساعة، فيتم بثّ وتنزيل آلاف الفيديوهات الإباحية في الثانية الواحدة، وتتمّ مشاهدتها في نفس الثانية من قبل ملايين الأشخاص عزّاباً ومتزوجين، ولك أن تتصور مدى تأثير ذلك على المشاهد، فكم من شاب أو شابة راح ضحية هذه المواقع؟ وكم من أسرة قد انهارت بسبب تبعات هذه المواقع؟ وكم من امرأة محترمة فقدت سمعتها ومكانتها بسبب بعض الصور والفيديوهات؟...

ولا شكّ في أن هذه المواقع تُديرها قوى عالمية وجهات سياسية؛ لتحقيق من خلالها الكثير من المكاسب السياسية في العالم، فقد ارتبطت السياسة بالجنس منذ قديم الزمان، حيثُ استخدم السياسيون الجنس وسيلة لإسقاط حكومات ورؤساء وإلقاء الشعوب والسيطرة عليها. يقول بعض الباحثين في مقدمة كتابه في هذا المجال: «الجنس... هذه الفاكهة المقدسة التي أنعم بها الله

على عباده من أجل تحريضهم على التناسل واستمرار التواجد على هذه الأرض، لم تعد مقدسة كما كانت. بل غدت سلعة تباع وتشتري في سوق النخاسة العالمية... ويمكن القول: بأنّ أعلى الأسعار تُدفع فيها عندما يتمّ توظيفها في الأمور السياسية... وفي عصرنا الحديث لا يكاد يمرّ يوم إلاّ ونسمع به عن فضيحة أخلاقية أطاحت بمسؤول ما من منصبه، أو زعيم ما كانت تحرّكه امرأة جاسوسة في قصره...» ثم قال عن العمل الذي قام به في الكتاب: «لن نزعّم في كتابنا هذا بأننا جمعنا فيه كل وثائق العالم. بل هي بضعة نماذج نوضّح فيها كيف أنّ هناك هيئات عالمية خفيّة تحاول السيطرة على مقدرات الشعوب وخيرات بلادها من خلال استخدام الجنس كسلاح فعّال من أجل تحقيق هذا الهدف»^(١)، ونقل في كتابه الكثير من الحقائق والوثائق التي تُثبت تورّط السياسة العالمية في نشر الإباحية والشدوذ في العالم، مع انعكاس ذلك على مصالح تلك الدول، كما حدث في الانتخابات الأمريكية التي أسفرت عن فوز (بل كليبتون) رئيساً للولايات المتحدة، حيث حصل على ٨٠٪ من أصوات الشاذين جنسياً بعد دعمه لهم ودفاعه عنهم ووعوده لهم بالدفاع عن حقوقهم القانونية والاجتماعية^(٢).

(١) المدني، د. سليمان، السياسة والجنس: ص ٥-٦.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ٥١.

وتُعدّ الإباحية الجنسية واحدة من الأسلحة الصامتة المهمة التي تعتمد عليها القوى الكبرى وغيرها؛ وذلك من أجل تخدير الشعوب وإلهائها وإشغالها، بحيث تتمكن تلك القوى الكبيرة من بلوغ ما تريد من مصالح ومنافع وتمرير قرارات وعقد اتفاقات ولو على حساب الشعوب دون أن تشعر بها الشعوب؛ لانشغالها بمتابعة أفلام الجنس والشذوذ، جاء ذلك في وثيقة سرّية تحمل عنوان: (الأسلحة الصامتة للحروب الهادئة)، حيث نصّت - الوثيقة على ضرورة إلهاء الشعوب وإشغالهم - بالقول: «حافظوا على اهتمام الرأي العام بعيداً عن المشاكل الاجتماعية الحقيقية، اجعلوه مفتوناً بمسائل لا أهمية حقيقية لها. أبقوا الجمهور مشغولاً، مشغولاً، مشغولاً، لا وقت لديه للتفكير...»^(١)، وقد بين أن أفضل الطرق في وسائل الإشغال والإلهاء: «مهاجمتهم وتعنيفهم عاطفياً وبشكل قاسٍ (الاغتصاب العاطفي والعقلي)، وذلك بتزويدهم بوابلٍ مستمر من موضوعات الجنس والعنف والحروب...»^(٢)، فالجنس وسيلة من وسائل تخدير الشعوب وإلهائها وإبعادها عن الواقع وعمّا يجب على الإنسان القيام به، ويشهد على ذلك الكثير من القصص والحوادث التي تمّ من خلالها توظيف الجنس كأداة للإلهاء. فمن تلك الحوادث حادثة الطيارين المصريين أيام الحرب مع الكيان الصهيوني،

(١) الأسلحة الصامتة للحروب الهادئة: ص ٢.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٧.

حيث استطاع الجاسوس الإسرائيلي المدعو: (آرام) - الذي تغلغل في مفاصل الحكومة المصرية وكونّ علاقات واسعة مع المسؤولين - أن يقيم حفلة وسهرة للطيارين المصريين المتصرين، حفلة جنس وخر؛ مما جعلهم غير قادرين على مقاومة الهجوم الإسرائيلي فجر ٢٥ حزيران عام ١٩٦٧ م^(١).

ومن مضار الإدمان على مشاهدة (أفلام الإباحة الجنسية) الضعف الجنسي عند الذكور، بالإضافة إلى تدني المستوى العلمي؛ فإنّ الذي يُدمن على مشاهدة هذه الأفلام لا تُثيره المرأة التي يراها أمامه، فإذا ما رأى زوجته فإنّ مشاعره الجنسيّة لا تتحرّك؛ لأنه قد اعتاد على مشاهد من نوع خاص لا تتوفر مثلها عند مشاهدته لزوجته، وهكذا الأمر بالنسبة للمرأة التي تشاهد هذه الأفلام، وقد لاحظ الأطباء ازدياداً ملحوظاً في هذه السنوات في حالات الضعف الجنسي، لا سيما في الأعمار التي تتراوح من ١٦ سنة وحتى ٣٠ سنة، وهذه فترة ينبغي أن يكون فيها الشاب في أوجّ قوّته الجنسيّة، ولكنّ الواقع يقول غير ذلك، حيث تنتشر ظاهرة الضعف الجنسي في هذه الفئة بشكل مهول ومفزع، وبعد عدة دراسات وأبحاث اتضح علاقتها بشكل كبير بمشاهدة الأفلام الإباحية، مما جعل الشباب يعزفون عن فكرة الزواج وتكوين أسرة، بعد توفّر البديل الممتع، وهو الأفلام الإباحية التي يجدون فيها من المشاهد والممارسات ما لا يجدونه في الحياة الزوجية العادية. كما

(١) أنظر: المدني، د. سليمان، السياسة والجنس: ص ٨٧.

لاحظ الأطباء والباحثون حجم تأثير مشاهدة هذه الأفلام على المستوى العلمي؛ حيث اتضح وجود علاقة وطيدة بينها وبين الرغبة في مواصلة العلم والتفكير في تطوير الذات علمياً وسلوكياً^(١).

٦. مواقع التواصل الاجتماعي

تعد مواقع التواصل الاجتماعي - مثل: (الواتساب، الفايبر، التلكرام، الفيس بوك) وغيرها - سبباً آخر من أسباب الانحرافات الجنسية؛ لأنها توفر فرصة سهلة وسريعة للعلاقات غير المشروعة.

فربما تبدأ العلاقة بين الرجل والمرأة سليمة، كما لو كانا يتبادلان المعلومات التي تخصّ الحقل العلمي الذي يدرسان أو يعملان فيه، أو يتواصلان لأغراض صحيّة أو لغير ذلك مما هو مسموح به شرعاً، ولكن سرعان ما تتحول تلك العلاقة إلى علاقة عاطفية رومانسية يتبادلان من خلالها الحب والعشق والغرام، ثمّ تتطور لتتحوّل إلى ممارسة محرّمة.

إنّ الكثير من الشباب وقع ضحية هذه العلاقات غير المتزنة، وقد انجرف الكثير منهم حيث الشذوذ والمثلية.

(١) أنظر: ويلسون، غاري، (دماغك تحت تأثير الإباحية): ومؤلف هذا الكتاب أستاذ جامعي مختصّ بعلم الأعصاب، وقد استعرض في كتابه المذكور مدى تأثير الإدمان على مشاهدة الأفلام الإباحية على دماغ الإنسان صحياً، ويطرح حلولاً ومعالجات مهمة. وهو بحق كتاب علمي نافع جداً.

ولم لا ينحرف الشاب أو الشابة إذا كانت أسباب الانحراف كلها متوفرة لديه؟ كالوقت والراحة والفراغ، والإنترنت وجهاز الموبايل الحديث، والرغبة وضغط الشهوة ومثيرات الشهوة، وغياب الوالدين وعدم الناصح المرشد وضعف الوازع الديني، وحرية الخروج من المنزل وحرية التواصل مع الآخرين دون رقيب وحسيب، فلماذا لا يحصل الانحراف؟!

وقد نواجه اعتراض القائلين: إن الإسلام لا يدعو إلى العزلة والابتعاد عن الحياة، بل يدعو إلى الانفتاح وممارسة اللذائذ وإعطاء النفس حقها مما تستهي وتريد.

ولكننا نقول: نعم، ولكنه في نفس الوقت لا يدعو إلى الانفلات وإطلاق العنان للغرائز والشهوات، بل هو يدعو إلى تقنين وضبط حاجات الجسد من شهوات ولذائذ، وهذا مما يحتاج إلى تقييد النفس وكبح جماحها الزائدة ومراعاة الأحكام الشرعية.

ويجدر الالتفات إلى أن أكثر العلاقات التي تحصل عبر مواقع التواصل الاجتماعي سرعان ما تنتهي وتنهار؛ لأن الصورة الخارجية لا تتطابق مع الصورة عبر الإنترنت، والحقيقة في الخارج مغايرة لما يلمسه الطرفان عبر مواقع التواصل الاجتماعي، فالأخلاق غير الأخلاق، والشكل غير الشكل، مما يكشف أن الكثير من هؤلاء الأشخاص الذين يُنشؤون علاقات عبر هذه المواقع إنما هم مجرد لصوص، يخفون حقائقهم عبر الحساب، ويكشفون عن

حقيقتهم متى ما وقع الصيد في الشبكة، فلا يتمكن بعد ذلك من التخلص منهم وإنقاذ نفسه.

إنّ الكثير من هذه المواقع والحسابات تُديرها منظمات عالمية تهدف إلى كسب الشباب وجرّهم إلى منزلقات خطيرة؛ لتحقيق بعض المكاسب السياسية والاقتصادية.

٧. الشعور بالحرمان الجنسي

إنّ الشعور بالجوع الجنسي والفقر العاطفي من الأسباب الرئيسية للانحراف والشذوذ؛ فالزوج عندما لا يجد من شريكته إلاّ الصّد والممانعة والإهمال فإنه بلا شكّ سيفكّر بطريق آخر يتمكن من خلاله أن يُشبع حاجته الجنسيّة، ومن هنا يبدأ التفكير في العلاقات المحرّمة، سواء التي تكون في الواقع أو التي تتم عبر مواقع التواصل الاجتماعي. وفي الجانب الآخر، فإنّ المرأة التي تشعر بضعف زوجها وعدم رغبته فيها - أو عدم اهتمامه بعواطفها أو عدم رعايته لحقها في الممارسة الجنسية، فلا همّ له إلاّ حاجته هو - فإنها أيضاً ستفكّر بطريق آخر؛ لتعوّض هذا النقص وتسد به الحاجة العاطفية التي تحتاجها، فتتجه إلى العلاقات غير المشروعة أو تنكفئ على نفسها؛ لتمارس العادة السريّة، علّها تجد فيها ضالتها.

إنّ الكثير من الأزواج ينحرفون جنسياً بسبب شعورهم بالجوع الجنسي، وسبب هذا الشعور هو إهمال الشريك حاجة شريكه العاطفية

والجنسية، مع ما يراه ويسمعه يومياً من المثيرات الجنسية، وهي متوفرة في كل مكان، عبر التلفاز والإنترنت، وفي الشارع ومكان العمل، وفي المدرسة والجامعة، وغيرها. مع ملاحظة أنّ فرص الانحراف في زماننا أصبحت كبيرة وميسورة جداً وفي كل وقت بسبب التطور التكنولوجي، فجهاز الموبايل الحديث يوفر للرجل والمرأة كل ما يريد أن يراه ويسمعه، وكل ما يرغب في التواصل معه.

ولأهمية إشباع الغريزة الجنسية بين الزوجين حثّ الإسلام على ضرورة اهتمام الشريكين بحاجة بعضهما الآخر وتجنّب الأنانية المفرطة التي تقتضي التفكير في الذات فقط، فقد حثّ رسول الله ﷺ على ممارسة العملية الجنسية بين الزوجين، وأتّهما يؤجران على ذلك، ففي الحديث أنّ النبي ﷺ قال لأبي ذرّ رضي الله عنه: «أنت أهلك تؤجر». فلمّا سمع منه ذلك تعجّب وأصابته الدهشة، إذ كيف يمارس الشخص اللذة والشهوة ويثاب على ذلك، فإنّ المرتكز في نفوس المتدينين أنّ الثواب والأجر إنما يكون على الفعل المخالف لهوى النفس وشهواتها، وإنّ ممارسة الشهوات المباحة لا يعدو كونه أمراً جائزاً في الشرع، أي: مسموحاً به فقط، هذا هو المتصور لأوّل وهلة، فلهذا استغرب أبو ذرّ رضي الله عنه واستفهم - بل كلنا ربما نخالجنا نفس الاستغراب فتساءل كما تساءل هذا الصاحبى الجليل - قائلاً: «يا رسول الله آتيهم وأوجر؟»، فأدرك رسول الله ﷺ مغزى استغرابه وسؤاله، فأجابه بما يدفع هذا الاستغراب والتعجب، حيث

قال ﷺ له: «كما أنك إذا أتيت الحرام أُزرت، فكذلك إذا أتيت الحلال أوجرت»^(١)، أي: إن النبي ﷺ يقول: لم التعجب؟! أليس إتيان الحرام فيه وزر وإثم؟! فلم لا يكون إتيان الحلال فيه ثواب وأجر؟! أليس تجنب الحرام وفعل الحلال كان خوفاً من الله تعالى وطاعة له؟! ألا يستحق هذا العبد الملتزم الثواب والأجر؟!

وفي حديث آخر يسأل رسول الله ﷺ رجلاً، هل صمت اليوم؟ فيقول: لا. ثم يسأله: هل أطعمت مسكيناً؟ فيقول: لا. فعندها أمره رسول الله ﷺ أن يذهب إلى زوجته فيأتيها؛ فإنه صدقة^(٢)، فيعدّ النبي ﷺ إتيان الرجل زوجته صدقة وعملاً صالحاً يتقرب به إلى الله تعالى.

ويؤكد الإسلام على الرجل أن يفكر في حاجة زوجته، وضرورة بلوغها النشوة والإرضاء الجنسي، فليس من الصحيح أن يفكر في شهوته فقط، فيأخذ حاجته منها ويتركها دون أن تكتمل لذتها، فعن النبي ﷺ: «إذا جامع أحدكم فلا يأتيهن كما يأتي الطير؛ ليمكث وليلبث»^(٣)، أي: ينبغي أن ينتظر حتى تبادله الرغبة والشهوة، وذلك من خلال مداعبتها وتحريك شهوتها، لتصل إلى الإرضاء الجنسي، فإن لهذا الاهتمام مردوداً إيجابياً كبيراً ينعكس على نفسية المرأة وحالة الشعور بالرضا والنشوة، بالإضافة إلى تقوية العلاقة الحميمة بينها وبين

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٥، ص ٤٩٦.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٩٥.

(٣) المصدر السابق: ص ٤٩٧.

زوجها. كما أنَّ إهمال حاجة المرأة في هذا المجال يأتي بنتائج عكسية، منها التفكير في إيجاد وسائل وبدائل عن الزوج؛ لتحصيل اللذة والإرضاء الجنسي، مثل العادة السريّة، والزنا، والمساحقة، والجنس الإلكتروني وغيرها من الانحرافات الجنسية، ويؤكد ذلك ما جاء في حديث للإمام الصادق عليه السلام، قال فيه: «إن أحدكم ليأتي أهله فتخرج من تحته فلو أصابت زنجياً لتشبّث به، فإذا أتى أحدكم أهله فليكن بينهما مداعبة؛ فإنه أطيب للأمر»^(١).

كما أوجب الإسلام على الزوجة أن تستجيب لرغبات زوجها الجنسية متى ما شاء ما لم تكن معذورة، وفي الحديث جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: يا رسول الله ما حقّ الزوج على المرأة؟ فقال لها: «أن تطيعه ولا تعصيه، ولا تصدق من بيته إلا بإذنه، ولا تصوم تطوعاً إلا بإذنه، ولا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب»^(٢)، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه وإن خرجت من بيتها بغير إذنه لعنتها ملائكة السماء وملائكة الأرض وملائكة الغضب وملائكة الرحمة حتى ترجع إلى بيتها...»^(٣).

٨- الأفلام والمسلسلات

إن أغلب الأفلام والمسلسلات التي تنتجها أمريكا والغرب وتركيا ودول شرق آسيا - وحتى بعض الدول العربية - تدعو إلى التفسخ الأخلاقي

(١) الصدوق، محمد بن علي، مَنْ لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٥٥٩.

(٢) القتب: رحل صغير على قدر السنام، الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: ج ١، ص ١٩٨.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٥، ص ٥٠٧.

والتحلل القيمي والديني، فعلى سبيل المثال: (المسلسلات التركية والهندية والصينية المدبلجة) والتي يتابعها ملايين المشاهدين في العالم، لا سيما العالم الإسلامي؛ فإنها تهدف إلى تغيير القيم والتحرر من الدين والخلق، من خلال الحث على الخيانة الزوجية، وإقامة علاقات غير مشروعة، وممارسة انحرافات جنسية، مع إلباس الفاسق لباس الطاهر العفيف، وتسويق الخائنة كامرأة محرومة مظلومة تبحث عن رجل يسد جوعها العاطفي إلى غيرها من صور الفساد والانحراف. ويجلس لمشاهدة هذه المسلسلات الأب والأم والأبناء والبنات، فيشاهد هؤلاء المراهقون وبمحضر الأبوين لقطات الإثارة الجنسية ومشاهد العُري. وعندما تقول للأبوين: لماذا تسمحان لأولادكما بمشاهدة هذه المفاسد؟ ألا تخشيان عليهما من الانحراف والانحطاط؟ فيقولان: لا، نحن واثقان من أولادنا. وكأن أولادهم لا يمتلكون غرائز ومشاعر وأحاسيس، ولما يتضح للأبوين انحراف أولادهم يُلقون باللائمة على الزمان والمجتمع والأولاد أنفسهم، ولا يحملون نفسيهما أي جزء من المسؤولية.

إن هذه الأفلام والمسلسلات تأثيراً ساحراً في مجتمعاتنا المحافظة، ولك أن تلمس ذلك في الأخلاق والأفكار، وحتى في الأسماء والملابس وتسريحة الشعر، فالكثير من الناس يسمون أولادهم بأسماء الممثلين الفاسدين والمنحرفين، ويحاول بعض الشباب التشبه بهم في الملبس وتسريحة الشعر، بل وحتى الحركات مما يكشف عن مدى تأثير هذه المسلسلات على شبابنا.

وتحرص شركات الإنتاج لمثل هذه المسلسلات والأفلام على تقديم شخصيات جذابة ومميزة ومؤثرة، فهي مؤثرة ومميزة ليس فقط في إيجاد الدور المعد لها في قصة المسلسل، وإنما هي مؤثرة ومميزة في الرسائل والايحاءات التي تبعث بها إلى الشريحة المستهدفة، ومن تلك الرسائل طرح الشخصيات الجذابة المثيرة والمهيّجة؛ لذا فبعض الرجال تستهويه هذه الممثلات أكثر من زوجته، إن بقيت لها إثارة في نفسه، وبعض النساء يثيرها الممثل أكثر من زوجها، وحينئذ سوف يزهد الشريك في شريكه تدريجياً، ويبدأ يفكر بشخص آخر، أو يتخيل شخصية الممثل ليبدأ معه علاقة خيالية تستهويه في ساعات الخلوة، وتثيره عاطفياً وجنسياً.

وتؤكد الكثير من الدراسات والأبحاث على التأثير الواضح لهذه المسلسلات على سلوك المراهقين والشباب، لاسيما في الجوانب العاطفية، فقد كشفت «النتائج التأثير بشكل واضح للمسلسلات التركية على الناحية العاطفية والاجتماعية، إذ كانت نسبة الذين لا يمتنعون عن تجربة ارتباط عاطفي كبيرة، أما الناحية الاجتماعية فإن المسلسلات التركية تعد سبباً لعدد كبير من المبحوثين للانطواء. وفيما يخص الناحية الدراسية فكان التأثير متفاوتاً، وكشفت نتائج البحث أن سبب رواج المسلسلات التركية يرجع إلى أشكال الممثلين والمشاهد العاطفية»^(١). وفي دراسة أخرى أجرتها باحثة أردنية على مجموعة من النساء

(١) رهن شولي وأسما بحلق، أثر المسلسلات التركية المدبلجة على سلوك المراهقات من الناحية الاجتماعية والعاطفية والدراسية (مدينة نابلس وقرية سبسطية نموذجاً): ص ٤.

الأردنيات، حيث توصلت إلى أن الدراما الاجتماعية التركية المدبلجة تؤثر على المرأة الأردنية بدرجة مرتفعة جداً، ونسبتها ٩٢ ٪ بغض النظر عن انعكاساتها السلبية والإيجابية^(١). ثم توصلت إلى وجود أربعة عوامل أساسية تؤثر على المرأة وهي:

١- عامل الجمال، ويندرج تحته جمال الممثلين ووسامتهم، وجمال المناظر الطبيعية وغيرها.

٢- العامل الاجتماعي، حيث تتناول هذه المسلسلات مواضيع اجتماعية مهمة - حسب رأي هذه المجموعة - وتلبي الاحتياجات العاطفية، وتكون هذه القصص قريبة من الواقع الذي يعيشه المشاهد.

٣- العامل التفاعلي، ويندرج تحته الساعات الطويلة التي يقضيها المتابع في مشاهدة هذه المسلسلات، والتأثر بالقيم والمبادئ التي تطرحها هذه المسلسلات .

٤- العامل الفني، ويندرج تحته روعة الجمال التمثيلي، وعذوبة الموسيقى والأغاني، وغيرها من الجوانب الفنية^(٢).

ولا شك في أنّ هذه النتائج لا تختصّ بالعينة التي كانت موضوعاً للاستبيان والدراسة، بل تشمل كل أفراد المجتمع؛ لأننا نلمس هذه النتائج في

(١) أنظر: قطوس، وزان بسام، درجة تأثير الدراما الاجتماعية التركية المدبلجة على المرأة الأردنية في محافظة إربد نموذجاً: ص ط.

(٢) أنظر: المصدر السابق.

كل الأسر التي تتفاعل مع هذه المسلسلات، ونلمس بشكل واضح التأثير السلبي على سلوك الشباب والشابات، فالكثير منهم صار يتجراً على إقامة علاقات غير مشروعة، ويمارس الجنس خارج حدوده الشرعية، مما انعكس ذلك على سلامة العلاقات الاجتماعية والأسرية، فالكثير من الأسر انهارت بسبب هذه العلاقات، ومرجعها هو التأثير بما يشاهدونه من مسلسلات.

وينبغي الالتفات إلى أنّ العلاقات العاطفية التي تدور في هذه المسلسلات ليست واقعية، وإنما هي مجرد مثاليات لا تحاكي الواقع الاجتماعي، ولكن المؤسف أن يظنّ المشاهد أنها حقيقية؛ لذا تطلب الزوجة من زوجها أن تكون عواطفه كعواطف الممثل الذي تشاهده في المسلسل، وهكذا الزوج يريد من زوجته أن تكون كالممثلات التي يراهنّ في المسلسل، وعندما لا يتمكن هذا الزوج من ذلك والزوجة كذلك - لأنّ ما يشاهدانه ليس واقعياً، فلا يمكن تطبيقه - تقع بينهما المشاكل والخلافات، ويحدث ما لا يُحمد عقباه.

٩. القصص المثيرة

تحتل القصص المثيرة للجنس المراتب الأولى في إثارة الغريزة الجنسية وتهيج الشهوة، وأثبتت التجربة والشواهد أنّ الكثير من المنحرفين جنسياً كانوا ضحية هذه القصص، كما أنّ هذه القصص هي وراء الكثير من المشاكل النفسية وأمراض الأعصاب التي يُصاب بها بعض الأشخاص. تقول الخيرة

البريطانيّة (سوزان كويليام) وهي متخصصة في علم النفس: «إن قصص الحب تعطي النساء صورة مثالية وغير واقعية عن العلاقات بين المتحابين، وبالتالي فشل العديد من العلاقات الزوجية... أثبتني الرأي القائل: بأنّ الكثير من المشاكل التي نقابلها في مستشفيات الأمراض النفسية، وغرف العلاج النفسي تتأثر بقصص الخيال الرومانسي»^(١).

إنّ القصص الجنسية - لا سيما التي تروي قصص الشذوذ - مثل الجرائم الجنسية، كالاعتصاب، وقتل الضحية بعد اغتصابها، أو تعذيبها، أو ممارسة الجنس مع الأموات، أو الأطفال، أو ما شاكل ذلك، تحرّك عند الكثير من القراء الميول والدوافع المكبوتة لنحو هذا الفعل، أو تتولّد الرغبة لفعل مثل هذه المغامرات؛ فالإنسان مجبول بفطرته على حبّ المغامرة وتجربة كل ما هو جديد وغريب، ففي عام ١٩٤٧ حدثت جريمة في لوس أنجلوس، والتي تُسمى بـ (جريمة زهرة الدالية السوداء) حيث قُتلت ممثلة تبلغ من العمر ٢٢ عاماً، بطريقة فضيعة، فقد قُطعت من خصرها إلى قسمين، وتظهر عليها علامات تدلّ على أنها قد علّقت من قدميها وعُذّبت قبل قتلها. وقد كانت هذه الجريمة مصدر الوحي لموجة من الجرائم الجنسية التي اجتاحت لوس أنجلوس عام ١٩٤٧. فقد وقعت ست جرائم ماثلة لها في نفس السنة وفي نفس المنطقة. وقد اعترف سبعة وعشرون رجلاً أنه هو من اقترف جريمة

الداليا السوداء، وبعد التحقيق اتضح أنّ جميع الاعترافات كانت كاذبة، وبعد تسع سنوات اعترفت امرأة أنها هي من اقترفت الجريمة. فهذا إذن حالة سادّية واحدة أدّت إلى أربعة وثلاثين ردّة فعل مماثلة، ست جرائم قتل وثمانية وعشرين اعترافاً كاذباً، في منطقة بحجم لندن، فكم واحد من نفس المدينة أحسّ بنفس الرغبة في ممارسة هذه الجريمة؟^(١).

ويجدر الالتفات إلى أنّ هذه الحادثة قد وقعت في زمان تنعدم فيه وسائل الإعلام الحديثة التي نشهدها اليوم، كالفضائيات والإنترنت ووسائل التواصل الإلكترونية الحديثة، كمواقع (فيس بوك) و(واتساب) و(تويتر) و(تلغرام) وغيرها من المواقع التي لا يكاد يخلو منها جهاز اتصال، فيا ترى كم ستكون عدد الجرائم الجنسية في زماننا بالقياس إلى ذلك الزمان مع توفّر هذه الوسائل الحديثة؟

إنّ زيادة معدلات الجرائم الجنسية في زماننا يتأثّر بلا شكّ بعدد الجرائم الجنسية التي تتناقلها هذه المواقع، ويتفاعل معها المتابع ويحاول محاكاتها، لا سيما أنها تحرّك فيه الغريزة الجنسية وتدفعه لإطلاق عنان الشهوة.

١٠. الشعور بالإحباط والخيبة

أثبتت التجارب والحوادث أنّ البعض ممن يشعرون بالخيبة والإحباط والحرمان يتحوّلون إلى مجرمين جنسيين؛ لإثبات وجود أو لمحاولة التغلّب

(١) أنظر: كولن ولسن، أصول الدافع الجنسي: ص ٩٧.

على عقدة النقص التي يشعرون بها، أو لأجل الانتقام من النساء اللاتي كنّ وراء شعوره بالنقص؛ بسبب عدم اكترائهنّ به، وتجاهلهنّ له، أو غير ذلك من الأسباب المؤدية للشعور بالإحباط والخيبة.

إنّ الكثير من المجرمين الجنسيين عندما نطالع سيرتهم وتاريخهم نجد أنهم كانوا يعيشون حالة من النشوز الاجتماعي أو الأسري، لأسباب عدّة نذكر منها على سبيل المثال:

١- قبح الشكل والنقص الخلقي، وكلما تقدّم خطبة بنت رفضته لقبحه ودمامته.

٢- سمعته وسمعة أهله، كابن الزنا أو من كانت سمعة أمه سيئة؛ فإنه لا يتلقّى ترحيباً في المجتمع ولا مقبولة بين الناس.

٣- الفاشل في الدراسة والعمل فإنه يحاول أن يُثبت ذاته ووجوده من خلال اعتدائه الجنسية، التي توفر له نوعاً من الشعور بالتفوّق والقدرة.

٤- المُصاب بالعجز الجنسي، فإنه يحاول أن يُثبت قدرته على ممارسة رغباته الجنسية من خلال البحث عن البدائل في الإشباع الجنسي، كالمثلية والممارسات المنحرفة الأخرى.

٥- المعاملة السيئة التي يتلقاها الشخص من الأسرة، مما تبعثه على اليأس والإحباط والشعور بالدونية والضعف؛ فيدفعه هذا الشيء إلى التفكير في إثبات أنه على خلاف ما يتصوّرون، فيتخذ الشذوذ الجنسي أسلوباً لإثبات ذلك.

إنّ هذه الأسباب وغيرها تجعل الشخص يفكر في الشذوذ والانحراف من أجل إثبات الذات وتغيير الصورة القائمة والموحشة، والإنسان حريص على تلميع صورته وبقاء وجوده واسمه. كما أنه حريص على نيل مبتغاه وتحقيق هدفه.

١١. السكر والمخدرات

إنّ العقل لدى الإنسان هو صمام الأمان من الوقوع في المخاطر والانحرافات، مثل مكابح السيارة إذا ما أراد السائق إيقافها، فالشهوات تضغط على الإنسان وتدفعه لإشباعها متى ما شاءت، وفي أي مكان وزمان، ومع مَنْ ترغب، ولكنّ العقل يرشد الإنسان إلى ضرورة ضبط الشهوة وتهذيبها وممارستها ضمن قنواتها المسموحة، وبتعبير آخر: إنّ دور العقل بمثابة شرطي المرور الذي ينظّم السير وفق القوانين المرورية، ولولا شرطيّ المرور لحدثت في السير فوضى خانقة فكذا العقل؛ فإنه يقوم بتنظيم غرائز الإنسان وفق القوانين التي يؤمن بها العقل من (شرع أو فطرة أو مواضع اجتماعية)، فإذا ما فقد العقل فلا بدّ أن تحصل في نفس الإنسان فوضى أخلاقية، حيث تتجاذبه الشهوات وتتنازعه الغرائز دون أن يهتدي لكيفية تنظيمها وتهذيبها.

ومن هنا؛ كان تناول المسكرات والمخدرات من أبرز العوامل المؤدية إلى ارتكاب الجرائم والانحرافات، ومنها الجرائم والانحرافات الجنسية؛ لأنّ

تناول المسكرات يُفقد الإنسان عقله ووعيه، فتتحرر الغرائز من سلطان العقل فيرتكب الشخص كل ما تدفعه الشهوة إليه، من قتل وزنا واعتداء وربما انتحار أيضاً، وقال أحد المختصين في قضايا الجنس: «المجرمون الجنسيون ينحدرون غالباً من سلالة من السكيرين والمصابين بالصرع وما شابه ذلك»^(١).

ولهذا حرص الإسلام على تحريم المسكرات وشدد على عقوبة المخالفين، كُل ذلك حرصاً على سلامة العقل، هذه الجوهرة الثمينة التي تحفظ كيان الإنسان ومكانته، ففي الحديث عن أحد الصادقين عليه السلام قال: «ما عصي الله عزَّ وجلَّ بشيء أشدَّ من شرب الخمر. إنَّ أحدهم ليدع الصلاة الفريضة ويشب على أمه وأخته وابنته وهو لا يعقل»^(٢)؛ فلأنه فقد عقله ترك الصلاة وزنى بمحارمه، وترك الصلاة والزنا بالمحارم ما هي إلا أمثلة لما يمكن أن يصنعه الشخص إذا ما فقد عقله؛ لأنَّ فقد العقل كما قلنا سبب في فقدان التوازن، فعن الصادق عليه السلام: «شرب الخمر مفتاح كل شر»^(٣).

١٢. البيئة والتنشئة غير المناسبة

يُنقل عن أستاذ جامعي درس مع زوجته الطيبة في بلاد الغرب، وتلقيا هناك كُل ما يعدّانه حضارة وتقدّم وثقافة، لا سيما ما يرتبط منها بالثقافة

(١) كولن ولسن، أصول الدافع الجنسي: ص ٢٦٠.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٦، ص ٤٠٣.

(٣) أنظر: المصدر السابق.

الجنسية، ووفقاً لهذه الثقافة لقنا أطفالهما أنّ عمليّة التبرّز أيّ: التغيّط، وما يلازمه من روائح كريهة لا تخلو من جماليّة، وأنّ حالة الاشمئزاز والاستقذار من هذه العملية - ومن الروائح المنبعثة منها - إنما هي مكتسبات اجتماعية نشعر بها بسبب ثقافة المجتمع القائمة على استقذار فضلات الجسد، فلا بدّ من التعامل مع هذه العملية بشكل آخر بعيداً عن الترسبات الاجتماعية، لذا فهذه العملية جميلة وسيأتي اليوم الذي تتغيّر فيه ثقافة المجتمع فيستشعرون فيها بجماليّتها، ومدى طيب رائحتها، وبسبب هذه الثقافة اعتادت بنت هذين الشخصين أن تُدخل أصبعها في فرجها أو مؤخرتها لتشمّ رائحته، وكانت كثيراً ما تضع إصبعها على أنف شقيقها الصغير ليشم هذه الرائحة ويعتاد عليها تدريجياً، ولكن ما الذي حدث بعد ذلك؟ هل تبدلت حالة الاشمئزاز والنفور من هذه الرائحة الكريهة إلى حالة الاستئناس والرغبة في شمها؟ والجواب: كلا؛ لأنّ الاشمئزاز من الروائح الكريهة أمر فطري في الإنسان، ولا يمكن أن يتغيّر إلّا في حالات الشذوذ، وبالفعل تحوّل الطفل بعدما كبر إلى شاب مثلي، يميل إلى الرجل جنسياً، ولا يميل إلى المرأة، فإنه كلما شاهد امرأة أو فكّر فيها تذكّر تلك الرائحة الكريهة، وحصل له الاشمئزاز، فبسبب استنشاقه للرائحة الكريهة عن طريق أخته اقترنت تلك الرائحة بالمرأة، وحصل لديه نفور من المرأة، وبالتالي أصبح يستأنس بالرجال ويرغب في معاشرتهم جنسياً^(١).

(١) أنظر: حكمت سفیان، مسببات الشذوذ الجنسي: ص ٩.

من خلال هذه القصة يتضح دور التنشئة الأسرية والاجتماعية في صناعة الشذوذ والانحراف، وأن التربية التي يتلقاها الطفل في المراحل الأولى هي الأهم في طريق النضوج السليم. فإذا تلقى ثقافة مغلوبة أو مشوهة حول الأمور الجنسية؛ فإن ذلك سيساهم بشكل كبير في فرصة الانحراف والشذوذ. فنسبة كبيرة من الشاذين قد اكتسبوا ثقافتهم من المواقع الإباحية، فتعلموا ثقافة سلبية، فالبعض تراه يميل إلى الجنس المائل، وآخر يميل إلى الجنس مع الأطفال، وثالث يميل إلى الاغتصاب والعنف، إلى غير ذلك مما يتعلمه من هذه المواقع.

إن نشأة الطفل في بيئة متساهلة - أو متهاونة في ملاحظة الأمور الأخلاقية - من شأنها أن تساعد في انحراف الطفل وشذوذه، فالطفل الذي يلعب مع الشباب ويقضي وقتاً طويلاً معهم مع تعلقه بهم لا بد أن يُثير مخاوف لدى الأب أو الأم، فربما يؤدي الإهمال والتغافل إلى مشاكل لا تُحمد عواقبها، ولا يقل الأمر خطورة بلحاظ الطفل الذي يقضي وقتاً طويلاً للعب مع الفتيات، سواء من قريباته أو جيرانه أو غيرهنّ، فعلاً ذلك بداية شذوذ أو انحراف.

يُنقل أنّ المجتمع الياباني متسامح في أمور الجنس، وعلى حدّ تعبير بعض المختصين: «لا توجد - لدى اليابانيين - كوابح أو ممنوعات فيما يخص الجنس والخمر»^(١)، ويرجع ذلك إلى تسامح الأسر اليابانية في مسائل الجنس والحرية

الزائدة التي يعطونها للأطفال، لا سيما الذكور، يقول كولن ولسن: «يبدو أنه لا خجل إطلاقاً من الجنس في اليابان. فالعادة السريّة ببساطة تعتبر متعة فردية، كالقراءة. والذكر في اليابان هو الأسمى والأعلى، والطفل الذكر حتى وهو في المهد يُنظر إليه بأنه مخلوق أسمى بكثير من أمه وأخواته، وقد تُمسك أمه بعضوه إذا كان كبيراً وتتباها باستعراضه أمام الأصدقاء، ولو لعب الولد بعضوه أو حتى تفحص الأعضاء الجنسية لأخواته وزميلاته، فإنّ هذا يعتبر أمراً عادياً ويلقى التشجيع»^(١)، فإذا كان الطفل يعيش في هذه البيئة ويكتسب هذه الثقافة، فكيف لا ينحرف جنسياً أو ينشأ شاذاً؟!

١٣. الفراغ والراحة

عامل آخر من عوامل الانحراف لا يقل أهمية عن العوامل السابقة، وهو الفراغ والراحة التي يعيشها بعض المراهقين والشباب، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إن يكن الشغل مجهداً، فاتصال الفراغ مفسدة»^(٢)، فهو عليه السلام يصرّح بأنّ العمل فيه جهد وتعب، ولكنّ الفراغ المستمر فيه مفسدة، والتي منها ما أشار عليه السلام إليه في قوله: «من الفراغ تكون الصبوة»^(٣)، أي: الميل إلى الهوى^(٤)، وقد جاء هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَالَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ

(١) المصدر السابق: ص ٢٣.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ١، ص ٢٩٨.

(٣) الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص ٤٧١.

(٤) أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٤، ص ٤٥١.

إِلَيْنَ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ»^(١)، أي: أميل إليهنّ. الفراغ يوفّر للشخص فرصة كبيرة للتفكير في الشهوات واللذائذ وممارستها، وهذا ما نلاحظه في سلوك الكثير من شبابنا اليوم، فإنّ الكثير منهم لا عمل له ولا شغل إلاّ العبث بجهاز الموبايل، فهو مشغول طوال الوقت بالمراسلات والعلاقات ومشاهدة الفيديوهاات والمواقع المختلفة، ومع ضغط الشهوة ووفرة المغريات لم لا ينحرف هذا الشاب؟! ولم لا تنحرف هذه الفتاة مع التيار الجارف؟!

ويجدر الالتفات إلى أنّ المقصود من الفراغ ليس فقط فراغ الشخص عن العمل والجهد البدني، بل إن الفراغ الفكري والذهني لا تقل سلبياته عن الفراغ آنف الذكر، فالذي لا يفكر في تحقيق هدفٍ معيّن مهم أو سامٍ - كبلوغ درجة علمية أو إنجاز عمل معيّن، أو معالجة مشكلة، أو أهداف كبيرة وسامية، كإصلاح مجتمع أو تطوير بلد أو إنقاذ أمة أو غير ذلك - يكون فارغاً فكرياً وذهنياً، وهذا يوفّر فرصة ملائمة للتفكير المنحرف والضال، ومن هنا فالكثير من أصحاب الفراغ الفكري تنتهي بهم الأمور إلى مشاكل سلوكية أخلاقية.

١٤. أسباب حيوية

هناك أسباب حيوية تؤدي إلى انحرافات جنسية مختلفة، ونتمكن أن نُشير إلى بعضٍ من تلك الأسباب:

١- إن جسم الإنسان يشتمل على عدد كبير من الغدد المختلفة، وهي تعمل بشكل متظافر، فأَيُّ خلل في عمل أيٍّ منها - سواء في زيادة الإفراز أو نقصانه - يؤثر على عمل باقي الغدد، فالزيادة مثلاً في هرمونات الغدد النخامية يؤدي إلى ضعف في الوظائف الجنسية، كما أن الغدد الجنسية تفرز هرمونات خلايا التناسل وتساعد الأعضاء التناسلية على النمو، فالفرد المصاب بضعف في الوظائف الجنسية ناتج عن خلل في إفرازات الغدد الذكورية، وهذا الأمر يعجزه عن أداء العلاقة الجنسية السوية، فيصاب بالقلق والاكتئاب، فيلجأ إلى إشباع تلك الدوافع الجنسية الملحة إلى طرق منحرفة وشاذة؛ ليحصل على الإشباع الجنسي^(١).

٢- إن الخلل في الجهاز العصبي الذاتي أو المستقل يؤثر على سلوك الإنسان وتوافقه النفسي؛ لأنّ الخلل في هذا الجهاز يؤثر على وظائف الغدد والأعصاب والعضلات، فإذا تجسّد هذا الخلل في الغدد الجنسية أو الجهاز التناسلي بشكل عام فإنه يؤدي إلى خلل في الإفرازات الهرمونية، فيُصاب الفرد بالضعف والعجز الجنسي، فيلجأ من أجل الإرضاء الجنسي إلى سلوك طرق شاذة ومنحرفة كالاستمناء مثلاً^(٢).

٣- يحدث أحياناً عند البلوغ الجنسي عدم توافق نفسي، ينشأ من نقص في المعلومات الجنسية، أو ضعف التربية الجنسية الصحيحة، أو الخوف من

(١) أنظر: حسنة بن عزوز، الانحرافات الجنسية لدى الشباب، أسبابها وأنواعها: ص ٤٤.

(٢) أنظر: المصدر السابق.

الأمراض التناسلية وغير ذلك من بواعث القلق والصراع مع النفس؛ مما يؤدي إلى أمراض تقود الشخص إلى الشذوذ والانحراف والجرائم الجنسية^(١).

١٥. الدوافع الاقتصادية

الحاجة الماديّة وراء الكثير من حالات الانحراف الجنسي والشذوذ، والشاهد على ذلك الدعارة التي أصبحت - منذ عقود - تُمارس بشكل قانوني وعلني في الدول الأوروبيّة وغيرها، مثل تجارة الجنس، ويعمل في هذا المجال الكثير من النساء والرجال لا حاجة جنسية بقدر ما هي حاجة إلى المال الذي فرض عليهم الدخول في هذا المشروع الخطير، كما أنّ هذه المشاريع تُديرها شبكات عالميّة ومنظمات دوليّة مع رعاية دول كبرى، حيث تدرّ عليهم هذه المشاريع أموالاً طائلة لا تضاهيها مصادر أخرى من حيث الواردات المالية، بالإضافة إلى فوائد ومكاسب أخرى أشرنا إلى بعضها في مناسبات سابقة.

(١) أنظر: المصدر السابق.

الفصل الرابع
أنواع الانحرافات الجنسية
وتداعياتها وتأثيراتها

الفصل الرابع

أنواع الانحرافات الجنسية وتداعياتها وتأثيراتها

لقد عرفنا فيما سبق معنى الانحراف الجنسي، كما وقفنا على أهمّ الأسباب المؤدية إليه، وبقي علينا أن نقف على أبرز أنواعه وصوره التي يتجلّى بها، من زنا ومثلية وعادة سرّيّة وممارسة الجنس مع الحيوان وغيرها من الممارسات المنحرفة.

وبكل تأكيد فإن الحديث عن هذه الأنواع طويل ومتشعب، وقد كُتبت فيه الكثير من الكتب والدراسات والأبحاث؛ لذا سنحاول أن نختصر الحديث قدر الإمكان منبهين على الجوانب المهمة في كل نوع.

المبحث الأول: أنواع الانحرافات الجنسية

الانحرافات الجنسية كثيرة ومتنوّعة، وليس غرضنا في هذا المبحث أن نحصيها ونجمعها، وإنما الغرض أن نقف على أكثرها خطورة وشهرة، وهي كالتالي:

١- الممارسة الجنسية مع الجنس الآخر، أو ما يُسمّى بـ (الزنا)

تقدّم في الفصل الأول من الكتاب أن أصل العلاقة بين الرجل والمرأة كانت قائمة على أساس الزواج، وأنّ الأسرة المؤلفة من زوجة وأولاد قديمة

قدم الإنسان؛ ولكن بسبب ظروف معيّنة - تناولناها في ما سبق - ظهرت الانحرافات وفشت في المجتمع الإنساني والتي من أبرزها ظاهرة (الزنا)، فهذه الظاهرة قديمة وواسعة الانتشار بين الأمم والشعوب، وقد لقيت نفوراً عاماً من المجتمعات وتصدّت الأنظمة القديمة والحديثة -الوضعيّة والدينية - لمعالجتها؛ من خلال وضع العقوبات المتنوّعة وطرح المعالجات المختلفة؛ كل ذلك لصون العلاقة الجنسية المشروعة من الفساد والانحراف، والخروج عن مسارها الطبيعي الذي هو التناسل وبقاء الحياة.

ومن أجل هذا اعتبر القرآن الكريم علاقة (الزنا) مساراً خاطئاً يُبعد الإنسان عن الهدف المرجو من هذه العلاقة، الذي هو (الاستقرار مضافاً إلى النسل)، حيث قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّفَرَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(١)، وهو يحذّر ليس فقط من الزنا، وإنما من الاقتراب منه ﴿وَلَا تَقْرُبُوا﴾، أي: ينهى عن الاقتراب من هذه الفاحشة بمنع مقدماتها، وتؤكد الآية على وصفين للزنا، هما:

١- إنه فاحشة.

٢- سبيل سيئ.

ولو رجعنا إلى تجارب المجتمعات التي قد انتشر فيها الزنا وأصبح يتمتع بقانون وعرف، مثل المجتمعات الغربية لوجدنا حجم المفاسد والمآسي التي

نتجت عنه، من انهيار للقيم الخلقية كالعفة والحياء والغيرة، وتفكك الأسر وضياح التربية، وكثرة الولادات غير الشرعية، مع فقدهم - إن كُتبت لهم الحياة - لحنان الأبوين وعطفهما، مع ضياح الأنساب، وكثرة الأمراض الجنسية والنفسية، إلى غيرها من المفاصد الكبيرة التي تُنذر بانقراض الأمم وانهيارها.

والزنا من أكثر أنواع الانحرافات الجنسية انتشاراً في المجتمع؛ بسبب قوّة الميل الغريزي بين الرجل والمرأة وشدة الانجذاب، خلافاً لباقي الانحرافات؛ فإنها ليست طبيعية ولا موافقة للفطرة، كالعلاقة المثلية، فإنّ الرجل بطبيعته لا ينجذب جنسياً إلى نفس الرجل، بل يتنفّر منه ويشمئزّ، وهكذا المرأة بالنسبة إلى المرأة الأخرى، ولهذا لا تُعدّ المثلية انحرافاً جنسياً فقط، وإنّها تُعدّ شذوذاً مخالفاً للطبيعة.

وقد ركّزت الروايات على الآثار الوخيمة التي تترتب على الزنا، ويمكن تقسيم تلك الآثار إلى قسمين: دنيوية، وأخروية، أما في الدنيا فقد جاء في حديث عن الإمام الرضا عليه السلام: «حرّم الزنا؛ لما فيه من الفساد، من قتل الأنفس، وذهاب الأنساب، وترك التربية للأطفال، وفساد الموارث، وما أشبه ذلك من وجوه الفساد»^(١)، وربما يُشير في قوله عليه السلام: «قتل الأنفس». إلى ظاهرة قتل الجنين المتكوّن من الزنا، حيث تقوم المرأة - لإخفاء جريمتها - بالتخلّص من

(١) الصدوق، محمد بن علي، علل الشرائع: ج ٢، ص ٤٧٩.

الجنين إما بإسقاطه، وإما بقتله بعد الولادة، أو بتركه في مكان ناءٍ لتأكله الحيوانات، وقد تحدثنا فيما سبق عن كثرة هذه الظاهرة وانتشارها في المجتمع الغربي الذي يسمح بالعلاقات خارج حدود الزواج، والأرقام في هذا المجال مرعبة جداً. ومن تلك المفاصد ضياع الأنساب، فلا يعرف الوليد مَنْ هو أبوه وَمَنْ هي أمه، ولا يعرف إلى أي أسرة ينتمي، فمن هم إخوته وَمَنْ هم أعمامه وأقرباؤه؟ وربما يتصوّر البعض أن لا أهمية لمعرفة ذلك، فالشخص يتمكن من العيش بعيداً عن أسرته وأقربائه، ولكنه تصور خاطئ فالطفل يعتمد في نشأته بشكل سوي على عطف الأبوين ورعايتهما، ولولا هذا اللطف والحنان والرعاية لتحوّل إلى مخلوقٍ قاسٍ منزوع الرحمة، يحقد على المجتمع الذي يعيش فيه؛ لأنه يرى أنه السبب وراء معاناته، كما أنّ طبيعة الإنسان أن يعيش مع أسرة وضمن إخوة وقاربة، بالإضافة إلى مسألة النسب والانتماء، فإنه من الأمور الأساسية التي يستمد الشخص منه مكانته وموقعه.

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «وجدت في كتاب علي عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

إذا ظهر الزنا من بعدي ظهرت موتة الفجأة»^(١)، فهناك علاقة بين ظهور الزنا وموت الفجأة، ولكن لا نعلم عن طبيعة هذه العلاقة وأسبابها، ولكنها حقيقة واردة في روايات أهل بيت العصمة.

وأما الآثار الأخروية، فقد جاء عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «معشر المسلمين إياكم والزنا فإن فيه ست خصال: ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة: فأما في الدنيا: فإنه يذهب بالبهاء، ويورث الفقر، وينقص العمر، وأما التي في الآخرة: فإنه يوجب سخط الرب، وسوء الحساب، والخلود في النار»^(١).

٢. الممارسة الجنسية مع نفس الجنس، أو ما يسمى بـ (المثلية)

إن التعبير بـ (المثلية) من التعابير الحديثة المعاصرة، والمقصود منه: ممارسة الجنس بين شخصين من نفس الجنس، كالرجل مع الرجل أو يُطلق عليه: اللواط، أو المرأة مع المرأة ويُطلق عليه: المساحقة، وهذه الممارسة ليست حديثة، بل هي من الممارسات القديمة، تحدث القرآن الكريم عن الصنف الأول منها، أي: اللواط، في قصة قوم لوط، وعدّ هؤلاء القوم هم أول من مارس هذا الفعل الشنيع. فقال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾^(٢)، فقله: ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ﴾. صريح بأنهم أول من ابتدع هذا الفعل، وأما المساحقة فهي أيضاً ظهرت فيهم بعد أن اكتفى الرجال بالرجال واستغنوا بذلك عن النساء، فدلتهن الحاجة إلى الممارسة فيما بينهن، فاستغنت النساء بالنساء^(٣). وفي الآية إشارة لطيفة إلى شذوذ هذا

(١) الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ص ٣٢٠.

(٢) الأعراف: آية ٨٠-٨١.

(٣) أنظر: البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن: ج ١، ص ١١٠.

الفعل، وهي قوله تعالى: ﴿مُسْرِفُونَ﴾. فَإِنَّ الإسراف هو تجاوز الحدّ، مما يعني أنّ هذا الفعل فيه تجاوز عن الحدّ، وهو تعبير آخر عن الخروج عن الوضع الطبيعي في الميول الجنسية وممارستها.

ومما يؤيّد شذوذ هذه العلاقة وخروجها عن الطبيعة أنّ هناك تناظراً بين العلاقة الجنسية والعلاقة الاجتماعية، من جهة أنّ التقابل بين الرجل والمرأة إنّما هو تقابل الفاعل والمنفعل، فهي بالتالي من نوع علاقة الأعلى والأسفل، المُسيطر والمُسيطر عليه، المُخضع والخاضع، فطبيعة هذه العلاقة تدخل في إطار (التفوّق الاجتماعي)، ومن الواضح أنّ دور الرجل في المجتمع بحسب طبيعته دور المؤثر والفاعل والمتسلّط، بينما دور المرأة بحسب طبيعتها أيضاً دور المتأثر والمنفعل والخاضع، فهذه هي طبيعة العلاقة الاجتماعية بينهما، فالعلاقة الجنسية بينهما ما هي إلّا تجلّ من تجليات هذه الطبيعة وهذه العلاقة^(١).

وعلى هذا؛ يتضح أنه ليس من الطبيعي أن يكون الرجل موضوعاً للمتعة بالنسبة إلى الرجال، أي: بما هو منفعل وخاضع ومُسيطر عليه في أثناء العلاقة الجنسية، فهذا في حدّ ذاته شذوذ وخروج عن الطبيعة، التي جعلت هذا رجلاً وتلك امرأة، فيكون هذا أشبه بتبادل الأدوار الفطرية، كما لو قامت المرأة بدور الرجل الاجتماعي، فخرجت للعمل، وتحملت المشاق الجسدية

(١) أنظر: ميشال فوكو، تاريخ الجنسية، استعمال المتع: ص ٢٠٥.

والنفسية، وشاركت في الحروب والقتال، بينما الرجل يقوم بأعمال المنزل من تربية الأولاد، وتنظيف، وطبخ الطعام ونحو ذلك، فهذا شيء لا يختلف اثنان على أنه مخالف للوضع الطبيعي، بل لا يمكن أن يتحقق بشكل طبيعي، نعم يمكن أن يمارس كلٌّ منهما دور الآخر، ولكنه لفترة قصيرة جداً، ثم يعود كل واحدٍ لعمله الطبيعي.

ومن الطبيعي بعد أن يفقد الرجل دوره الاجتماعي أن يتحوّل تدريجاً إلى شخص شاذ، فيعيش في داخله صراعاً بين طبيعته الرجولية التي تدفعه لأن يمارس دوره كرجل، وبين الحياة التي يحاول أن يتأقلم معها بعد أن قرر أن يتحوّل إلى امرأة.

وهكذا الأمر بالنسبة إلى المرأة التي تُعطي لنفسها دور الرجل في المتعة الجنسية، فتمارس دور الفاعل والمهيمن والمتسلّط، وبالتالي تحاول أن تتقمّص هذا الدور في مجمل الحياة الاجتماعية، فهي القائد والمسؤول، وهي التي تتحمّل مشاق العمل وظروفه الصعبة، وهي المقاتل الذي يحمل السلاح؛ ليدافع أو يهاجم، فيا ترى هل ستنجح؟

إنّ المثليّة لا يمكن أن تغيّر الواقع والطبيعة التي جُبل الإنسان عليها، هبّ أنّ الرجل تمكن أن يعيش كامرأة والمرأة كرجل، ولكن هل يستطيع الرجل أن يهب للطفل - حيث يمكن أن يقوم المثليان بتبني طفل - حناناً كحنان الأم، أو تعطي المرأة للطفل ما يحتاجه من مشاعر الأبوة التي تكسبه الأمان والقوّة والشجاعة؟!

ونقرأ في روايات أهل البيت ما يُشير إلى هذه المفاصد المترتبة على المثلية، ففي جواب للإمام الرضا عليه السلام وقد سُئِلَ عن عِلَّةِ تحريم اللواط والمساخقة: «علة تحريم الذكران للذكران، والإناث للإناث؛ لما رُكِّبَ في الإناث وما طُبِعَ عليه الذكران، ولما في إتيان الذكران للذكران والإناث للإناث من انقطاع النسل، وفساد التدبير وخراب الدنيا»^(١)، فالإمام قد أشار إلى ثلاثة آثار وهي:

١- أنَّ هذا الفعل خروج عن الوضع الطبيعي في العلاقة الجنسية؛ إذ العلاقة الطبيعية تقوم على أساس وجود طرفين مختلفين، أحدهما طرف أنثوي منفعل ومتأثر، والثاني طرف ذكوري فاعل ومؤثر، وهذا ما أشار له في قوله: «لما رُكِّبَ في الإناث وما طُبِعَ عليه الذكران». فلكل واحدٍ من الطرفين خواصّه ومميزاته.

٢- يترتب على العلاقة المثلية انقطاع النسل؛ فإنَّ الاستغناء بهذه العلاقات عن العلاقات الطبيعية يؤدي بالتالي إلى عدم الحمل والإنجاب، و بالتالي انقطاع النسل البشري، وهذا أيضاً معنى من معاني الهلاك؛ فإنَّ الاكتفاء بهذه العلاقات ينتهي بالأُمم إلى الفناء والانقطاع، وهذا ما أشار إليه في قوله: «من انقطاع النسل».

٣- وأشار عليه السلام في قوله: «فساد التدبير وخراب الدنيا». إلى المفاصد الأخرى التي تترتب على هذا الفعل الشنيع، وقد ذكرنا في ما سبق بعض هذه المفاصد، مثل فساد تربية الأولاد وغيرها.

(١) الصدوق، محمد بن علي، علل الشرائع: ج ٢، ص ٥٤٧.

وربما لأجل هذه المفاصد كانت العلاقة المثلية أعظم حرمة وأشدّ عند الله تعالى، ففي حديث عن الإمام الصادق عليه السلام جاء فيه: «حرمة الدبر أعظم من حرمة الفرج؛ إن الله أهلك أمة بحرمة الدبر ولم يهلك أحداً بحرمة الفرج»^(١)، والمقصود أنّ الله تعالى قد أهلك قوم لوط بسبب هذا الفعل.

هل المثلية الجنسية أمر طبيعي؟

ظهرت في الآونة الأخيرة عدة دراسات تبحث في حقيقة المثلية الجنسية، وهل هي جينات وأمر فطري يفرض على هذا الإنسان أن يكون شاذاً ولا يفرض على ذاك؟ أو هي حالة سلوكية مكتسبة ترجع إلى ثقافة الشخص وبيئته التي يعيش فيها، فهي بالتالي حالة اختيارية، يختارها الشخص؟

ويرى الفكر الإلحادي أنّ المثلية والشذوذ الجنسي أمر فطري طبيعي له جذور وراثية مرتبطة بالحمض النووي، وليس هو حالة مرضية عضوية أو نفسية أو غير طبيعية؛ لتتم معالجتها أو محاربتها، كما أنها لا تخضع للأحكام الدينية، ليقال: الشذوذ حرام أو هو جائز؛ إذ هو ليس أمراً اختيارياً بيد الشخص، وإنما هو شيء فرضته عليه الفطرة والطبيعة، ووفق هذا التفكير ليس من الصحيح محاربة الشاذين جنسياً بل لا بد من احتضانهم وإعطائهم حقوقهم والتعامل معهم بشكل إيجابي وطبيعي.

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٥، ص ٥٤٣.

وفي المقابل تؤكد الكثير من الأبحاث على بطلان هذه الفكرة، وأنه ليس هناك ما يُثبت صحة هذه الدعوى، بل ذكر كثير من العلماء والأخصائيين أن كَلَّ الدراسات والأبحاث التي أُجريت لإثبات صحة هذه الفكرة لم تكن دقيقة، بل كانت ناقصة، أو تُخفي بعض المقدمات المهمة، فهي بالتالي لا تصلح للإثبات العلمي.

وبعيداً عن المجال العلمي التخصصي فهو متروك لأصحاب الاختصاص، نريد أن نسجل بعض الملاحظات على أصل هذه الفكرة:

الملاحظة الأولى: أين كان هؤلاء المثليون قبل ١٠٠ عام مثلاً؟ فلماذا لم نكن نسمع عنهم شيئاً، أو نقرأ عن حياتهم في الكتب التاريخية التي لم تترك شاردة أو واردة إلاّ وتحدثت عنه؟! نعم، كنّا نسمع ونقرأ عن حالات الشذوذ الجنسي كممارسة الجنس مع نفس الجنس وهو المسمى بـ: اللواط والمساخرة، ولكن لم نسمع بوجود أناس مثليين كما نسمع اليوم؟ أليس من الغريب أن يظهر هذا العدد الكبير من المثليين في زماننا، بحيث أصبح يشكّل شريحة لافتة في المجتمع؟! ألا يؤثّر هذا على وجود التصرف والاكتساب والتعليم والتلقين؟! ثمّ أين كانت هذه الدعاوى التي تدعو إلى إعطاء المثليين حقوقهم الطبيعية والتي منها الاعتراف بأنّ المثلية حق طبيعي فطري؟! أليس ظهور مثل هذه الدعاوى في زماننا منبّهاً على وجود الأيدي العابثة؟!!

الملاحظة الثانية: كشفت الكثير من الدراسات عن علاقة المؤثرات الاجتماعية بالميول إلى المثلية، فذكرت بعض الدراسات أن فقد الأبوين أو

أحدهما يجعل الطفل أكثر ميلاً إلى المثلية بنسبة ٢٠٪، وفي دراسة أخرى اعترف ٨٤٪ من المثليين الذكور أن والدهم كان غير مكترث وغير مبالي بهم في صغرهم. كما أنّ الكثير من المثليين كان لديهم أصدقاء مثليون. بالإضافة إلى أنّ البعض منهم كان قد تعرّض إلى اعتداء جنسي في الصغر^(١).

إذن؛ من الواضح تأثير البيئة الأسرية والاجتماعية والثقافية في حدوث حالة الشذوذ عند الأطفال والمراهقين، وهذا شيء لا يمكن إنكاره، نعم يمكن المناقشة في مقدار النسبة ولكننا نتفق على دور البيئة في ذلك، وعلى هذا الأساس كيف نفسّر دور البيئة في حدوث الشذوذ إذا كان الشذوذ أمراً فطرياً طبيعياً؟! ألا يكون هذا مؤشراً ثانياً على عدم فطرية الشذوذ وأنه شيء مكتسب؟!

ومما يؤكّد دور البيئة في حدوث حالات الشذوذ ما جاء في بعض الدراسات التي أُجريت على بعض نزيلات السجون؛ حيث اتضح أنّ أكثر النزيلات كنّ مستقيماً قبل دخول السجن، ولكنهن أصبحن سحاقيات بعد دخول السجن^(٢)، ما يعني أنّ الشذوذ الذي حصل لهنّ لم يكن فطرياً، وإنّما تعلمنه من خلال الثقافة الموبوءة في السجن.

(١) أنظر: إسماعيل عرفة، الشذوذ الجنسي... سلوك مكتسب أم جينات لا نتحكم بها؟ مقال منشور على الإنترنت. <https://www.aljazeera.net/midan/intellect/sociology> الكثير من المعلومات قد نقلتها من هذا المقال.

(٢) الصرايرة، نائلة سليمان، الانحرافات الجنسية لدى نزلاء ونزيلات مراكز الإصلاح والتأهيل الأردنية: ص ٧٨.

الملاحظة الثالثة: الدعم الإعلامي الغربي للشاذين، حيث أقرّت الكثير من هذه البلدان بشرعية زواج المثليين قانونياً وما يترتب على ذلك من حقوق وآثار.

والتساؤل يطرح نفسه، ما الهدف من وراء هذا الدعم الإعلامي، وما هي الغاية من شرعنة زواج المثليين؟ وأين كان هذا الدعم في العقود السابقة؟ لماذا لم يظهر مثل هكذا دعم إلا في هذه الآونة؟ ألا يكشف ذلك عن وجود إرادة للتلاعب بثقافات الأمم والشعوب والعبث بأخلاقهم العرفية والدينية؟

كل هذه الملاحظات تعطي مؤشراً واضحاً على أنّ الشذوذ الجنسي ليس أمراً طبيعياً كما يُروّج له، بل هو شيء شاذ وغريب؛ لذا يحتاج إلى كلّ هذا الدعم وكل هذا الترويج، فلو كان أمراً طبيعياً لما احتاج إلى كلّ هذا التهويل الإعلامي في حجم عدد الشاذين وضرورة المحافظة على حقوقهم.

٣. الممارسة الجنسية مع الحيوان

من حالات الشذوذ الشائعة في بعض المجتمعات هي العلاقة الجنسية مع الحيوان، ويُطلق عليها (الزوفيليا)، وهي ظاهرة تنتشر في القرى والأرياف، حيث توجد الحيوانات كالماعز والخيول والحمير وغيرها، وتبرز هذه الظاهرة بكثرة في المجتمع الغربي؛ لكثرة اهتمامهم بتربية الحيوانات في داخل المنازل، كالكلاب والقرود وغيرهما، والسؤال المهم كيف صارت هذه

الحيوانات موضوعات لشهوة الإنسان؟ فكيف يشتهي الرجل أو المرأة الكلب مثلاً، فيمارس معه الجنس؟

ذكرنا في ما سبق أنّ المثير الجنسي لشهوة الإنسان هو عقلي خيالي، بينما يتهيّج الحيوان من خلال رائحة الأنثى التي تُطلقها عند إرادة ذلك، وعلى هذا الأساس فإنّ الصور والأوهام التي يتصورها الإنسان ويتخيلها هي التي تهيج جنسياً، فيمكن أن تُثيره صور الحيوانات وهي تتسافد، ولهذا امتاز الإنسان على معظم الحيوانات بالعادة السريّة التي تعتمد في الإثارة على الخيال.

يضاف إلى ذلك الكبت الجنسي الذي يدفع بالشخص إلى البحث عن طرق بديلة؛ لغرض الإشباع الجنسي، فيلجأ إلى الممارسة مع الحيوان، خصوصاً وأنّ الممارسة مع الحيوان لا تُسبب أي مشاكل اجتماعية، فليس للحيوان قدرة على النطق؛ ليفضح الفاعل، كما ليس هناك احتمال للحمل؛ ليفكّر الفاعل في كيفية التخلص منه.

ولا نغفل الرغبة لدى بعضهم بممارسة كل ما هو جديد؛ فإنها من دوافع هذا الفعل أيضاً، فالإنسان يحاول عبثاً أن يصل إلى مستوى الاكتفاء الجنسي الدائم من خلال بحثه الدؤوب عن (المتعة الكاملة)؛ لذا يحرص على تجربة كل ما هو جديد، ولكنه يغفل أنّ الجنس مثل ماء البحر كلما شرب منه الشخص ازداد عطشاً، فليس هناك متعة كاملة ولا لذّة تامة، فكثرة الممارسة

الجنسية وتنوعها لا تصل بالشخص إلى حدّ الإشباع، وإنما تزيد من لهائه وراء الشهوة وتزيده إرهاباً وتعباً.

والنصوص الإسلامية شددت على حرمة العلاقة الجنسية مع الحيوان، فعن النبي الأكرم ﷺ: «ملعون ملعون من نكح بهيمة»^(١)، والملعون هو المطرود والمبُعد^(٢)، وفي وصيته ﷺ لعليّ عليه السلام: «يا علي، كفر بالله العظيم من هذه الأمة عشرة: ... وناكح البهيمة...»^(٣)، وربما ترجع حكمة هذا التشدد واللعن إلى أنّ جعل البهيمة موضوعاً لشهوة الإنسان يُعدّ نوعاً من كفران النعمة وعدم احترامها، ويؤذّن بزوالها وفقدانها، فالتوظيف الخاطئ للشهوة يتسبب في بعض الأحيان بزوال النعم واستبدالها بالنقم، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٤).

٤. الممارسة الجنسية مع الذات/ أو ما يسمى بـ (العادة السرية)

من أنواع الانحرافات الجنسية الشائعة - لا سيما بين شريحة المراهقين والشباب - هي العادة السرية أو الاستمنا، وهي ممارسة جنسية أحادية فردية، تعتمد في الإثارة على التخيل أو النظر إلى بعض المشاهد والصور المثيرة جنسياً، فيقوم الشخص بذلك عضوه التناسلي بيده أو بآلة أخرى؛ لغرض

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٢٧٠.

(٢) أنظر: الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن: ص ٤٥١.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ص ٤٥١.

(٤) الروم: آية ٤١.

بلوغ الذروة، وقذف السائل المنوي. وتختلف هذه العادة من شخص لآخر، من حيث الوسائل المستخدمة فيها، ومن حيث عدد المرات في الشهر أو الأسبوع، وربما اليوم الواحد.

وتمثل هذه الممارسة حالة من حالات الانحراف؛ لما فيها من مخالفة للطبيعة، فإنّ العلاقة الطبيعية تفترض وجود طرفين في هذه الممارسة، طرف موجب وطرف سالب، فاعل وقابل، وهذه العلاقة الثنائية لا تقتصر على الإنسان، فكل شيء في الوجود له قطبان، وعلى هذا الأساس؛ فأحادية القطب لا تولّد شيئاً، والثنائية وحدها هي التي تُعطي الخصوبة، «...فالمستمني يعزل عن شريكه القطبي، وبذلك ينفصل عن الطبيعة، ويمارس تقييداً كبيراً لقدراته الخلاّقة، ويؤدي هذا إلى فقدانه للرجولة، وصعوبة في مشاريعه الشخصية، واضطرابات نفسية شتى، ونقص في التركيز العقلي، ووحدانية وتعاسة، وشدوذ في العلاقات مع الجنس الآخر، وضعف في الشخصية وقوة الإرادة»^(١).

ولهذه العادة أضرار كثيرة ونتائج سلبية، تنعكس على صحة الشخص جسدياً ونفسياً وذهنياً، فالضعف والحمول والكسل والأمراض الجنسية.. كلها آثار جسدية ناتجة عن هذه الممارسة، والكآبة والميل للعزلة والشعور بتأنيب الضمير... كلها من الآثار النفسية المترتبة على هذه الممارسة، وشتات

(١) جون باينس، أسس التعامل والأخلاق للقرن الحادي والعشرين: ص ٢٥٦.

الفكر وضعف التركيز وتناقص مستوى الحفظ وغيرها من الآثار الذهنية الناتجة عنها^(١).

وعلى الرغم من الأضرار الصحيّة والنفسية والذهنية الناتجة عن ممارسة العادة السرية - والتي أكدها العديد من العلماء والأخصائيين^(٢) - إلا أنّ هناك مَنْ يروّج لهذه الممارسة بذريعة فوائدها المفترضة أو المتخيلة، وهي بلا شك مجرد تبرير للانغماس الذاتي الذي يدّمّر الشخصية، وهذا التبرير في الحقيقة يندرج في إطار التستر على مفهوم (الانحرافات الجنسية)؛ لمناقضة كل نزعة أخلاقية^(٣).

وفي روايات أهل البيت تشديد وتأكيد على حرمة هذه الممارسة وضرورة تركها والابتعاد عنها، فقد سئل الإمام الصادق عليه السلام عن الخضخضة^(٤) فقال: «إثم عظيم، قد نهى الله تعالى عنه في كتابه، وفاعله كناكح نفسه، ولو علمت بمن يفعل ما أكلت معه»، فقال السائل: فين لي يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله من كتاب الله نهي؟ فقال عليه السلام: «قول الله: ﴿فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾^(٥)، هو مما وراء ذلك». فقال الرجل: أيها أكبر، الزنا أو هي؟ قال: «هو ذنب عظيم، قد قال

(١) أنظر: رامي خالد عبد الله الخضر، الانتصار على العادة السرية، وسائل عملية للوقاية والعلاج منها: ص ٦ وما بعدها.

(٢) أنظر: جون باينس، أسس التعامل والأخلاق للقرن الحادي والعشرين: ص ٢٥٤ وما بعدها.

(٣) أنظر: المصدر السابق: ص ٢٥٣.

(٤) الخضخضة: «تحريك الذكر باليد حتى يُمني». ابن سيدة، علي بن إسماعيل، المخصص: ج ١،

ق ٥ (السفر الخامس)، ص ١١٣.

(٥) المؤمنون: آية ٧.

القائل: بعض الذنوب أهون من بعض، والذنوب كلها عظيم عند الله؛ لأنها معاصي، وإن الله لا يحب من العباد العصيان، وقد نهانا الله عن ذلك؛ لأنها من عمل الشيطان وقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^(١). والملاحظ أنَّ السائل لما سأل الإمام عليه السلام بقوله: أيما أكبر، الزنا أو هي؟ أي: العادة السرية. لم يجبه الإمام عن ذلك، وإنما لفت نظره إلى مسألة مهمة، وهي: أنَّ المعاصي بما هي جرأة على الله فهي كلها عظيمة، فيفترض أن لا يكون التفاوت بين درجات الذنوب سبباً لتهوين بعضها أو الاستهانة بها، فالمفروض أن يلاحظ العبد أنها جميعاً معاصي وذنوب وخروج عن حدود الطاعة.

٥. السادية والماسوشية

السادية: هي التهيّج أو الإشباع الجنسي عن طريق إيلاء الشريك في الفعل الجنسي، بالتعدّي عليه بالضرب أو السب أو ما شابه ذلك^(٢)، أي: إنَّ التهيّج الجنسي أو الإشباع لا يحصل إلا بتألم الشريك، فيقوم السادي بتعذيبه وإيذائه، وربما يُمعن في الإيلاء حتى يرى الدم؛ ليشعر باللذة والنشوة، وقد تصل الدرجة إلى قتل الضحية، وربما يكتفي السادي جنسياً بمجرد إيلاء الشريك دون الحاجة إلى ممارسة الجماع، ففي بعض الأحيان يُنزل

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٠١، ص ٣٠.

(٢) أنظر: الحنفي، عبد المنعم، الموسوعة النفسية الجنسية: ص ٥٢٥.

السادى بمجرد رؤية الدم أو الجرح فى الشريك، فلا يحتاج بعد ذلك إلى ممارسة جنسية^(١).

وأما الماسوشية فهي نقيض السادية، فتكون الإثارة الجنسية أو الشعور بالإشباع الجنسي معتمداً على الشعور بالألم والذلة^(٢).

وتجدر الإشارة إلى أنّ السادية موجودة بشكل مخفف فى الرجل، كما أنّ الماسوشية موجودة بنسبة قليلة فى المرأة، وهي ضرورية؛ لأنّ طبيعة الرجل فى العملية الجنسية تجعله هو المهيمن والفاعل والمتسلط، وبالتالي هو يستمتع ويتلذذ بخضوع المرأة له واستسلامها له، كما أنّ دور المرأة على عكس طبيعة الرجل، فهي تتأثر وتستمتع إذا ما شعرت بالخضوع وأحسّت بشدة الرجل، وربما تجد فى نفسها الحاجة إلى القليل من العنف من قبل الرجل.

فالسادية ونقيضتها صفتان فطريتان ولا مشكلة من هذه الناحية؛ وإنّما المشكلة فيما لو تجاوزت هاتان الصفتان حدودهما الطبيعية، وتحوّلتا إلى مرض جنسي يعرّض صاحبه أو الآخرين إلى الضرر والأذى، وربما القتل كما فى بعض الحالات.

٦- ممارسة الجنس مع الدمى

راجت فى الآونة الأخيرة تجارة (جنس الدمى) بشكل مذهل، وتُعتبر الصين المصدر الأول لمثل هذه المنتجات، وقد تمّ تطوير هذه الدمى إلى

(١) أنظر: المصدر السابق: ص ٥٢٦.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ٥٣٧.

روبوت آلي يتحرّك، ويصدر أصواتاً وحركات تُحاكي أصوات وحركات الشريك الجنسي، وتكشف الإحصائيات عن مدى التفاعل مع هذه الدمى، والإقبال الكبير على شرائها على الرغم من ارتفاع أسعارها، وقد بلغ الأمر أن بعض الرجال قد استغنوا بهذه الدمى عن شريكته الحقيقية، وأصبحت هناك عُلقة عاطفية بينه وبينها.

ولا شك في أنّ هذه الممارسة تكشف عن مدى خطورة التماهي مع الشهوة وإطلاق العنان لها؛ إذ كيف يستبدل الشخص زوجته بدمية؟! من المؤكّد أنّ هذا الشخص لا يفهم حقيقة العلاقة الزوجية، ويجهل أنها عبارة عن ارتباط روحي وعاطفي وتبادل مشاعر وأحاسيس وممارسة حميمة يتبادل فيها الطرفان اللذة والنشوة، كما أنّ الحياة الزوجية أوسع من مجرد ممارسة جنسية، فهناك الأدوار الاجتماعية التي يتبادلها الطرفان، وهناك نتاج لهذه العلاقة وهم الأطفال الذين يحتاجون إلى عطف الأبوين ورعايتهما وتربيتهما. إنّ الذي يكتفي بدمية كشريك جنسي لا يفهم أيّ شيء عن الحياة الجنسية، بل لا يفهم أيّ شيء عن الحياة بشكلها الواسع التي تتطلب من الشخص أن يحدد هدفه ودوره ومساهمته في دفع عجلة الحياة نحو البقاء والعطاء والفاعلية.

ويجدر الالتفات إلى بعض الأمور:

١- إنّ الدمى ليست شريكاً حقيقياً، وإنما هي شريك وهمي خيالي، يعتمد على خيال الشخص وأوهامه، تماماً كما هو الحال في العادة السرية أو

الاستمناء، فهو في الحقيقة ممارسة جنسية أحادية، والتي تفرز حالة العزلة والانطواء والانكفاء على النفس، مما يُسبب الكثير من المشاكل الصحية.

٢- عمدت الصين لإنتاج هذه الدمى لأسباب ليست اقتصادية فقط، بل لحاجة المجتمع الصيني لمثل هذا المنتج؛ فإنّ المجتمع الذكوري في الصين أكثر من المجتمع الأنثوي بسبب قوانين تحديد النسل التي فرضتها السلطة على المجتمع، حيث يُسمح لكل عائلة أن تُنجب طفلاً واحداً، والعائلة غالباً تفضّل أن يكون وحيدها ذكراً؛ ولهذا ازداد عدد الذكور على الإناث، ومن أجل ذلك لا يجد العديد من الرجال شريكة جنسية حقيقية، فلذا اتخذوا الدمى بديلاً عن المرأة.

٣- يتوقع الكثير من الباحثين أنّ الكثير من الناس سيتجهون إلى الاستغناء عن الشريك الحقيقي بفضل هذه الدمى التي لا تزال شركات الإنتاج تقوم بتطويرها وتحسينها؛ لتحاكي الشريك الحقيقي بشكل أكبر، مما يعني العزوف عن الإنجاب أو التقليل منه تدريجياً، ثم انعدام النسل البشري. كل هذه النتائج سببها انحراف الإنسان عن الفطرة الإنسانية التي فُطر عليها، ومخالفته المتعمدة لنواميس الطبيعة، والشرائع الإلهية التي جاءت منسجمة تماماً مع الفطرة والطبيعة والنظام الكوني.

٧- ممارسة الجنس مع الموتى

بعض الأشخاص لا تقتصر انحرافات الجنسية على الأحياء فقط، بل تتجاوز ذلك إلى الموتى أيضاً، فبدلاً من أن يكون الميت موضوعاً للموعظة

والتفكير في عالم الموت والآخرة تكون المرأة الميتة موضوعاً للمتعة الجنسية، حقاً أنّ «قرين الشهوة مريض النفس معلول العقل»^(١)؛ إذ كيف سمحت له نفسه بذلك مع ما يراه من حال الميتة، من تغير الجسم وتشنج العضلات وتيبسها، وقبح المنظر، مع خروج الرائحة الكريهة، حقاً أنّ «مغلوب الشهوة أذل من مملوك الرق»^(٢)، فالشهوة إذا غلبت العقل وملكت فكر الإنسان وخياله صار ذليلاً أسيراً مغلوباً.

وجاء في الحديث عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّ الذي يأتي المرأة الميتة أعظم وزراً من الذي يأتيها وهي حيّة^(٣)، وربما يرجع ذلك إلى ما يلي:

١- أنّ هذا الفعل - بالإضافة إلى كونه زنا - يكشف عن دناءة النفس وضعفها.

٢- أنّ هذا الفعل ليس مجرد زنا فقط، بل هو هتك لشرف المرأة الميتة وكرامتها، حيث استغل هذا الفاعل موتها ليفعل فعلته؛ لأنها لو كانت حيّة لربما لا يتجرأ على ذلك، فقد تدفعه عن نفسها أو تحتمي بأهلها وعشيرتها أو غيرهما، فالفعل المذكور يتضمن جريمتين؛ جريمة الزنا، وجريمة الاستغلال.

٨- ممارسة الجنس أيام الطمث

والمقصود منه أن يمارس الرجل الجنس مع زوجته - أو أي امرأة أخرى -

(١) الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص ٣٧٢.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٨٧.

(٣) أنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ١٠، ص ٦٣.

أيام الحيض. ومن المعلوم أنّ هذا الفعل بحد ذاته محرّم في الشريعة الإسلامية، كما قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(١)، فالآية الكريمة تأمر الرجل باعتزال المرأة في فترة الحيض، وأنّ مقاربتها لا تجوز إلّا بعد أن تطهر، وتعلل ذلك بأنّ الحيض أذى؛ ومن هناك وجب الاعتزال، وعلى هذا الأساس فالمرأة أيام الحيض ليست مهياًة للممارسة الجنسية.

وقد شددت الشريعة على حرمة هذا الفعل؛ فوضعت كفارة على مَنْ يفعلها، مع عقوبة جسدية؛ لتأكيد المنع، فقد روى محمد بن مسلم قال: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن الرجل يأتي المرأة وهي حائض؟ قال: يجب عليه في استقبال الحيض دينار وفي استدباره نصف دينار. قال: قلت: جعلت فداك يجب عليه شيء من الحد؟ قال: نعم، خمسة وعشرين سوطاً ربع حد الزاني؛ لأنه أتى سفاحاً»^(٢)، وقد عللت العقوبة بأنّ هذا الفعل يُعدّ سفاحاً. والسفاح: الزنا والفجور^(٣)، فتكون الممارسة في الحيض نوعاً من أنواع السفاح من جهة الحرمة وعدم المشروعية، أي: يدخل في إطار النكاح غير المشروع.

(١) البقرة: آية ٢٢٢.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ١٠، ص ١٤٦.

(٣) أنظر: الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: ج ٤، ص ٩٠.

وتُشير الأبحاث العلمية والطبية إلى خطورة المباشرة أثناء الحيض والأضرار الناجمة عن ذلك، سواء على المرأة أو على الرجل؛ إذ من المعلوم أنَّ الدم ناقل فعّال للبكتيريا فإذا ما كان على ذكر الرجل بكتيريا - كما هو الغالب - فسرعان ما يقوم الدم بنقلها إلى مهبل المرأة ورحمها، والعكس أيضاً ممكن، لا سيما مع ملاحظة أنَّ الجهاز المناعي في المهبل تضعف فاعليته أثناء الحيض؛ ومن هنا يكون احتمال انتقال الأمراض بين الطرفين كبيراً جداً^(١).

كما أنَّ من الأضرار المحتملة العقم والحمل خارج الرحم والتهاب المجاري البولية فالمثانة فالكلى، وتذهب بعض الأبحاث إلى القول: بأنَّ هذه الممارسة ربما تكون من أسباب مرض سرطان عنق الرحم^(٢).

وكل هذه النتائج تؤكد على شذوذ هذه العلاقة وفسادها النفسي والبدني، وأنَّ الإنسان العاقل السويَّ يجدر به أن يأنف عن مثل هذه الممارسة التي تتقرّز منها النفس وتشمئزَّ منها، وعليه أن ينتظر فترة الطهر والنقاء؛ حيث تكون المرأة أكثر جاهزية للجماع نفسياً وجسدياً.

هذه بعض أنواع الانحرافات الجنسية، وهناك غيرها لم نذكرها تجنباً للإطالة، وهي كلها تجتمع تحت عنوان: (ممارسة الجنس خارج حدود الشرع).

(١) أنظر: البار، محمد علي، خلق الإنسان بين الطب والقرآن: ص ١٠١.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ١٠٢-١٠٥.

المبحث الثاني: التداعيات والتأثيرات

ويجدر الالتفات إلى أن أي سلوك مخالف للطبيعة تكون له مردودات عكسية، وكأن كل سلوك تبقى له آثار أثرية في الكون، فكلما كانت تلك الآثار سلبية كانت المردودات سلبية أيضاً، وإذا ما كانت إيجابية كانت المردودات إيجابية أيضاً، فكان الطبيعة تكافئ الفاعل على صنيعه، وعلى هذا الأساس يمكننا القول: إننا صنائع سلوكنا وتصرفاتنا^(١)، وربما نلمس في النصوص الإسلامية ما يدعم هذه الفكرة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢)، فهذه الآية تربط الإيمان والتقوى ببركات السماء والأرض، أي: الأمطار ونبات الزرع، كما تربط الآيات التالية: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِتْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾^(٣)، بين الاستغفار ونزول المطر والإمداد بالأموال والبنين، وفي المقابل جاء في الآية: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٤)، فإنها صرّحت بوجود علاقة بين ذنوب الناس والفساد في البر والبحر، مما يعني تأثير الذنوب

(١) أنظر: جون باينس، أسس التعامل والأخلاق للقرن الحادي والعشرين: الفصل الأول.

(٢) الأعراف: آية ٩٦.

(٣) نوح: آية ١٠-١٢.

(٤) الروم: آية ٤١.

والانحرافات على الكون والطبيعة، وكل ذلك بسبب سلوك الإنسان وانحرافاتة، ﴿لِيَذِقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾، وجاء في الحديث عن النبي الأكرم ﷺ: «إذا ظهر الزنا من بعدي كثر موت الفجأة، وإذا طففت المكيال والميزان أخذهم الله بالسنين والنقص، وإذا منعوا الزكاة منعت الأرض بركتها من الزرع والثمار والمعادن كلها، وإذا جاروا في الأحكام تعاونوا على الظلم والعدوان، وإذا نقضوا العهد سلط الله عليهم عدوهم، وإذا قطعوا الأرحام جُعِلَت الأموال في أيدي الأشرار، وإذا لم يأمرُوا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر ولم يتبعوا الأخيار من أهل بيتي سلط الله عليهم شرارهم فیدعو خيارهم فلا يستجاب لهم»^(١). فالحياة التي يعيشها الشخص ترجع إلى خياراته السلوكية، فهو مَنْ يقرر شكل الحياة التي يريدُها، فإذا كان يريد حياة مفعمة بالخيرات والنعم فعليه أن يؤمن ويتقي ويلتزم بحدود الشريعة، وأما مَنْ يختار المعصية وممارسة الانحرافات فهو بالتالي قد اختار لنفسه حياة تعيسة مليئة بالعقوبات والمصائب، قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَتَّبِعْ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾^(٢).

ويختلف الجزاء والعقوبة بحسب اختلاف الذنوب والمعاصي، فكلما كانت المعاصي كبيرة كانت ردود الأفعال المكافئة كبيرة أيضاً، فجريمة القتل

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٣، ص ٣٧٤.

(٢) طه: آية ١٢٣-١٢٤.

مثلاً أكبر بكل تأكيد من الضرب والإهانة، كما أنّ قتل أحد الأبوين أكبر من قتل أيّ شخص آخر، فالجزاء والعقوبة ستكون كبيرة وبحجم المعصية والجريمة التي تم ارتكابها، وبناء على هذا نلاحظ في النصوص الشرعية تفاوتاً في العقوبة والجزاء حسب نوع الخطأ والمعصية التي صدرت من الشخص؛ وما ذلك إلاً للتفاوت في الآثار والنتائج والمفاسد المترتبة على تلك السلوكيات، فإنّ النتائج المترتبة على قتل الإنسان أكبر وأعظم من النتائج المترتبة على ضربه وإهانته.

ولأنّ الانحرافات الجنسية من جنس المخالفات الكبيرة والخطيرة كانت العقوبة المترتبة عليها كبيرة أيضاً، بحيث تتلاءم معها وتناسبها، فلمّا تفشّى الانحراف والشذوذ في قوم لوط أمر الله تعالى بمعاقتهم وهلاكهم: ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾^(١)، وقد تقدّم في الحديث السابق أنّ الزنا إذا ظهر كثر موت الفجأة، وهو يؤكّد على أنّ الانحراف الجنسي والشذوذ له آثار وتداعيات خطيرة جداً تستحق هذه العقوبة وهذه المكافآت. وفي ما يلي نُشير إلى أبرز تلك التداعيات وأهمها:

التداعيات الاجتماعية

أولى تداعيات ظاهرة التحلل الأخلاقي والجنسي تظهر في داخل الأسرة؛ حيث ينتشر التفكك الأسري، وتزداد حالات الطلاق وهجران

العائلة، وتضعف العلاقات العائلية إلى حدّ التقاطع والكرهية؛ وذلك لانعدام الثقة بين الأفراد وطغيان الأنانية والنزعات الشخصية، يفقد الأب موقعه في داخل الأسرة وتفقد الأم مكانتها، ويتحرر الأولاد من قيود الأسرة في عمر مبكر فتأخذهم الحياة بعيداً عن الوالدين، ويُعيدون نفس التجربة المأساوية للأبوين وهكذا.

ومن بين الظواهر الخطيرة الناجمة عن التحلل الجنسي هي ظاهرة الأطفال غير الشرعيين الذين يأتون إلى الدنيا نتيجة نزوة عابرة، فينشؤون في الحياة بدون رعاية أبوية، فيتلقون تربية - إن كانت - مجردة من كلّ عاطفة أبوية، أو لا يتلقون أية تربية وإنما ينشؤون كما تنشأ النبتة في الأرض الصلبة فيأخذ من قساوتها وشدتها ما تجعله مجرماً خطيراً يفتك ويقتل، فيصبّ جام غضبه على المجتمع الذي حرّمه من العطف والحنان. وقد عاشت أوروبا ولا تزال هذه الظاهرة الخطرة، حيث كشف مكتب الإحصاء الأوروبي أنّ نسبة ٤٣٪ من المواليد في الاتحاد الأوروبي لسنة ٢٠١٦م، وُلدوا خارج إطار الزواج، وهذه النسب هي كالتالي:

في فرنسا بلغت ٦٠٪

وفي بلغاريا وسلوفينيا ٥٩٪

وفي إستونيا ٥٦٪

وفي السويد ٥٥٪

وفي الدنمارك ٥٤٪.

وفي البرتغال ٥٣٪.

وفي هولندا ٥٠٪^(١).

إلى جانب هذه الظاهرة الخطرة هناك ظاهرة لا تقل عنها خطورة، وهي ظاهرة الإجهاض، التي تلجأ إليها المرأة الحامل من علاقة غير شرعية، وتُشير الإحصائيات إلى أنّ حوالي ٥٠ مليون عملية إجهاض تتم سنوياً في كافة أنحاء العالم منها حوالي ٣٠ مليون عملية تتم تحت رعاية طبية آمنة في الدول التي تُبيح الإجهاض^(٢).

ولا نريد أن ننظر إلى الإجهاض من زاوية صحيّة وما يترتب عليه من مخاطر على حياة الأم، وإنما نريد أن ننظر إليه من زاوية إنسانيّة واجتماعيّة، فمع ملاحظة الإحصائيات المتقدّمة يتضح أنّ خمسين مليون جريمة قتل سنوياً تُرتكب بحق أطفال أبرياء لا ذنب لهم إلاّ أنهم ضحيّة نزوة طائشة وشهوة عابرة، فأغلب أسباب هذه الجرائم ترجع إلى العلاقات غير المشروعة، حيثُ يكون الجنين غير مرغوب فيه، وفيما إذا وُلد فإنه سيكون مبعوضاً ومكروهاً من قبل المجتمع.

(١) أنظر: مقال منشور تحت عنوان: (٤٣٪ من أطفال أوروبا وُلدوا خارج إطار الزواج)،

<https://www.aljazeera.net/news/miscellaneous/2018/8/9/43>

(٢) أنظر: فرج، د. هشام عبد الحميد، توابع العلاقات الجنسية الغير شرعيّة: ص ٦٥.

إلى جانب هذه المشاكل هناك مشكلة الطلاق التي تكثر وتزداد بسبب العلاقات غير المشروعة، فإنّ تماسك العلاقة الزوجية يعتمد بشكل كبير على مقدار الأمانة والوفاء بين الزوجين ومراعاة كل منهما لمشاعر الآخر وأحاسيسه، فإذا ما شعر أحد الزوجين بأنّ كرامته قد أهينت سارع - كردّ فعل - إلى ردّ اعتباره بطلب الطلاق، أو ترك الشريك وهجره ولو بدون طلاق، كما يحصل في كثير من الحالات. ولا شكّ في أنّ الطلاق من المشاكل الاجتماعية المدمّرة؛ فهي من أسباب هدم الأسرة وتمزيقها، وإهمال تربية الأولاد وحرمانهم من رعاية أحد الأبوين أو كليهما.

التداعيات النفسية والصحية

قد يتصوّر البعض أنّ الإباحة الجنسية وتحرير الشهوات وممارستها دون قيود يعود على النفس بالراحة والاستقرار والهدوء، فالذي يمارس الجنس متى ما رغب ومع مَنْ يريد ويشتهي لا يعيش حالة من الحرمان والكبت التي تسبب للنفس الكثير من المتاعب، مثل التوتر وضيق النفس والقلق وغيرها من الحالات التي يُسببها الحرمان.

إنّ هذا التصوّر يبتني على مغالطة وهي: أنّ إعطاء النفس ما تريد من شهوات ولذائد يوفرّ لها نوعاً من الاستقرار والهدوء، ولكن هذه الفكرة ليست صحيحة على إطلاقها، فإنّ الكثير ممن أطلقوا العنان لشهواتهم لم يحصلوا على هذا الاستقرار والهدوء، بل ازدادوا شعوراً بالجوع والحرمان.

يقول كولن ولسن في كتابه (الجنس والشباب الذكي): «من منا لا يحسد السلطان الذي يلتفت إلى وزيره، حين يرى فتاة جميلة، ويقول له: أحضرها إلى قصري الليلة. لكن هل هذا فعلاً هو ما يجعل حياة الإنسان الجنسية كاملة؟ بالطبع لا، ولعدة أسباب؛ منها أنّ السلطان سيضجر من حريمه كما يضجر أمين المكتبة من كتبها. ما يريد السلطان أن يجربه مرة ومرة هي تلك الأحاسيس التي تتاب شاب يمارس الحب لأول مرة، ويعرف أن حبيبته على استعداد أن تمنحه نفسها كليّة. إنّ الحريم المملوء بالنساء لن يكون مثيراً بعد عدة أسابيع، أكثر من حضيرة مملوءة بالأبقار. ما يبرز في ذهن أيّ شخص يملك العقل ليتعمّق هذه المشكلة هو أنّ الحاجة لكل النساء هي خدعة وحيلة»^(١). إنّ الاستقرار النفسي لا يوفره الجنس لوحده، بل هناك عوامل أخرى لها دور في استقرار النفس وهدوئها، فطبيعة العلاقة بين الشريكين لها أبلغ الأثر في شعورهما بالارتواء والشبع، فالحبّ وقوة العاطفة بينهما وشدة الارتباط الروحي من مكملات الشعور بالاستقرار النفسي والإحساس بالارتواء.

فالإباحية لا توفر الاستقرار النفسي كما يتوهم البعض، بل الأمر بالعكس تماماً؛ فإنها سبب في زيادة التوتر والاضطراب النفسي وعدم الاستقرار؛ لأنّ الإنسان عندما لا يكون همه إلاّ إشباع الغريزة وتوفير

(١) كولن ولسن، الجنس والشباب الذكي: ص ٤٨.

متطلباتها، ينشغل عقله وفكره وكل مشاعره وأحاسيسه في هذا المجال، فهذه امرأة جميلة وتلك أجمل، وعندما لا يحصل على ما يريد تتوتر أعصابه وتضطرب نفسه، وربما يستخدم وسائل شيطانية للظفر ببغيته، وربما لا تنجح، وكل ذلك مما يسبب له القلق والاضطراب، وربما يقع في تنافس محموم مع الآخرين لنيل ما يريد، ولا بدّ أن ييؤ بالفشل في بعض المنافسات مما ينعكس سلباً على نفسيته وذهنه.

ومما يؤكّد ذلك الزيادة الملحوظة في الأمراض النفسيّة في المجتمعات التي تعيش حالة الإباحيّة، فإن الكشف الطبي يؤكّد أنّ الكثير منها ناشئ من الفوضى الجنسيّة والعلاقات غير المشروعة، فالحمل غير الشرعي، والخوف من الأمراض الجنسيّة، والقلق من الاستغلال الجنسي، وغيرها مما يسبب القلق والاضطراب النفسي، وبالتالي الأمراض النفسيّة المعقّدة .

وخير شاهد على مضار الإباحية المجتمعات التي تحلّت وانساقّت وراء هذه الدعوة، كالمجتمع الأوربي والمجتمع الأمريكي، فهما اليوم يئنّان من مضارها، ويعانيان من تبعاتها. لقد تلقّت هذه المجتمعات فكرة الإباحيّة بكل رحابة صدر، بعد أن روجوا لها بمختلف الوسائل، فأصبح المجتمع لا يتحرّج من الحديث عن الحرّية الجنسيّة، وصار من المألوف أن يكون لكل شخص - امرأة أو رجل - عشيقٌ وصديقٌ بل أكثر، ومن الطبيعي أن يكون للرجل زوجة وخليفة أو يكون لها زوج وعشيق، ومن الطبيعي أن تحمل

البنات قبل الزواج، وبسبب ذلك كثرت الولادات غير الشرعية وفقدت الأسرة تماسكها، وكثرت ظاهرة إسقاط الجنين، ثم كثرت الأمراض الناتجة عن العلاقات غير المشروعة، ثم تطور الأمر إلى المثلية والعلاقة الجنسية مع الجنس المماثل، وكثرت عمليات تغيير الجنس، ثم تعالت الأصوات لرفض فكرة اختلاف الجنس بين الرجل والمرأة، والمطالبة بتوحيد الجنس البشري.

فالإباحية الجنسية بدلاً من أن تعالج مشاكل المجتمع الناجمة عن الكبت الجنسي - كما يزعمون - زادت الطين بلة، فأرهقته بمشاكل إضافية انعكست على الواقع الصحي والاجتماعي وغيرهما، وبدلاً من أن تكون حلاً للمشكلة الجنسية التي يعاني منها الشباب أفرزت مشاكل جديدة. فبسبب هذه الحرية زاد تفكير الشاب بالجنس وأصبح لا همّ له إلاّ العلاقات الجنسية، فنسمع ونقرأ يومياً عن حجم الجرائم الجنسية التي تتضاعف يوماً بعد يوم. فإذا كانت الحرية الجنسية تعالج المشاكل النفسية الناتجة عن الكبت والحرمان، فلماذا ازدادت وتيرة المشاكل والأزمات النفسية والصحية؟! ولماذا كلّ هذا الهوس والانشغال بالجنس؟!

إنّ من الطبيعي جداً أنّ الشخص إذا انشغل تفكيره واهتمامه بالجنس ازدادت رغبته فيه، وهذه حقيقة يلمسها كلّ إنسان، فلا تحتاج إلى دليل أو برهان، فمع كلّ هذه المثيرات المرئية والصوتية، ومع كل هذه المغريات والفرص المتاحة للشباب كيف لا يكون الانشغال بالجنس أكثر وأشدّ؟!

وعلىنا أن نستفيد من التجربة الغريبة، فإنّ الحرّية الجنسيّة التي يعيشونها زادت من انشغالهم بالجنس، فظهرت الانحرافات وتنوّعت وانتشرت الأمراض والمشاكل، وتفككت الأسر وانهارت، فأين هي المكاسب التي حققتها دعوة الحرّية الجنسية؟! وما هي المعالجات النفسيّة التي تحققت؟! كلها مجرد شعارات ليس إلّا!

تقول الدكتورة ميريّام جروسمان - وهي طبيبة نفسيّة - في كتابها القيم: (الإباحيّة ليست حلاً): إنّ «السياسات الراديكاليّة متغلغلة في مهنتي إلى الحدّ الذي أضحت معه طاردة لكلّ مبادئ العقل والفضيلة السليمة. إلى عهد قريب كان الطبيب النفسي يسمي علاقات الجنس الكاجوال نشاطاً غير عقلاني وخاوي قبل أن يكتم الصواب السياسي عقولنا وأفواهنا، في التسعينيات كان طبيب الجامعة يؤكّد للطلاب أنّ الحبّ والعفة يحققان البهجة ولديهما القدرة على تحرير المشاعر وهما أفضل تأمين ضدّ الأمراض المنتقلة جنسياً. كان الإجهاض والحمل غير المرغوب فيه قضايا جادّة ذات شأن عظيم. استوعبنا حقيقة أنّ الرجال والنساء جنسان مختلفان للغاية، ولم يكن لدينا خوف من الاعتراف بذلك. كان واضحاً أنّ الغراميات خارج إطار العلاقات الجادّة قد تشكّل خطراً، وأنّ الحكمة قد تقتضي من امرأة شابة أن تنتظر حتى تجد شخصاً جاداً. كان أي مرض منتقل جنسياً - حتى ولو كان من السهل شفاؤه - يعتبر مسألة خطيرة. ساهمت مهارات ضبط النفس في بناء الشخصية، وكان بناء الشخصية غاية قيمة تستحقّ البذل... كان الزواج التقليدي والأبوة والأمومة خطوات حياتيّة قيّمة.

لكن الأمور الآن قد تغيّرت

الآن يُنصح الشباب والفتيات باستخدام الوسائل المطاطيّة، وأن يكون لهم عدد محدد من الشراكات (بالتقابل مع عدد غير محدود!). هناك اتفاق ضمني على التعددية الجنسيّة والتجريبية الجنسيّة... أصبحت الإصابة بواحد من الأمراض المتقلّبة جنسياً من طقوس العبور والنضوج... الإجهاض هو استبعاد أنسجة غير مرغوبة... تؤمن النساء الشابات بإمكانية تأجيل الأمومة إلى ما لانهاية. فصول صحة المرأة تعمل على توعيتهنّ فقط عن كيفية تجنّب الحمل. الزواج التقليدي والأسرة المكوّنة من أب وأم هي مجرد خيار، هناك بدائل، وجميع تلك البدائل متساوية من حيث المشروعيّة.

تلك التغيّرات هي نتيجة أجنّادات اجتماعيّة خادعة اقتنحت مجتمع الحياة الجامعيّة، ومن خلال عملي في مركز الاستشارات أشاهد التبعات بشكل يومي^(١).

إنّ دعاة الإباحيّة قد استثمروها كسلاح للإطاحة بالكثير من المنافسين السياسيين وغيرهم من الشخصيات الاجتماعية المهمة، فمن خلال النزوات والشهوات يتمّ ابتزازهم أو تجريدتهم من مناصبهم أو ما شاكل ذلك، ويمكن

(١) ميريّام جروسمان، الإباحيّة ليست حلاً: ص ١٠-١١. نحن ننصح القارئ بمطالعة الكتاب المذكور: (الإباحيّة ليست حلاً)؛ ليقف على عشرات القصص والحوادث المروّعة التي تروينا هذه الطليبة عن مضارّ ونتائج العلاقات غير المشروعة، والتبعات الصحيّة والنفسية والاجتماعيّة الناجمة عن دعوى الإباحيّة والحرية الجنسيّة.

في هذا المجال مراجعة ما كُتب من قصص وحوادث، وما وُثِّقت من حقائق^(١).

والخلاصة: إنّ تحرير الشهوة الجنسيّة وإطلاق العنان للذائد لا يورث الشعور بالشبع والاكْتفاء، بل يورث النهم الزائد والشعور بالجوع الجنسي بشكل أشدّ، مثل شرب ماء البحر؛ فإنه لا يورث صاحبه إلّا زيادة العطش.

ويجدر الالتفات إلى أنّ الإدمان على مشاهدة المزيّيات الجنسيّة يؤدي إلى الهوس الجنسي، حيث يسيطر الجنس على اهتمامات الشخص المهووس ويشغل معظم تفكيره، إلى حدّ الإنهاك والضعف؛ فإنّ المادة المعروضة مثيرة جداً، فكلما شاهد المتابع منظرًا مثيراً سرعان ما تهيج وبلغ حدّ الذروة، ثمّ القذف، ثمّ يشاهد مرثياً مثيراً آخر فيتّهيج ثم يقذف، وهكذا إلى ما لا حدّ، ويكرر ذلك يومياً ومن دون توقف، ولك أن تتصور حالته بعد سنة، فكيف ستكون حالته؟ لا شكّ في أنّ الإفراط في الطعام والجنس والخروج عن الحدّ الطبيعي له عواقب وخيمة، فكمّثرة الطعام تسبب الكثير من الأمراض وأولها السمّة، وهكذا الإفراط في الجنس يؤدي إلى مشاكل صحيّة ونفسية عديدة.

ومن التداعيات النفسية الشعور بالندم والذنب والعار بعد ممارسة الانحراف أو مشاهدة المزيّيات الجنسيّة، ولهذا الشعور عواقب وخيمة وآثار مدمّرة؛ فإنّ هذا الشعور يقود الشخص إلى حالة من حالات اليأس والحيرة،

(١) يُراجع على سبيل المثال كتاب (الرغبة المدمرة) لمؤلفه: أحمد المنيّاوي.

وعدم الأمل بالرجوع والتوبة والاستقامة ومعالجة المشكلة، وربما لا يفارقه هذا الشعور طوال حياته، ويؤيد ذلك ما جاء في الحديث: «وكم من شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً»^(١).

وأما في مجال صحة البدن فللعلاقات غير المشروعة مشاكل صحيّة كثيرة وخطيرة، لا سيما أمراض نقص المناعة: (الإيدز)، وبعض هذه الأمراض لا يوجد له علاج لحدّ الآن، وقد تناول الكثير من الباحثين هذا الموضوع، وتحدّثوا عن مخاطر الإباحيّة، ومن أولئك الباحثين الدكتورة ميريّام جروسمان، حيث تناولت في كتابها: (الإباحيّة ليست حلاً)، الكثير من القصص والحوادث التي مرّت عليها أثناء عملها كطبيبة نفسانيّة، فالكتاب عبارة عن حوادث ووقائع دونتها المؤلّفة لتثبت مدى خطورة الإباحيّة والعلاقات غير المشروعة على الواقع الصحي والنفسى.

وتشدد الدراسات ومنظمات الصحة العالمية على خطورة هذه الانحرافات وأضرارها الصحيّة والنفسية، فقد جاء في قرار منظمة الصحة العالمية، في الاجتماع الثامن والعشرين المنعقد في مايو عام ١٩٧٥م: «إنّ الأمراض الجنسية هي أكثر الأمراض المعدية انتشاراً، والتي تشكل تهديداً خطيراً على الصحة العامة في العالم اليوم»^(٢)، ويقول الدكتور ثيودور كوبر رئيس دائرة

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٤٥١.

(٢) البار، محمد علي، الأمراض الجنسية أسبابها وعلاجها: ص ٦.

الثقافة الصحيّة ووكيل وزارة الصحة في الولايات المتحدة: «إنّ السلوك الإنساني هو حجر الزاوية في الأمراض الجنسية وانتشارها»^(١)، وعلى الرغم من التقدّم التكنولوجي في مجال الطب إلّا أنّ الأمراض الجنسية تزداد يوماً بعد يوم وتتطوّر، ولا يزال الكثير منها عصياً على العلاج، فمرض الإيدز - أو (فقدان المناعة المكتسب) - لم يستطع الطب الحديث أن يجد له علاجاً، وقد راح ضحيته آلاف المصابين، وهكذا مرض الزهري (السفيلس) ومرض السيلان (الجونوريا) وغيرها من الأمراض الخطيرة الناتجة عن العلاقات غير المشروعة، وتنتشر هذه الأمراض بكثرة في البلدان التي تنتشر فيها الانحرافات الجنسية والشذوذ، كالولايات المتحدة الأمريكية، والبلدان الغربية عموماً، وبلدان شرق آسيا^(٢).

وفي أثناء كتابتنا لهذا الكتيّب وتحديدًا هذا الفصل بدأ ينتشر في العالم مرض جديد تمّت تسميته بـ: (جدري القردة)، والملاحظ أنّ أكثر المصابين به من المثليين، وهذا ما أكّدت عليه التقارير الدوليّة الحاليّة^(٣).

(١) المصدر السابق.

(٢) للوقوف على تفاصيل الأمراض الناتجة عن الانحرافات الجنسية نوصي بمراجعة الكتاب المتقدم: (الأمراض الجنسية أسبابها وعلاجها).

(٣) أنظر: العين الإخبارية، جدري القردة والمثلية الجنسية. ما العلاقة؟

وهذه الأمراض الناتجة عن الزنا واللواط وغيرها من الانحرافات الجنسية ليست وليدة اليوم، بل هي قديمة بقدّم هذه الانحرافات، وهي واضحة ومعلومة لدى أكثر الناس، ولكن الملفت في الأمر ظهور أمراض جنسية وغير جنسية حديثة لا ترجع إلى الممارسات الجنسية المنحرفة، وإنما ترجع إلى إدمان مشاهدة الأفلام الإباحية والفيديوهات المثيرة للجنس، ففي دراسة حديثة تحت عنوان: (دماغك تحت تأثير الإباحية) يتحدث فيها المؤلف عن تأثير الإدمان في مشاهدة الأفلام الإباحية على الدماغ، ويتوصل إلى النتيجة التالية: أنّ مشاكل ضعف الأداء الجنسي المنتشرة في الآونة الأخيرة بين شريحة الشباب ترجع إلى الإدمان على مشاهدة هذه الأفلام، تماماً كالإدمان على تناول المخدرات الذي له آثار وعوارض صحيّة مختلفة. وعلى حدّ تعبير أحد الباحثين: «إنّ الاستهلاك المزمن للإباحية الجنسية يمكن أن يسبب بشكل أو بآخر تآكلاً في جهاز المكافأة في الدماغ»^(١).

ويشير المؤلف إلى تأثير مشاهدة هذه المواقع على العلاقة العاطفية مع الزوجة؛ حيث ينقل كلام الكثير من المتزوجين الذين عانوا طيلة فترة إدمانهم على مشاهدة الأفلام الإباحية من ضعف العلاقة العاطفية مع زوجاتهم، وأنهم بعد أن أفلحوا عن مشاهدة هذه المواقع تحسّنت علاقتهم بزوجاتهم، وشعروا بوجود رغبة جامحة تجاه زوجاتهم لم تكن موجودة خلال تلك

(١) غاري ويلسون، دماغك تحت تأثير الإباحية: ص ٢٧.

الفصل الرابع: أنواع الانحرافات الجنسية وتداعياتها وتأثيراتها ١٩٣

الفترة^(١)، فالذي يشاهد الأفلام الإباحية وهي تعرض مشاهد الإثارة بطريقة احترافية مع تنوع الفيديوهات والمشاهد لا يجد - حينذاك - في زوجته ما يشير به جنسياً، وبالتالي تقلّ رغبته تجاهها، ومن ثمّ تضعف علاقته العاطفية بها. ومن الأمراض التي يفرزها إدمان مشاهدة الأفلام الإباحية (تبدّل الإحساس) وهو: ضعف وخدر في الاستجابة للمتعة^(٢)، فأول ما يشعر به المدمن على مشاهدة هذه المواقع أنه يفقد الإحساس بالمتعة، مما يجعله بحاجة إلى مشاهدة محفزات أقوى وأفحش؛ لبلوغ الإحساس بالمتعة، وسرعان ما تتحوّل هذه المثيرات الفاضحة إلى مشاهد عادية جداً لا تحرك شهوته؛ فيحتاج للبحث مجدداً عن مثيرات أخرى أشدّ فحشاً، وربما إلى مشاهدة فيديوهات صادمة ومؤذية نفسياً؛ لغرض الحصول على الإثارة.

ومن هنا نفهم عظمة تشريعات الإسلام ومدى حکمتها؛ فقد حرّم الإسلام مشاهدة المثيرات الجنسية أو التي يمكن أن تكون مثيرة - باستثناء الزوجة - فمشاهدة المواقع الإباحية والصور العارية والفاضحة واللقطات المثيرة، والنظر إلى المرأة الأجنبية أو الحديث معها بشهوة وإثارة، وكذلك المرأة تجاه المشاهد التي تثيرها، كل ذلك حرام بشكل مؤكّد، وفرض الإسلام الحجاب على المرأة، كل ذلك لأجل تهذيب الرغبة الجنسية وتوظيفها في مكانها الصحيح، وسيأتي الحديث عن ذلك في الفصل الآتي إن شاء الله تعالى.

(١) أنظر: المصدر السابق: ص ٦٦-٦٨.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ١٠١.

التداعيات السياسية

ربما يستغرب القارئ من العنوان فكيف يكون للجنس انعكاسات سياسية وتأثيرات في هذا الجانب، ولكن هذا الاستغراب سرعان ما يزول بعد ملاحظة الابتزاز الذي يتعرض له الكثير من السياسيين بسبب نزواتهم الجنسية الطائشة، فكان الانحراف الجنسي سبباً في سقوط الكثير من الشخصيات .

وقد ألفت كُتُبٌ تكشف عن مدى تأثير الجنس في عالم السياسة، منها ما دوّنه الدكتور سليمان المدني حول هذا الموضوع في كتابه: (السياسة والجنس)، ومنها كتاب (الرغبة المدمّرة) لأحمد المنيawi، حيث سرد المؤلفان الكثير من القصص والحوادث والوثائق لشخصيات سياسية كبيرة، بعضهم رؤساء دول، وبعضهم رؤساء وزراء، والبعض الآخر وزراء وشخصيات سياسية بارزة، تعرّضوا لشتى أنواع الابتزاز السياسي بسبب نزواتهم وشهواتهم غير المنضبطة. كما تكشف هذه القصص عن حجم الفساد الأخلاقي والتفسيخ والتحلل الذي يعيشه المجتمع الغربي، لا سيّما الطبقة الحاكمة، مما أوقعه في مشاكل جمّة كالأبناء غير الشرعيين الذين يرفض الأبوان الاعتراف بهم؛ لأنّ ذلك سيؤثّر على مراكزهم السياسية ومواقعهم الحكومية.



الفصل الخامس

العلاقات غير المشروعة...

المعالجات والمقترحات

الفصل الخامس

العلاقات غير المشروعة... المعالجات والمقترحات

وصلنا في الكتاب إلى الفصل الأخير والحاسم والذي من خلاله يتم التعرف على أهم الحلول والمعالجات لموضوع العلاقات غير المشروعة، بعد أن تعرّفنا على تاريخها وأنواعها ومشاكلها وتداعياتها.

ونلفت إلى أنّ الإسلام يحثّ على تكوين العلاقات الاجتماعية وتقويتها والمحافظة عليها، بل اعتبر القرآن الكريم التعارف بين الأفراد والأُمَم من غايات الخلق الرئيسيّة، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا^١ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ^(١)، فالتعارف غاية لجعل الناس على شكل شعوب وقبائل، ومن الأهداف المهمة تكوين العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات، وغاية نبيلة يحثّ عليها القرآن الكريم. والملفت أنّ الآية عبّت ذلك التعارف بالتقوى مما ينبّه على أنّ المطلوب من العلاقات ما كان مبنياً على أساس التقوى وحفظ الحقوق ورعاية الضوابط الدينية، فليس كل علاقة مطلوبة ولو كانت سلبية، وإنما المطلوب العلاقات الإيجابية النافعة.

(١) الحجرات: آية ١٣.

ومن هنا؛ فقد حرص الإسلام على تهذيب العلاقات الاجتماعية وبناء المجتمع وفق القيم الإنسانية النبيلة، مثل المودة والتراحم والاحترام، والصدق والأمانة والإخلاص، والعفة والطهارة والإعانة والمساعدة وغيرها مما ذكرته النصوص الدينية وجرت عليه سيرة النبي الأكرم ﷺ وأهل بيته الطاهرين، والمجتمع الإسلامي في العصور الأولى.

وفي مقابل ذلك حذر الإسلام من العلاقات التي لا تقوم على الأسس السليمة التي وضعها، وحذر من كل ما يهدد تماسك المجتمع ويتنافى مع قيمه وأخلاقه، ومن هنا حرّم العلاقات غير المشروعة؛ لما يترتب عليها من المفاسد والآثار المدمّرة التي قد اتضحت مما سبق.

ومن أجل صيانة الأسرة والمجتمع من العلاقات غير المشروعة - وحفظها من التفكك والتفسخ - وضعت الشريعة قوانينها الخاصة لمنع نشوء هذه العلاقات السلبية، ولمعالجة ما يقع منها.

ويجدر الالتفات إلى أنّ المعالجات والحلول التي سنطرحها مستفادة من الرؤية الإسلامية لهذا الموضوع الحيوي المهم، فقد تعرّض القرآن الكريم وهكذا الأحاديث الشريفة إلى هذا الموضوع وأولياه اهتماماً خاصاً، وسيوضح أنّ المعالجات الإسلامية معالجات فعّالة وحاسمة، وتتفوّق بشكل كبير على كل المعالجات الوضعية الغربية الحديثة.

ولكن قبل الخوض في تفاصيل المعالجات والحلول يلزمنا أن نتذكّر بعض النتائج التي تقدمت:

١- الغريزة الجنسية من الغرائز الفطرية الأساسية التي يتوقّف عليها بقاء النوع الإنساني؛ ولذا لا يمكن كبتها أو تجاهلها أو عدم توظيفها.

٢- إنّ الغاية من هذه الغريزة ليست فقط التكاثر والانجاب، بل هي متعة ولذة توفّر للإنسان الراحة والاستقرار والاطمئنان مع الشعور بالرضا والنشوة.

٣- إنّ الشريعة الإسلامية تحرص على أن تكون العلاقة بين المرأة والرجل غير الزوجين قائمة على أساس ودافع إنساني بحت، والابتعاد في التعامل بينهما عن أي شكل من أشكال العاطفة والغريزة الجنسية.

٤- العلاقات غير المشروعة في نظر الإسلام تختلف عنها في نظر المدنية الحديثة؛ فكل علاقة عاطفية - خارج إطار الزواج - فيها إثارة وشهوة تُعتبر في نظر الإسلام علاقة غير مشروعة، وأما المدنية الحديثة، فتعتبر العلاقة غير المشروعة هي كل علاقة تخرج عن حدود الرضا والموافقة بين الطرفين، فإذا ما نشأت العلاقة بين الرجل والمرأة برضا الطرفين فهي علاقة مشروعة، سواء كان بينهما عقد زواج أو بدونه، وأما العلاقة المبنية على تبادل الشهوة دون علاقة جسدية فهي أمر عادي جداً في نظرهم.

إذا اتضحت هذه الأمور فلندخل في التفاصيل:

تقدّم منا مراراً التأكيد على أنّ فكرة إباحة الجنس - والتي ينادي بها البعض - لا يمكن أن تعالج مشاكل الجنس، بل هي جزء المشكلة، وقد أثبتت

التجربة فشل هذه الفكرة؛ إذ لا تزال الدول التي دعت وسمحت لمواطنيها بذلك تعاني من مشاكل الانحرافات الجنسية والشذوذ الذي يستفحل يوماً بعد يوم.

وقد تحدثنا عن هذا الموضوع في الفصل السابق واتضح أن الإباحة الجنسية لا تصلح حلاً للمشكلة الجنسية. فلم يبقَ عندنا إلا تقييد هذه الشهوة وعدم السماح لها إلا في قنواتها المسموح بها شرعاً. وهذا ما يتطلب وضع خطة تربية لضمان سلامة العلاقات بين الجنسين أو بين الجنس الواحد؛ لتكون علاقة قائمة على أسس إنسانية بعيدة عن دوافع الشهوة.

معالجات التخلص من العلاقات غير المشروعة :

نجد في الشريعة الإسلامية عدة خطوات لمعالجة مشكلة (العلاقات غير المشروعة)، بعضها تدخل في إطار الخطوات الوقائية والتي تهدف إلى إبعاد الشخص عن مواطن الخطر قدر الإمكان، ومنعه من الوقوع في علاقات غير مشروعة، وممارسة نشاطه اليومي في أجواء سليمة وطبيعية، والبعض الآخر منها يدخل في إطار الخطوات العلاجية؛ لمعالجة المشكلة بعد وقوعها، فكيف يتعامل الإسلام مع العلاقات غير المشروعة إذا ما وقعت وتحققت؟

إذن: لا بدّ لنا من تناول الموضوع بلحاظ جهتين: الحلول الوقائية، والحلول العلاجية.

الحلول الوقائية

ولا بدّ قبل ذكر الحلول والمعالجات من تحديد المشاكل التي تواجه الإنسان في هذا المجال، ويمكن أن نحددها بما يلي:

١- كيف نستطيع معالجة ظاهرة العلاقات غير المشروعة؟ وكيف يتمّ الحدّ من تداعياتها الخطيرة؟

٢- ما هي الطرق والوسائل التي يطرحها الإسلام لصيانة المجتمع من هذه العلاقات وحمايته من آثارها المدمّرة؟ وما هي الإجراءات التي يضعها الإسلام لمكافحة أيّ علاقة غير مشروعة؟

وقد وضع الإسلام عدّة إجراءات؛ لتقي الإنسان والمجتمع من الوقوع في شرك العلاقات غير المشروعة، وفيما يلي نستعرض تلك الإجراءات:

الخطوة الأولى: تجنّب مثيرات الشهوة

ذكرنا مراراً أنّ الإسلام يدعو لأن تكون العلاقات الاجتماعية قائمة على أساس إنساني، بعيداً عن الميول الجنسية والعلاقات غير السويّة؛ فإنّ هذا النوع من العلاقات يبقى مقصوراً بين الأزواج فقط؛ لأنّ الزواج هو المحل الوحيد لتصريف هذه الشهوة، ولكي نضمن سلامة العلاقة بين الرجل والمرأة يجب أن يكون نظر الرجل إلى المرأة على أساس أنها إنسان وليس موضوعاً للشهوة، وكذلك هي تنظر إلى الرجل على أساس أنه إنسان وليس موضوعاً للشهوة، فإنّه بهذه النظرة تكون العلاقة بين الجنسين علاقة طبيعية

لا يشوبها شيء، وهذه الثقافة التي يطرحها الإسلام تختلف عن الثقافة التي يطرحها الغرب؛ فإنّ الغرب ينظر إلى المرأة على أساس أنها مجرد أداة للمتعة واللذة، وأنّ علاقة الرجل بها قائمة على هذا الأساس؛ فلذا يُستعان بها كوسيلة من وسائل الجذب والإغراء؛ لكسب المال والرجال.

ولكي تتم المحافظة على سلامة العلاقة بين الرجل والمرأة يذكر الإسلام مجموعة من الأحكام التي تنأى بهذه العلاقة عن أيّ تفكير عاطفي شهواني، كغضّ البصر، والحجاب، وحرمة الخلوة وغيرها من الأحكام التي سنفصلها فيما يلي:

١- حرمة النظر

إنّ النظر إلى مفاتن المرأة وملاحظة حركاتها مما يثير غالباً الشهوة لدى الرجل، وكذلك العكس، فالكثير من النساء تُثار إذا ما شاهدت رجلاً عارياً أو شبه عارٍ، أو بعض الحركات التي تصدر منه، بل الأمر أكثر من هذا، فالمرأة الحسنة ذات الوجه الصبيح والجميل مما تجذب أنظار الرجال حتى لو كانت محجّبة، بل حتى بياض الكف مما يثير عواطف الرجل، وكذلك الرجل إذا كان جميلاً ووسيماً؛ ولهذا حثّ الإسلام على غصّ البصر وتجنّب التفحص والتأمل في الطرف الآخر إذا لم تكن هناك ضرورة أو دواعٍ عقلانية للنظر، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ

فُرُوجَهُنَّ ﴿١﴾، والمقصود: عدم النظر إلى ما لا يحلّ النظر إليه من الطرف الآخر، فإنّ الرجل لا يحلّ له أن ينظر إلى ما عدا الوجه والكفين من المرأة المحجبة، وأما السافرة المتهتكة فيجوز النظر إلى شعرها وما جرت عاداتهنّ على عدم ستره بشرط أن لا يكون النظر عن شهوة وتلذذ، وكذلك المرأة يجوز لها أن تنظر إلى ما جرت العادة على عدم ستره كالوجه والراس والرقبة واليدين والقدمين.

وينبغي الالتفات إلى أنّ جواز النظر إلى ما يجوز لكل طرف كشفه مشروط بكون النظرة طبيعية خالية من التهيّج الجنسي والتلذذ، وأما لو كانت نظرة شهوانية فهي غير جائزة .

والغصّ لا يعني إغماض العين، وإنما يعني خفض النظر وإنقاصه، فإذا ما رأى الرجل شيئاً لا يحلّ له خفض بصره أو أشاح به عن ذلك الشيء، وليس معنى ذلك أن يغمض عينيه فيسير في الطرق وهو مغمض العينين، إنّ هذا ليس مقصوداً، بل المقصود تجنّب النظر إلى ما لا يحلّ بتغيير اتجاه النظر (٢).

(١) النور: آية ٣٠-٣١.

(٢) نقل المصطفوي كلمات اللغويين في معنى الغص، ونقل الاستعمالات القرآنية للفظه، وانتهى إلى أنها تعني: كف في خفض. أنظر: المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم:

ولأنَّ الغَضَّ وحده لا يحقق تمام المطلوب ولذا جاء الأمر بعده بـ (حفظ الفرج) أي: حفظه عن النظر، أي: بستره. فيجب على المرأة أن تتحجَّب وتستر جسدها عن الناظر الأجنبي، وليس المقصود بحفظ الفرج حفظه من الزنا وغيره، ففي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال في تفسير هذه الآية: «كل شيء في القرآن من حفظ الفرج فهو من الزنا إلا هذه الآية فإنها من النظر»^(١)، فإذا ستر الشخص ما يجب عليه أن يستره، ووجب غَضَّ البصر عما يبدو من ذلك سهواً وبغير قصد فلا شكَّ في أن المجتمع سيبلغ الغاية في الطهارة والنقاء وسلامة العلاقات.

ونجد في الروايات تأكيداً واضحاً على الإثارة الناشئة من (النظر)، مع وجود عوامل أخرى للإثارة، كاللمس والرائحة والاحتكاك بالعضو الجنسي والكلام؛ وذلك لأنَّ النظر يُعدُّ أهم تلك العوامل وأكثرها وأسرعها إثارة، كما أنَّ الصور التي يحتفظ بها الذهن تعتمد بشكل أساسي على النظر، وقد جاء في الحديث: «النظر سهم من سهام إبليس مسموم، وكم من نظرة أورثت حسرة طويلة»^(٢)، فالنظر ليس مجرد سهم من سهام إبليس، بل سهم مسموم، فهو يضيف إلى المصاب به ألمين؛ ألم نفاذ السهم في الجسم، وألم سراية السمِّ في البدن، كما أنَّ النظرة كثيراً ما تجلب لصاحبها المتاعب والمشاق، ولهذا كان

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٣٦

(٢) المصدر السابق: ج ٥، ص ٥٥٩.

تركها مما يجلب الخير والسعادة، ففي الحديث عن النبي ﷺ: «النظرة سهم من سهام ابليس فمن تركها خوفاً من الله أعطاه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه»^(١)، وهذا الحديث يلفت إلى نقطة مهمة، وهي: أن ترك النظرة ومخالفة النفس تترك أثراً طيباً في القلب، وما ذلك إلا للشعور بقوة الإرادة وقدرة التحكم بالنفس.

٢- الحجاب

ولكي يخلو المجتمع الإسلامي من مظاهر الفتنة والإغراء - وتخلو العلاقات والمعاملات من أي طابع عاطفي - أوجب الإسلام الستر على الرجل والمرأة مع بعض الفوارق، فعلى الرجل أن يستر العورة وهو الموضع الخاص، كما ينبغي له أن يستر ما جرت العادة بستره كالבطن والظهر والفخذين، وأما المرأة فيجب عليها ستر جميع البدن مع الشعر، باستثناء الوجه والكفين والزينة الظاهرة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَبْدِيَنَّ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾^(٢)، وقد ورد في تفسير الزينة الظاهرة بأنها: «الكحل والخاتم»^(٣)، ولا شك في أن كشف الكحل والخاتم يلازم كشف الوجه واليد، وأما ما سوى ذلك فلا بد من ستره عن غير المحرم.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٠١، ص ٣٨.

(٢) النور: آية ٣١.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٥، ص ٥٢١.

وينبغي الالتفات إلى أنَّ الحجاب على نحوين:

الحجاب الظاهري: وهو الذي تحدّثنا عنه.

والحجاب الباطني: أي العفة الذاتية، أو الرقيب الأخلاقي، حيث يحتاج الشخص إلى رقابة ذاتية تمنعه من هتك الحرمات، وارتكاب المحرّمات، فنفسه هي التي لا تسمح له بالنظر إلى غير زوجته.

(وإطراق طرف العين ليس بنافع إذا كان طرف القلب ليس بمطرق)^(١)

والنصوص الإسلامية تركّز على هذا النوع من العفة، فقد ورد: «ومن كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ»^(٢)، والمقصود: رقيب ذاتي يراقب قلبه ونواياه وأفكاره، والذي يبدو أنَّ المقصود من هذا الواعظ النفسي إنما هو العقل، فهو الذي يدفع الإنسان نحو الاستقامة والسلامة والطاعة، وفي حديث آخر لأمير المؤمنين عليه السلام: «ومن أصلح سريره، أصلح الله علانيته»^(٣)، يربط فيه بين السريّة والعلانية، وبين الباطن والظاهر، فإذا ما كان القلب والعقل سليمين كان السلوك سليماً أيضاً، فالرقيب القلبي هو الضمانة لصلاح السلوك الخارجي، ومن هنا تجد التأكيد المكرر على ضرورة تنمية هذا الرقيب الداخلي، من خلال الخوف من الله والخشية منه، ومراقبة

(١) أنظر: ابن حجة الحموي، علي بن محمد، خزنة الأدب وغاية الأرب: ص ٨٨.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ٤٥٤.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٨، ص ٣٠٧.

القلب والنفس، والحثّ على التفكير في عواقب الأمور، إلى غيرها من الأساليب التي تزرع في قلب الإنسان هذا الواعظ الأخلاقي، وإذا ما وُجد هذا الواعظ لم يحتج هذا الإنسان إلى مواعظ خارجية ورقابة خارجية تراقب سلوكه وتضبطه.

ومن هنا؛ فإنّ العفّة والحجاب ينبغي أن يكون ذاتياً ونفسياً، قبل أن يكون خارجياً يخضع لرقابة اجتماعية، والتي كثيراً ما تغيب وتغفل؛ مما يسمح للشخص بالمخالفة والتمردّ، فما الذي يمنع الشاب من النظر إلى امرأة سقط الحجاب عن رأسها، أو ظهرت بعض مفاتها وهي لا تدري؟ وما الذي يمنعه من النظر إلى صور النساء العارية، أو إلى الأفلام الإباحية وهي تملأ المواقع الإلكترونية؟ وما يمنع الفتاة من متابعة المسلسلات العاطفية الهابطة؟ إنّ الرقيب الذاتي هو الذي يستطيع أن يمنع هذا الشاب وتلك الفتاة عن مثل هذه المخالفات.

٣- اللمس

لا يقلّ اللمس خطورة عن النظر في التهييج الجنسي، فلمس أحد الجنسين لجسد الآخر يكون سبباً في كثير من الأحيان للإثارة الجنسية، بل لعله يكون أكثر إثارة وأشدّ تهيجاً، وهذا أمر وجداني لا يحتاج لإثباته أكثر من الالتفات إليه، ومن هنا حرّم الإسلام مصافحة الرجل للمرأة الأجنبية، ومباشرة اللمس أو ما شاكل ذلك؛ إذ ربما يرتبط اللمس بموضوع حرارة الجسم أو إثارة الخيال الجنسي أو نحو ذلك، وجاء في الروايات ما يدل على

حرمة المصافحة إلاّ من وراء ثياب على أن لا يغمز اليد، فقد روى سماعة بن مهران قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن مصافحة الرجل المرأة، قال: «لا يحل للرجل أن يصافح المرأة إلاّ امرأة يحرم عليه أن يتزوجها؛ أخت، أو بنت، أو عمّة، أو خالة، أو بنت أخت، أو نحوها، وأما المرأة التي يحل له أن يتزوجها فلا يصافحها إلاّ من وراء الثوب، ولا يغمز كفها»^(١)، فإنّ الملامسة المباشرة أو الضغط على الكف قد يكونان سبباً في التهيّج الجنسي الذي ينبغي الابتعاد عنه في العلاقة بين الجنسين؛ لضمان سلامة العلاقة وطهارتها.

٤ - الخلوة

المقصود من الخلوة: أن يكون الرجل والمرأة الأجنبيةان في مكان واحد ولو وحدهما، بحيث يأمنان من دخول ثالث عليهما، كما لو كانا في بيت وحدهما أو في غرفة مغلقة، أو في مكان العمل وحدهما أيضاً، فهذا هو معنى الخلوة. وفي روايات أهل البيت تحذير من هذه الخلوة أو ما يقرب منها، فجاء في حديث عن النبي ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَبْتَغِي مَوْضِعَ يَسْمَعُ نَفْسَ امْرَأَةٍ لَيْسَتْ لَهُ بِمَحْرَمٍ»^(٢)، وهذا يعني أن الإسلام لا يحذر من الخلوة فقط، بل عن كلّ مكان يسمع فيه نفس امرأة ليست من المحارم، بحيث لا يأمن من التفكير في الحرام، والغاية من هذا التحذير إنّما هي صيانة

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٥، ص ٥٢٥.

(٢) العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٢٠، ص ١٨٥.

المؤمن من الهواجس والميول الفطرية التي تتنابه في مثل هذه الأجواء، وقد روي أيضاً أن: «ثلاثة مَن حفظهن كان معصوماً من الشيطان الرجيم ومن كل بلية: مَن لم يخل بامرأة لا يملك منها شيئاً...»^(١)، ومن خلال الحادثة التالية يعرف القارئ الكريم خطورة الخلوة ومن يكون مع الرجل والمرأة إذا اختليا ببعضهما، إذ روي عن محمد الطيار قال: «دخلت المدينة وطلبت بيتاً أتكاراه^(٢) فدخلت داراً فيها بيتان بينهما باب وفيه امرأة، فقالت: تكاري هذا البيت؟ قلت: بينهما باب وأنا شاب. قالت: أنا أغلق الباب بيني وبينك. فحوّلت متاعي فيه وقلت لها: اغلقي الباب. فقالت: تدخل عليّ منه الروح، دعه. فقلت: لا أنا شاب وأنت شابة أغلقيه. قالت: أقعد أنت في بيتك، فلستُ آتيك ولا أقربك، وأبت تغلقه، فأتيت أبا عبد الله عليه السلام فسألته عن ذلك، فقال: تحول منه؛ فإن الرجل والمرأة إذا خليا في بيت كان ثالثهما الشيطان»^(٣)، كما أننا نستفيد من هذه الرواية أن التحريم لم يكن لأجل وجود هذه الميول الفطرية، ولكنّ المهم أن لا تنهياً الأجواء التي تُساعد على تنشيط هذه الميول والعواطف.

إنّ الإسلام يحرص أن تكون العلاقة بين الرجل والمرأة من غير المحارم مكشوفة وواضحة، وبعيدة عن أي طابع سرّي يُذكي المشاعر العاطفية ويُهيّج الغريزة الجنسية.

(١) البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة: ج ٢٠، ص ٣٠٩.

(٢) أي: أستأجره.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، مَن لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٢٥٢.

٥ - محادثة الأجنبية

إنَّ لصوت المرأة تأثيراً عاطفياً كبيراً في الرجل، كما أنَّ لصوته تأثيراً مماثلاً على عواطفها ومشاعرها، وقد تناولت الكثير من الدراسات والأبحاث السرَّ في هذا التأثير المتبادل، وذكرت بعضها أنه يرجع إلى نعومة صوت المرأة وهدوئه؛ مما يكون له وقع خاص على دماغ الرجل فيثيرُ مخيلته، لذا تجد أنَّ الرجل بمجرد أن يسمع صوت المرأة عبر الهاتف مثلاً يبدأ دماغه برسم صورة لها في مخيلته، بينما لا يكون الأمر كذلك إذا ما كان الصوت صوت رجل، وهكذا المرأة فيما لو سمعت صوت الرجل لا سيما الصوت الخشن، فإنَّ له وقعاً خاصاً، فإذا انضمَّ إلى صوت المرأة مثيرات أخرى كالضحكة، وترقيق الصوت، ومدَّ بعض الحروف، أو النظرات وبعض الحركات إذا كانت المحادثة مباشرة، كما أنَّ لنوع الكلمات ومضمون الحديث دوراً آخر في هذا المجال، فإنه مما يزيد من الإثارة والتهيُّج، ولهذا ينهى القرآن الكريم نساء النبي ﷺ عن محادثة الرجال الأجانب بنوع من التغنُّج والرقَّة؛ كي لا يتأثر الرجل بصوتها وحديثها فيقع المحذور، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾^(١)، أي: «لا ترققن القول، ولا تلتنَّ الكلام للرجال، ولا تخاطبن الأجانب مخاطبة تؤدي إلى طمعهم، فتكنَّ كما تفعل المرأة التي تظهر الرغبة في الرجال»^(٢)، فهذه الآية تعطي ضابطة أخلاقية لمحادثة المرأة للرجل، حيث ذكرت الضوابط التالية:

(١) الأحزاب: آية ٣٢.

(٢) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان: ج ٨، ص ١٥٥.

١- تجنّب ترقيق الصوت وتليين الكلام أثناء المحادثة مع الرجل الأجنبي.

٢- أن يكون الكلام مستقيماً بعيداً عن التهمة وعن كل ما يوجب طمع الرجل في المرأة.

من خلال الآية التالية أيضاً: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾^(١) نستفيد أنّ المناسب أن يكون الحديث مع المرأة من وراء حجاب، هذا فيما إذا لم تكن ضرورة تحتم الحديث بشكل مباشر، وهذه الآية وإن كانت موجهة إلى نساء النبي ﷺ، ولكن التعليل يقتضي تعميم الحكم إلى باقي النساء ولو بعنوان الأدب، فإنّ معنى التعليل: أن الحديث مع المرأة الأجنبية من وراء الحجاب - كأن يكلمها من وراء الباب أو خلف الستارة - أطهر للقلب، حيث لا يرى الرجل منها ما يكون سبباً في ميله إليها، وهي أيضاً كذلك. والمقصود من المتاع: حاجيات البيت مثل، المفروشات والأواني وبعض الأطعمة، وتكثر مثل هذه الأمور - عادة - بين الجيران، حيث يطلب الجار من جاره ما يحتاجه، وقد يطرق الباب فتخرج إليه امرأة جاره أو بنته، وقد يراها فتعجبه أو هي تُعجب به، وربما ينتهي الحديث بينهما إلى ما لا تُحمد عواقبه، ولهذا فالمناسب أن يكون الحديث من وراء الحجاب.

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «... وَمَنْ فَاهُ امْرَأَةٌ لَا يَمْلِكُهَا حَبْسٌ بِكُلِّ كَلِمَةٍ كَلِمَهَا فِي الدُّنْيَا أَلْفَ عَامٍ فِي النَّارِ»^(١)، فَإِنَّ المفاكهة - عادة - مما يرقُّ لها القلب وتتأثر بها النفس.

ومن المخاطر التي تواجه شبابنا في هذا الزمان هي إتاحة الفرصة أمامهم للمراسلة والمحادثة بشكل خاص عبر مواقع التواصل الاجتماعي، حيث وفّرت هذه المواقع الفرصة للمراسلات والصدقات والمحادثات بين الشباب والفتيات، بعيداً عن مراقبة الأهل وأولياء الأمور، وهذه واحدة من سلبيات التكنولوجيا الحديثة، فالمراسلات بين الشباب والفتيات لا تقلّ خطورة عن المحادثة المباشرة، بل ربما تكون أخطر؛ لأنّ المحادثة المباشرة قد لا تخلو من الاحتشام بسبب وجود طرف ثالث، أو كونها في مكان عام، بينما في المراسلات يشعر الطرفان بالراحة والاطمئنان؛ لأنها يأمنان عدم وجود الرقيب، بالإضافة إلى وجود وقت مفتوح للمراسلة طوال اليوم وفي أيّ فرصة، مع تبادل الصور والرموز المعبرة.

إنّ حكم هذه المحادثات نفس حكم المحادثة المباشرة أو عبر جهاز الاتصال، فإذا كانت سبباً في انجرار الطرفين إلى العلاقة المحرّمة فلا شكّ في حرمتها^(٢).

(١) الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال: ص ٢٨٣.

(٢) موقع ساحة المرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني، الاستفتاءات، التحدّث مع الأجنيبي، <https://www.sistani.org/arabic/qa/0410>.

٦- التفكير والخيال

ذكرنا في فصول سابقة أنّ المثير الجنسي لدى الإنسان إنما هو عقلي خيالي، فالصور الجنسية هي التي تُثير شهوته، فكل ما يراه الإنسان من مشاهد وصور مثيرة تبقى لها صور محفوظة في المخيلة تُثيره على الدوام كلما راجع شريط الذكريات. فإذا ما تذكّر مشهداً أو نسج خياله مشهداً مثيراً فإنه سرعان ما يُثار جنسياً، ومن هنا نجد الإنسان يتفاعل مع القصص الجنسية؛ لأنها تُثير تخيلته، وتحفّز ذهنه على توليد الصور المهيّجة. ويجدر الالتفات إلى أنّ التخيل أمر قهري يحصل لدى الشخص بدون اختياره، فإذا ما خطرت في ذهنه صورة أو سمع كلمة فيها دلالة أو إيحاء فإنّ ذهنه سوف يشكّل صوراً مثيرة، ولهذا فليس من الممكن - عادة - أن يمنع الشخص نفسه من التخيل، ولكن من الممكن أن يمنع نفسه من مواصلة التفكير والتخيل، فإذا ما حصلت الخاطرة يتمكن الشخص من تغيير بوصلة التفكير إلى شيء آخر؛ ليتجنّب مواصلة التفكير الضار، ويمكن أن نطرح فيما يلي الخطوات التالية:

الأولى: على الشخص أن يفكر بطريقة تردعه عن هذا التفكير وتحرمه من التلذذ والاستمتاع بهذا الخيال - بمجرد أن تخطر هذه الخواطر والخيالات في الذهن - كأن يقول لنفسه: إن من المحتمل أن يفكر الغير بنفس الطريقة التي أفكر فيها تجاه أُمي أو أختي أو زوجتي مثلاً، فإنّ مثل هذه الخواطر

ستساهم كثيراً في منعه من مواصلة هذه التخيّلات، لأنّ شعوره بالاشمئزاز والنفرة يمنعه من خيال كهذا، وهذه الطريقة قد استعان بها النبي ﷺ مع شاب جاءه يستأذنه في الزنا، فقد روى المحدثون أن غلاماً شاباً أتى رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله، ائذن لي في الزنا. فصاح الناس، فقال: مه. فقال رسول الله ﷺ: أقرؤه. فدنا حتى جلس بين يدي رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: أتجبه لأمك؟ قال: لا. قال وكذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم. أتجبه لابنتك؟ قال: لا. قال وكذلك الناس لا يحبونه لبناتهم. أتجبه لأختك؟ قال: لا. قال: وكذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم؟ أتجبه لعمتك؟ قال: لا. قال: وكذلك الناس لا يحبونه لعلماتهم. أتجبه لخالتك؟ قال: لا. قال: وكذلك الناس لا يحبونه لخالاتهم. فوضع رسول الله ﷺ يده على صدره وقال: اللهم كفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه»^(١) فهذه الطريقة استطاع النبي ﷺ أن يحدّ من اندفاع هذا الشاب تجاه الرغبة والشهوة بتغيير بوصلة التفكير، فعندما يخطر في ذهن هذا الشاب أنه بمجرد أن يفكر في الزنا بنساء الناس فإنّ هناك من الناس من يفكر بالزنا بنسائه، وهذا بحدّ ذاته شيء تتنفّر منه النفس، فأيّ شخص يرضى أن يفكر الغير بأمه أو أخته أو بنته؟!

الثانية: ملء وقت الفراغ بكل ما هو نافع ومفيد، مثل الانشغال بالدراسة والمطالعة، أو الانشغال بالعمل، أو الأحاديث والحوارات البناءة،

(١) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج ٨، ص ١٨٣.

أو ممارسة الرياضة، أو مشاهدة بعض البرامج النافعة، أو غيرها مما يشغل الوقت، بحيث لا يبقى للشخص فرصة للخيال، أو تبقى فرصة ولكنها لا تكفي للاسترسال بالخيال وترتب النتائج الضارة. فقد ورد: «نفسك إن لم تشغلها شغلتك، فإن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية»^(١).

الثالثة: تجبّ العزلة قدر الامكان، والحرص على الاختلاط بالآخرين، من الأهل والأصدقاء أو زملاء العمل أو غيرهم، فالمهم أن يتجنب الشخص العزلة والجلوس منفرداً؛ فإنها من أهم الأسباب التي تدفع بالشخص أن يسرح في الخيال ويفكر فيما يثيره جنسياً.

وينبغي الالتفات إلى أنّ تحيّل ما يثير الشهوة يرجع إلى تعويد النفس، فإذا اعتاد الشخص على التفكير بما يثير شهوته فإنّ هذه العادة ستتحكم بخياله، فكلما حان الوقت أو سنحت الفرصة تجدّ الذهن يسرح بالشخص إلى تلك العادة؛ لأنه قد عوّده على هذا النوع من الخيال والتفكير، بينما إذا عوّده على التفكير في أمور أخرى فإنه سوف يفكر فيها، فالعادة لها تأثير على عمل الذهن والخيال، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «تولوا من أنفسكم تأديبها، واعدلوا بها عن ضراوة عاداتها»^(٢)، فالعادة لها سلطان و سطوة، فإذا ما أراد الشخص تأديب نفسه فعليه أولاً أن يغيّر العادة، وفي حديث آخر له عليه السلام: «غيروا

(١) المالكي، ورام بن أبي فراس، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ص ٤٥٣.

(٢) خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، نهج البلاغة: ص ٥٣٨.

العادات تسهل عليكم الطاعات»^(١)، فمثال ذلك: التعمّد على النّوم في أوقات معيّنة، كالذي ينام ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس، فإنه لا يستطيع أن يقوم بأي عمل في هذه الفترة؛ لما يجده في نفسه من الحاجة إلى النوم أو الميل إليه، فإذا ما أراد أن يمارس بعض الأعمال في هذا الوقت - كالقراءة أو العبادة - فعليه أولاً أن يتخلّص من عادة النوم في هذا الوقت، أو الذي يعتاد على شرب الدخان (السيجارة) فإنه يلاقي صعوبة في أيام الصوم أو عندما يفقدها، فإذا ما أراد التخلص من هذه الصعوبة أثناء الصوم فعليه أن يغيّر هذه العادة بالعزيمة على تركها فترة الصوم. إذن تعويد الذهن على التفكير والخيال فيما يُثير الشهوة يحتاج للتغلّب عليه التغلّب على العادة.

٧- البيئة المثيرة

مما يجب على المؤمن تجنّبه البيئة التي تُثير الشهوة وتهيج الغريزة الجنسية، كالاختلاط بين الجنسين إذا لم تراعى فيها الضوابط الشرعيّة - مثل الحجاب والعفّة وحفظ النفس ومراعاة الحرمات - فإنّ الاختلاط غير المنضبط عامل مهم من عوامل الانحراف والفساد، سواء كان هذا الاختلاط في مكان العمل، أو السوق، أو الشارع، أو أماكن العبادة أو غيرها، ولهذا نجد أنّ أمير المؤمنين عليه السلام عندما بلغه نبأ اختلاط النساء بالرجال وتدافعهنّ معهم في العراق في الطريق والأسواق قال: «يا أهل العراق، نبئت أن نساءكم يدافعن

(١) الليثي الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص ٣٤٧.

الرجال في الطريق أما تستحيون؟!»^(١)، وفي رواية ثانية: «أما تستحيون ولا تغارون نساؤكم يخرجن إلى الأسواق ويزاحمن العلوج؟!»^(٢). والعلوج: هم الرجال من الجاليات غير العربيّة، كالفرس، والترك وغيرهم^(٣).

ومن مصاديق البيئة المثيرة أصدقاء السوء؛ فإنهم ممن يُعين على الانحراف والفساد، فالمرء على دين خليله، ومن مصاديق البيئة المثيرة مجالس اللهو والغناء والطرب؛ فإنها معدّة لذلك، وهكذا النظر إلى بعض المشاهد التي تُثير الشهوة، كالنظر إلى حيوانات تتسافد، فإنه منظر يهيج الشهوة، فقد جاء في رواية: «أن علياً عليه السلام مرّ على بهيمة وفحل يسفدها على ظهر الطريق، فأعرض عنه بوجهه، فقليل له: لم فعلت ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال: إنه لا ينبغي أن تصنعوا ما يصنعون، وهو من المنكر إلا أن تواروه حيث لا يراه رجل ولا امرأة»^(٤)، فأعرضه عن النظر إلى هذا المشهد - وأمره بأن يواروا مثل هذا المنظر بحيث لا يراه رجل ولا امرأة - مما يؤكّد ضرورة تجنب كل مثير جنسي ولو كان صورة حيوان أو نحو ذلك.

إنّ تجنّب البيئة المثيرة من أهم العوامل التي تحفظ الإنسان من الانحراف والدخول في علاقات غير شرعيّة، ويُعلمنا القرآن درساً في كيفية مواجهة البيئة

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٥، ص ٥٣٧.

(٢) العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٢٠، ص ٢٣٥.

(٣) «العلج: الرجل من كفار العجم». الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: ج ١، ص ٣٣٠.

(٤) الصدوق، محمد بن علي، مَنْ لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٤٣٧.

المثيرة، وذلك من خلال ما جاء في قصّة نبي الله يوسف عليه السلام، عندما هيأت له تلك المرأة كل الأجواء المثيرة والمهيّجة للشهوة، فقد جهّزت له المكان المناسب وغلّقت عليه الأبواب؛ ليشعر بالأمان والاطمئنان، وأقبلت عليه بكامل زينتها وشهوته وميلها، ولكنه تعامل مع هذه الأجواء بشجاعة وصلابة، قال تعالى: ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ^١ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ^٢ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ^٣ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُتَّخِصِّينَ * وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ^٤﴾^(١)، فكان الحلّ الوحيد أمام كل هذه الإغراءات هو التخلص من هذه البيئة المثيرة، فهرب من المكان على الرغم من الحواجز والأبواب المغلقة التي تمنعه من الفرار، ولكن إصراره على التخلص، وعزيمته على الخروج ساعده على ذلك.

ولمّا تعرّض لضغوط أكبر وأجواء مثيرة أشدّ اختار السجن على البقاء في ضمن هذه البيئة، فخطب الباري تعالى: ﴿... رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ^٥ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ^(٢)﴾.

إنّ التخلص من البيئة المثيرة ليس بالأمر الهين، فهو يتطلّب إرادة قويّة وعزيمة لا تلين، والأهمّ من ذلك طلب العون من الله والتسديد في تجاوز مثل هذه المحطات الصعبة والظروف الحرجة.

(١) يوسف: آية ٢٣-٢٥.

(٢) يوسف: آية ٣٣.

ويجدر الالتفات إلى أنّ صبر المؤمن تجاه المغريات وامتناعه عن ارتكاب الحرام له جزاء عظيم، فهذا يوسف عليه السلام بعد أن ابتلاه الله بهذا البلاء العظيم وخرج منه مرفوع الرأس، قد نجح نجاحاً باهراً كانت نتيجته أن بعثه الله نبياً ومكّنه في الأرض، فأعطاه السلطة الدينية والسلطة الدنيوية، فالؤمن لا يبلغ المراتب العالية إلاّ بعد أن ينجح في سلسلة من الابتلاءات والمحن التي تصنع منه إنساناً مؤهلاً لتحمل الأدوار التي يريد الله منه.

٨ - مثيرات أخرى

هناك مثيرات أخرى - غير ما تقدّم أيضاً - لا تقل عما تقدّم إثارة وتهيجاً، مثل الاحتكاك بالعضو الجنسي، كما في صعود المرأة على الدراجة، أو ارتداء ملابس ضيّقة، أو النوم على البطن، أو الجلوس في مكان قامت عنه امرأة قبل أن يبرد. فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا جلست المرأة مجلساً فقامت عنه فلا يجلس في مجلسها رجل حتى يبرد»^(١)؛ لأنّ حرارة مكانها ربما يبعث على تحريك شهوة الرجل، أو ربما يكون ذلك سبباً للتخيّل المثير جنسياً. وفي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تحملوا الفروج على السروج فتهيجوهن للفجور»^(٢)، فإنّ ركوب المرأة على السرج يهيج شهوة المرأة بفعل احتكاك عضوها الجنسي بالسرج، وهكذا الأمر لو ركبت دراجة؛ لأنّ النتيجة واحدة.

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٥، ص ٥٦٤.

(٢) المصدر السابق: ص ٥١٦.

الخطوة الثانية: الزواج

قلنا فيما سبق: إنّ الزواج هو القناة الوحيدة التي اختارها الله تعالى لتكون مجالاً لتوظيف الشهوة في مكانها المناسب، وطريقاً مشروعاً للتناسل وبقاء الحياة الإنسانية في هذا العالم، ومن المعلوم أن للزواج غايتين: الأولى: ممارسة العلاقة العاطفية الفطرية بين الرجل والمرأة. والثانية: التناسل والتكاثر.

ولا يسمح الإسلام بممارسة هذه العلاقة خارج الإطار الذي أوجده الله تعالى للإنسان، فالعلاقة العاطفية مقصورة على الزواج فقط، نعم يسمح الإسلام بعلاقات اجتماعية بين الجنسين ولكن على أساس إنساني فقط، بعيداً عن أي جنبة عاطفية، وحتى لو حصل ميل عاطفي في بعض العلاقات فلا بدّ من كبحه، أو على الأقل عدم إظهاره والتفاعل معه.

فالزواج هو المتنفس لهذه الشهوة، وبدونه لا يمكن للإنسان أن يمارس حياته بشكل طبيعي، فإنّ الغريزة الجنسية من أقوى الغرائز في الإنسان، وإذا حاول الشخص أن يكبح هذه الشهوة ويكبتها فإنّ ذلك سينعكس على نفسيته وصحته، فتظهر عليه الأمراض النفسية مثل: الكآبة، والتوتر العصبي والمزاجي، والأرق، والإرهاق وغيرها من الأمراض النفسية، وبتعبير أوضح: إنّ الذي يحاول كبت الرغبة الجنسية ومنعها من ممارسة الشهوة لا يكون إنساناً سوياً طبيعياً، كما أنّ الذي يفتح المجال لرغبته وشهوته دون قيد أو ضوابط فإنه يقع في نفس المشكلة؛ لأنّ ممارسة هذه الشهوة خارج إطار

الزواج يجلب الكثير من المشاكل النفسية والصحية، وقد تحدثنا عن ذلك سابقاً مراراً وتكراراً؛ ولهذا فالسلامة تكمن في الاعتدال والذي لا يكون إلا في الزواج، ومن هنا ندرك حكمة حث الإسلام على الزواج، وأن من تزوج فقد أحرز نصف دينه، كما في الحديث النبوي القائل: «من تزوج فقد أحرز نصف دينه، فليتيق الله في النصف الباقي»^(١)، فلم يقل ﷺ: من مارس الجنس فقد أحرز نصف دينه، وإنما من تزوج، أي: الممارسة في إطار الزواج فقط؛ لأن الزواج ليس مجرد علاقة عابرة، وإنما هو علاقة عاطفية وانسجام نفسي وروحي، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢)، فالزواج سكن ومودة ورحمة وليس فقط رغبة جنسية، والقرآن الكريم يستعمل استعارة لطيفة وبلغية لتوضيح طبيعة العلاقة الزوجية، حيث يستعير مفردة (اللباس) كما في الآية المباركة: ﴿هُنَّ لِيَاسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسُ لَهُنَّ﴾^(٣)، فالزوجة لباس للزوج وهو لباس لها، ومن الواضح أن اللباس يستر عورة الإنسان ويغطي جسده^(٤)، فكذلك الزوجة والزوج؛ فإن كلاهما يحفظ الآخر من العيوب والمفاسد والانحرافات.

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص ٥١٨.

(٢) الروم: آية ٢١.

(٣) البقرة: آية ١٨٧.

(٤) أنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ٢، ص ٤٤.

وقد لا تتاح لبعض الأشخاص فرصة الزواج وتكوين الأسرة في الوقت الذي تضغط عليه الشهوة والرغبة، أو تُتاح له ولكن يحتاج إلى متنفس آخر ليسد حاجته؛ لذا شرع الله تعالى الزواج المؤقت؛ ليعالج حالات النقص التي تحدث في حياة بعض الأشخاص، فهناك مَنْ لا يجد فرصة للزواج الدائم، أو يحتاج إلى زوجة ثانية، ولكن ظروفه لا تسمح له بذلك، أو كانت المرأة مطلقة أو أرملة وقد لا تسمح لها الظروف بالزواج الدائم، أو لا يرغب فيها أحد، مع حاجتها الفطرية إلى العلاقة الزوجية، فإنَّ لهؤلاء فرصة سانحة للممارسة هذه الرغبة ودفع ضغط الشهوة من خلال الزواج المؤقت^(١)، وتُشير روايات أهل البيت إلى أنَّ الزواج المؤقت من الرحمة التي رحم الله تعالى بها هذه الأمة، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: - في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾^(٢) - «والمتعة من ذلك»^(٣)، فزواج المتعة رحمة فتحها الله للناس، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «لولا ما سبقني به بُني الخطاب ما زنى إلا شقي»^(٤).

فقد كان لتحريم الخليفة الثاني لزواج المتعة تأثيرٌ سلبيٌّ في مدى تقبُّل الناس لهذه الرحمة، حيث حُرمت أكثر الأمة الإسلامية التي تأثرت بنهيهِ من

(١) يجدر الالتفات إلى أنَّ للزواج المؤقت ضوابط وشروطاً مدوّنة في الكتب الفقهيّة، يجب مراعاتها، فمن دون ذلك قد يُساء لهذه الممارسة المشروعة.

(٢) فاطر: آية ٢.

(٣) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٢١، ص ٩.

(٤) المصدر السابق: ص ٥.

هذه الرحمة التي كانت ستوفّر لهم فرصاً مشروعة لتصريف الشهوة والرغبة الجنسية، وبالتالي ستقلّ فرص الزنا والانحرافات الجنسية.

ولأنّ هذا الزواج يساهم بشكل كبير في حلّ مشكلة العلاقات غير المشروعة حتّى أهل البيت - وبشكل متكرر المجتمع الإسلامي - وثقفوه على هذا الزواج، فقد بلغت الروايات في هذا المجال العشرات وفي مختلف الحقب الزمنية التي عاشها أهل البيت، وقد واجهوا معارضة شديدة وتهديدات من قبل الاتجاه المناوئ الذي كان يدافع عن نهج الخليفة الثاني بشكل مستميت، فمن ذلك ما رُوي من أنّ عبد الله بن عمير الليثي جاء إلى الإمام الباقر عليه السلام يسأله عن رأيه في المتعة، فقال: «أحلها الله في كتابه وعلى سنة نبيه، فهي حلال إلى يوم القيامة، فقال: يا أبا جعفر، مثلك يقول هذا وقد حرّمها عمر ونهى عنها؟! فقال: وإن كان فعل. فقال: فإني أعيذك بالله من ذلك أن تحل شيئاً حرّمه عمر. فقال له: فأنت على قول صاحبك، وأنا على قول رسول الله صلى الله عليه وآله، فهلّم لأعئك أن الحق ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله، وأن الباطل ما قال صاحبك...»^(١).

الخطوة الثالثة: العفة

العفة هي الكفّ عمّا لا ينبغي^(٢)، ولا شكّ في أنّ مما لا ينبغي للإنسان أن يتورّط فيه هو إقامة علاقات محرّمة والدخول في انحرافات غير أخلاقية،

(١) المصدر السابق: ص ٦.

(٢) أنظر: ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ٤، ص ٣.

وينبغي الالتفات إلى أنّ العفة فعل نفسي وليس مجرد سلوك خارجي؛ لأنها عبارة عن كفّ النفس، أي: منعها من التفاعل نفسياً مع الحرام، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتَعَفِّفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾^(١)، فالآية تأمر غير المتزوج بالعفة والصبر والتحمل، ويتحدّث أمير المؤمنين عليه السلام عن فوائد العفة وآثارها الإيجابية على النفس؛ حيث يقول: «العفاف: يَصُونُ النفس وَيُزَكِّيها عَنِ الدُّنْيَا»^(٢)، فالعفة هي التي تحفظ النفس عن المفساد وتصونها عن الفعل الدنيء غير اللائق؛ لأنها توفرّ للشخص حصانة ذاتية تمنع صاحبها من الانحراف حتى مع توفرّ المغريات، وهذا هو معنى العفة، ولذا ورد في الحديث: «لَمْ يَتَحَلَّ بِالْعِفَّةِ مَنْ اشْتَهَى مَا لَا يَجِدُ»^(٣)، فالذي يشتهي الحرام ولكنه لا يفعله؛ لأنه لا يجده، لا يسمى عفيفاً؛ لأنّ امتناعه عن الحرام لم يكن ذاتياً وإنما لسبب خارجي وهو عدم وجود فرصة لارتكابه.

وأهمية العفة تكمن في هذه النقطة، وهي: توفير الحصانة الذاتية، فالإنسان العفيف لا يختلف عنده الحال بين أن يكون وحده أو في بيئة منحرفة؛ لأنّ شهوته تحت سيطرته، وفي الحديث: «العفة تضعف الشهوة»^(٤)، ومعنى ذلك: أنّ العفة تحدّ من سلطة الشهوة وتكبح جماحها.

(١) النور: آية ٣٣.

(٢) الآمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٧.

(٣) المصدر السابق: ص ٣١٧.

(٤) المصدر السابق: ص ٤٧.

والعفة تشمل عفة اللسان عن الألفاظ الصريحة، وفي هذا المجال يحرص القرآن على الاستعانة بالكنايات بدل التصريح المباشر، وفي ذلك إشارة واضحة إلى ضرورة تجنب كل ما يثير الشهوة ويهيئها، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نَسْمُكُمُ النِّسَاءَ﴾^(١)، وهو كناية عن مجامعة المرأة، وفي قصة يوسف عليه السلام: ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾^(٢)، وهو كناية عن رغبتها في فعل الفاحشة، وفي آية أخرى يُكْنَى عن الممارسة الجنسية بـ الرفث، فيقول تعالى: ﴿لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾^(٣)، إلى غيرها من الأمثلة والشواهد التي تدل على حرص القرآن على العفة في التعبير؛ لما يُجَرِّكه التصريح في النفوس من شهوة وريبة.

وكان عبد الله بن عبد المطلب والد النبي صلوات الله عليه وآله عفيفاً معروفاً بعفته، فقد روى المؤرخون أنّ امرأة ذات جمال دعتّه إلى نفسها لما كانت ترى على وجهه من النور، فأبى وقال:

أما الحرام فالمات دونه والحل لا حل فأستبينه
فكيف بالأمر الذي تبغينه يحمي الكريم عرضه ودينه^(٤)

(١) النساء: آية ٤٣.

(٢) يوسف: آية ٢٣.

(٣) البقرة: آية ١٨٧.

(٤) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج ٢٠، ص ٢٣٥.

ومن قصص العقّة يُروى أنّ رجلاً نزل على بعض إخوانه مستتراً من الحجاج، فخرج صاحب الدار لبعض حاجاته وقال لزوجته: «يا ظمياء، أوصيك بضيفي هذا خيراً - وكانت من أحسن الناس - فلما عاد بعد شهر قال لها: كيف كان ضيفك؟ قالت: ما أشغله بالعمى عن كل شيء. وكان الضيف أطبق جفنيه فلم ينظر إلى المرأة ولا إلى منزلها إلى أن عاد زوجها»^(١).

وصدق أمير المؤمنين عليه السلام حينما قال: «ما المجاهد الشهيد في سبيل الله بأعظم أجراً ممن قدر فعف، لكاد العفيف أن يكون ملكاً من الملائكة»^(٢).

الخطوة الرابعة: الصوم

نقرأ في الروايات أنّ الصوم وسيلة من وسائل التقليل من ضغط الشهوة وغلبتها على الإرادة، فعن النبي صلى الله عليه وآله: «يا معشر الشباب، عليكم فإن لم تستطيعوه فعليكم بالصيام فإنه وجاؤه»^(٤)،^(٥) فالنبي صلى الله عليه وآله في هذا الحديث

(١) المصدر السابق: ج ٢٠، ص ٢٣٣.

(٢) نهج البلاغة، خطب الإمام علي بن أبي طالب: ص ٥٥٩.

(٣) «الباء - بالمد لعة - الجاع، ثم قيل لعقد النكاح». الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج ١، ص ٦٨.

(٤) الوجاء بالكسر ممدود: «رض عروق البيضتين حتى تنفضح فيكون شبيهاً بالخضاء، وقيل: هو رض الخصيتين، شبه الصوم به لأنه يكسر الشهوة كالوجاء». المصدر السابق: ج ١، ص ٤٢٩.

(٥) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ١٨٠.

يتحدّث عن دور الصوم في إضعاف الشهوة وكسرها، وبالتالي تقوية الإرادة، وتهذيب الشهوة وجعلها شهوة إنسانية وليست حيوانية.

وتؤكد الدراسات والتقارير العلمية أنّ الصوم يقلل من الرغبة الجنسية فترة الصيام^(١)؛ وذلك لأنّ الجسم فترة الصيام يفرز مادة تُسمى: (الليبتين)، وهذه المادة كلما زادت في الجسم قلّ هرمون الذكورة، مما يترتب عليه تقليل الحيوانات المنوية التي تنتجها الخصيتان، فتقلّ بسبب ذلك الرغبة الجنسية^(٢).

الخطوة الخامسة: الوعي التام بمخاطر العلاقات المنحرفة

من العوامل المهمة في منع الانحرافات الجنسية - أو التقليل منها - وعي الشخص بمخاطر العلاقات المنحرفة والعواقب الوخيمة التي تترتب عليها، فإنّ الشخص وإن ألحّت عليه الشهوة في ساعة ضعف، إلّا أنّه عندما يكون واعياً وملفتاً إلى النتائج السلبية التي تترتب عليه في حال الاستسلام لتلك الشهوة، فإنه سرعان ما يتمالك نفسه وتقوى إرادته، وفي الحديث: «وكم من شهوة ساعة أعقبت نداماً طويلاً»^(٣)، ونقرأ في قصّة يوسف عليه السلام قوله تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾^(٤)، وهو يحكي

(١) الطب والصحة، ما هي فوائد الصيام للجنس؟ <https://mo5talfoon.com>

(٢) أنظر: فوائد الصيام الصحية للجنس

<https://www.grbha.com/health-benefits-of-fasting-for-sex>

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٤٥١.

(٤) يوسف: آية ٢٣.

جواب يوسف عليه السلام للمرأة التي راودته، وأن الاستجابة لطلبها يكون بمثابة خيانة لزوجها الذي أكرمه وأحسن إليه، كما أن ممارسة هذا الفعل يدخله في زمرة الظالمين، وهم لا يفلحون أبداً، وفي موقف آخر يحكي القرآن رأيه بإغراءات النساء له: ﴿قَالَ رَبِّ الْمَسْجُونُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(١)، فما الذي يجعل يوسف عليه السلام يفضل دخول السجن وتحمل معاناته على الاستجابة للرجبة الجنسية غير وعيه بعواقب هذا الانحراف على الرغم من انسجامه مع ميول النفس وشهوتها؟ فيوسف عليه السلام يرى أن الاستجابة لشهوات النفس المنحرفة ضرب من الجهل، أي: عدم الوعي والمعرفة بخطورة هذا الفعل.

ومن الضروري أن يعي المجتمع - لا سيما شريحة الشباب والمراهقين - مخاطر الانسياق وراء الشهوات دون قيود وضوابط، ولا شك في أن ذكر القصص والحوادث التي تسلط الضوء على تلك المخاطر ينفع في ذلك كثيراً؛ لأن الوقوف على النتائج التي حصلت للأشخاص الذين انزلقوا في هذه المنزلقات تكون رادعاً لمن يمر بمواقف مشابهة، والقصص في هذا المجال كثيرة، وليس عليك إلاّ مراجعة المحاكم ونزلاء السجون؛ ليتضح لك حجم المأساة التي سببتها هذه النزوات والانحرافات.

ولعل من المفيد أيضاً عقد مقارنة بين المجتمعات الغربية المتحررة من القيود وبين المجتمعات المحافظة ودراسة الفوارق والنتائج والثمرات؛

ليتضح للشباب المتأثر بالغرب واقع الانفتاح والحرية المزعومة وتأثيرها المدمر على سلوك الإنسان وثقافته وأخلاقه، فيتم ذكر إحصائيات الجرائم الجنسية في المجتمع الغربي، وحجم الولادات غير الشرعية، وحجم الإسقاطات غير الشرعية، وحجم المشاكل الصحية الناجمة عن هذه الممارسات، وكثرة المشاكل النفسية والاجتماعية المتولدة عن هذه العلاقات، إلى غيرها من الآثار والنتائج التي يلزم إيضاحها إلى جيل الشباب المتأثر بالإعلام الغربي.

ويُشير أمير المؤمنين إلى هذا العامل - كأسلوب من الأساليب المهمة في مكافحة الانحرافات ومواجهة الشهوات الضارة - حيث ورد عنه: «إياك والشهوات، وليكن مما تستعين به على كفها علمك بأنها ملهية لعقلك، مهجنة لرأيك، شائنة لغرضك، شاغلة لك عن معاظم أمورك، مشددة بها التبعة عليك في آخرتك»^(١)، فهو عليه السلام يُشير إلى عاقبة اتباع الشهوات وإطلاق العنان لها، وأن الالتفات إلى ذلك مما ينفع في كفها، ويُلَفَت عليه السلام إلى عدّة عواقب وسلبات، وهي: ١- مُلهية لعقلك: أي تشغل عقل الإنسان وتبعده عن وظيفته الأصلية، وهي: بلوغ الكمال والتسامي الروحي.

٢- مهجنة لرأيك: فلا شكّ في أنّ التفكير الزائد في الشهوات والغرائز له تأثير على تفكير الإنسان، مما يجعل آراءه متأثرة بعواطفه وميوله النفسية،

(١) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج ٢٠، ص ٢٦٥.

فالشهوات تجعل ضبابية في الرؤية وتشويشاً في عملية التفكير، فلا يهتدي الشخص إلى الرأي السديد.

٣- سائلة لغرضك: إذ تتأثر الغاية بميول الشخص، فالذي لا همّ له إلاّ فرجه فإنّ غايته في الحياة ستكون ذلك، وهدفه مقصوراً على إشباع فرجه لا غير.

٤- شاغلة لك عن معظم أمورك: الشهوات والغرائز مثل ماء البحر كلما شرب منه الشخص ازداد عطشاً، فالذي لا يفكر إلاّ في إشباع غرائزه ينشغل عن معظم أموره، فأغلب الوقت يفكر في لذائذه وشهواته، وبالتالي ينشغل عن التفكير في الكثير من الأمور المهمة، كطلب العلم وخدمة المجتمع وتربية الأبناء والدفاع عن الحرمات والمقدسات وغيرها من الغايات النبيلة التي يجب على كلّ إنسان مراعاتها والاهتمام بها.

٥- مشتتة بها التبعة عليك في آخرتك: وفي النهاية لا بدّ أن يدفع هذا الإنسان ثمن نزواته وانحرافاته عند لقاء الله تعالى، فهناك سيحاسب على كل شهوة حرام مارسها في الدنيا، وفي الحديث: «حلاوة الدنيا مرارة الآخرة، ومرارة الدنيا حلاوة الآخرة»^(١).

وفي كلام آخر يقول الإمام عليه السلام: «اذكر مع كل لذة زوالها، ومع كل نعمة انتقالها، ومع كل بلية كشفها»^(٢)، وهو ينبّه على أنّ اللذة التي يحرص الإنسان على بلوغها - ويسخر كل وقته وطاقته من أجلها - ما هي إلاّ ساعة وتزول،

(١) النيسابوري، محمد بن الفتال، روضة الواعظين: ٤٤١.

(٢) الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص ٧٦.

أو بعد مضي فترة تضعف قوة الإنسان عن بلوغها وتحصيلها، فهي لذة زائلة وشهوة فانية.

الخطوة السادسة: تجنب الأطفال مشاهدة المناظر المثيرة

تؤكد البحوث المعاصرة على أنّ الكثير من حالات الشذوذ والانحراف قد ازدادت في فئة الصبية والمراهقين بسبب مشاهدتهم للمواقع الإباحية، وبسبب تعرّفهم على ثقافة جنسية لا تتناسب مع مراحلهم العمرية، مما يؤثّر على نضوجهم النفسي والجنسي، وهذه الظاهرة تكاد تكون ظاهرة شائعة في أيامنا هذه.

ومن أجل هذا نجد أنّ الإسلام يحرص أشدّ الحرص على تجنب الأطفال مشاهدة أي منظر مثير، حرصاً على سلامة نفسية الطفل من أي إثارة مبكرة ربما تُسارع في انحرافه وشذوذه، فذهن الطفل يمتاز بالقدرة على حفظ الصور والمشاهد التي يراها، بحيث تبقى عالقة في ذهنه إلى آخر العمر.

فقد جاء في بعض الدراسات أنّ الباحثين الغربيين يرون أنّ ذكريات الطفولة والخبرة العاطفية بما فيها خبرة الإثارة الجنسية تنطبع في الدماغ بواسطة هرمون الأدرينالين، ويكون من الصعب إزالتها بعد ذلك؛ فإذا كان الشاب قد تعودّ على إشباع رغبته الجنسية بممارسة العادة السرية، أو مشاهدة الصور والأفلام الإباحية تصبح هذه الممارسة لاحقاً هي أداة إشباعه الجنسي حتى لو تزوج، وهذا ما يفسر لنا بعض أسباب الإدمان الجنسي^(١).

(١) أنظر: شبكة الألوكة، مخاطر مشاهدة الأطفال للمواد الإباحية: شهادة الغرب على نفسه.

وبحسب التقرير الصادر عن المؤسسة الكندية للتربية والأسرة عام ٢٠٠٤م فإنّ العديد من الدراسات أثبتت أنّ هناك ارتباطاً قوياً بين تعرّض الأطفال للمواد الإباحية والسلوك الجنسي المنحرف، وأنّ هناك حاجة ماسة إلى قوانين وتشريعات لحماية الأطفال من التعرّض للمواد الإباحية، سواء عبر المصادر التقليدية كالتلفاز والمجلات، أو عبر التحدّي الحديث الذي يواجهونه والمفروض عليهم من الإنترنت^(١).

وبهذا نستطيع أن نفهم حكمة النصوص التي تحثّ على تجنب الأطفال المشاهد المثيرة جنسياً كما في الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: والذي نفسي بيده، لو أنّ رجلاً غشي امرأته وفي البيت صبي مستيقظ يراها ويسمع كلامهما ونفّسهما ما أفلح أبداً، إذا كان غلاماً كان زانياً أو جارية كانت زانية»^(٢). وليس المقصود وجود الصبي في البيت كيف كان، يعني: حتى لو كان نائماً، أو في حجرة أخرى، وإنما المقصود أن يكون مستيقظاً يراها ويسمع كلامهما ونفّسهما.

وفي ضمن هذا السياق يوجّه القرآن الكريم أولياء الأمور إلى أدب تربيوي أخلاقي مهم، حيث يأمرهم بتعليم أبنائهم الاستئذان إذا ما أرادوا الدخول على الأبوين في غرفتهما الخاصة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

(١) أنظر: المصدر السابق.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٥، ص ٥٠٠.

لِاسْتِغْنَائِكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَفُوتٌ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١﴾، فالآيتان تقسمان الأطفال إلى قسمين؛ أطفال لم يبلغوا الحُلُمَ، وأطفال بلغوا الحُلُمَ، أما القسم الأول فيجب عليهم - إذا ما أرادوا الدخول على الأبوين في غرفتهم الخاصة - الاستئذان في ثلاثة أوقات، وهي:

١- قبل صلاة الفجر.

٢- وقت الظهيرة حين يخلع الوالدان ثيابهما.

٣- بعد صلاة العشاء.

وواضح جداً أن هذه الأوقات الثلاثة هي الأوقات التي يكون فيها الوالدان في حالة من الاسترخاء والراحة، وربما يكونان في وضع لا ينبغي أن يطلع عليه الأولاد، فقد يرون منهما ما لا ينبغي أن يروه.

وأما القسم الثاني، فيجب عليهم الاستئذان في كل الأوقات، فيما لو أرادوا الدخول عليهما إلى الحجرة الخاصة.

ومن تلك الآداب الفصل في فراش النوم بين الصبية إذا بلغوا عشر سنين كما في بعض الروايات، أو إذا بلغوا ست سنين كما في روايات أخرى، فقد رُوي عن الإمام الصادق عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الصبي والصبي، والصبي والصبية، والصبية والصبية يفرق بينهم في المضاجع لعشر سنين»^(١)، وفي حديث آخر: «يُفرق بين الصبيان في المضاجع لست سنين»^(٢)، والمقصود من التفرقة في المضاجع: أن لا يناموا في فراش واحد وغطاء واحد، كما أن التفرقة لا تختص بالذكور والإناث، بل تشمل نفس الجنس، فلا ينام الذكور بعضهم مع بعض، ولا تنام الإناث بعضهنّ مع البعض الآخر، ومن الواضح أن الحكمة في هذا التشريع تكمن في تجنب الصبية الإثارة الجنسية المبكرة والتي قد تؤدي إلى حالات الشذوذ والانحراف.

الحلول العلاجية

كما أن هناك خطوات وقائية الهدف منها منع الإنسان من بلوغ العلاقات غير المشروعة، هناك خطوات أخرى الهدف منها معالجة العلاقة غير المشروعة فيما إذا وقع شيء منها، فما هي تلك الإجراءات؟ وكيف عالج الإسلام هذه المشكلة؟ هذا ما سنحاول تسليط الأضواء عليه في ما يلي:

(١) الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٤٣٦.

(٢) المصدر السابق.

١. الترغيب في التوبة

من العلاجات المهمة الترغيب في التوبة من المعصية والرجوع إلى الله بالطاعة وطلب المغفرة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا الذُّنُوبَ بِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَلِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^(٢)، إلى غير ذلك من الآيات التي تحث على التوبة والإنابة. وجاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾^(٣)، ما يدل على مدح التواب: وهو كثير التوبة، مما يعني أن التوبة من الأعمال المرغوب فيها شرعاً. بل في بعض الروايات أن توبة العبد بينه وبين الله أفضل له من الإقرار أمام الحاكم الشرعي طلباً للطهارة والتكفير عن الذنب، فعن الأصبغ بن نباتة، قال: «أتى رجل أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، إني زنيت فطهرني. فأعرض أمير المؤمنين عليه السلام بوجهه عنه، ثم قال له: اجلس، فأقبل علي عليه السلام على القوم فقال: أيعجز أحدكم إذا قارف هذه السيئة أن يستر على نفسه كما ستر الله عليه؟! فقام الرجل فقال: يا أمير المؤمنين، إني زنيت فطهرني. فقال: وما دعاك إلى ما قلت؟ قال: طلب الطهارة. قال: وأي الطهارة أفضل من التوبة؟! ثم أقبل على أصحابه يحدثهم، فقام الرجل فقال: يا أمير المؤمنين، إني زنيت فطهرني.

(١) آل عمران: آية ١٣٥.

(٢) الأعراف: آية ٢٠١.

(٣) البقرة: آية ٢٢٢.

فقال له: أنقرأ شيئاً من القرآن؟ قال: نعم. فقال: اقرأ. فقرأ فأصاب، فقال له: أتعرف ما يلزمك من حقوق الله عز وجل في صلاتك و زكاتك؟ فقال: نعم. فسأله فأصاب، فقال له: هل بك من مرض يعرفك، أو تجد وجعاً في رأسك أو شيئاً في بدنك أو غماً في صدرك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لا. فقال: ويحك اذهب حتى نسأل عنك في السر كما سألناك في العلانية، فإن لم تعد إلينا لم نطلبك. قال: فسأل عنه فأخبر أنه سالم الحال وأنه ليس هناك شيء يدخل عليه به الظن. قال: ثم عاد الرجل إليه فقال له: يا أمير المؤمنين، إني زنيت فطهرني. فقال له: لو أنك لم تأتنا لم نطلبك ولسنا بتاركيك إذا لزمك حكم الله عز وجل...»^(١).

وفتح باب التوبة يعطي أملاً لكل أولئك الذين ارتكبوا أخطاءً ومعاصي ثم أرادوا الرجوع والاستقامة، بأنهم قادرون على العودة في كل حين. إنَّ التوبة وطلب المغفرة تتضمن الاعتراف بالخطأ، ومن ثمَّ محاولة معالجة الموقف، وهذه - أي الاعتراف بالخطأ - خطوة مهمة وجديرة بالتقدير؛ لأنَّها تعني أنَّ الشخص الذي يُريد التوبة يفكر ويتأمل في سلوكه ويدرس تصرفاته وما يصدر منه، ويرغب بتصحيح الخطأ.

٢. قطع العلاقات غير السليمة

لكي نهيب الأرضية المناسبة للقضاء على العلاقات المنحرفة يلزمنا أن نقطع تلك العلاقات الضارة، فإنَّ بقاءها يعني بقاء فرصة الرجوع إلى

(١) أنظر: الصدوق، محمد بن علي، مَنْ لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٣١.

الانحراف، فإنّ النفس تبقى تسوّّل لصاحبها وتغريه وتخدعه حتى يرجع إلى علاقاته السيئة، أما إذا تمّ قطعها بحيث لا يتمكن من الرجوع إليها إذا ما أراد ذلك، فإنه يتمكن من تجاوز هذه المرحلة. ونقرأ في قصّة يوسف الصديق عليه السلام كيف أنه عليه السلام بادر إلى ترك المكان الذي هيئته تلك المرأة لاقتراف الخطيئة، قال تعالى: ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ﴾^(١)، ففرّ عليه السلام من المكان على الرغم من تعلّق المرأة به ومحاولتها لإرجاعه، ولمّا توسّعت دائرة الإغراء وحاول نسوة المدينة إغراء عليه السلام دعا الله تعالى أن يخلصه من كيدهنّ ولو بإيداعه السجن، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(٢)، فهذا الموضوعان وإن لم يكونا من حالات قطع العلاقة المحرّمة، ولكنها بشكل عام يفيدان ضرورة تجنّب البيئة المثيرة؛ فإنّ ذلك من العوامل المهمة في معالجة الانحرافات وارتكاب المفاسد.

٣. الإيحاء الذاتي وتقوية الإرادة

إنّ بعض المتورّطين بالعلاقات غير الشرعية يعاني من ضعف الإرادة، فكلما حاول الإقلاع غلبته نفسه وضعف عن مقاومة رغبته، وتكرر هذه الحالة في كلّ مرّة، فيُصاب باليأس والإحباط. ولا شك في أن الشعور باليأس

(١) يوسف: آية ٢٥.

(٢) يوسف: آية ٣٣.

والإحباط أخطر من العلاقات غير الشرعية نفسها؛ لأنه يقضي على إرادة الإنسان ويحطمها، فيتحوّل الإنسان حينئذٍ إلى حيوان تحرّكه الغريزة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْإِنسِ وَالْإِنسِ هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾^(١)، فإذا غلبت على الإنسان شهوته وغريزته تعطلّت مداركه، فيفقد الصواب ويضعف العقل.

ومن هنا يحتاج هذا الشخص إلى بعض الأمور المساعدة على تقوية الإرادة والتي من أهمها: الإيحاء الذاتي، أو تلقين النفس بأنه قادر على ترك العلاقات غير الشرعية، فيقول لنفسه دائماً: أنا قادر على معالجة هذا الأمر. ويُردّد مع نفسه: أنا أتمكن من ترك هذه العلاقات. فإنّ هذا الإيحاء يشبه الحافز الذي يوظف الجسد والمشاعر تجاهه، وكثيرٌ ممّا قد جرّب هذا الإيحاء، ألم تقرر في نفسك يوماً أنك سوف تستيقظ في الساعة السادسة صباحاً مثلاً، وبالفعل تستيقظ في هذا الوقت؟ أو تقرر في نفسك أنك لن تتناول وجبة العشاء عدة أيام، وبالفعل تمتنع عن تناوله على الرغم من شعورك بالجوع، كل ذلك بسبب الإيحاء الذاتي، حيث يتحفّز الجسد بأكمله وفقاً لذلك الإيحاء، وفي روايات أهل البيت ما يشهد بمثل هذا الإيحاء، فعن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «ما نوى عبد أن يقوم أية ساعة نوى فعلم الله تبارك وتعالى

ذلك منه إلا وكل به ملكين يحركانه تلك الساعة»^(١)، فالنبي هنا هي ما نعينه من الإيحاء الذاتي، حيث يتم تلقي النفس بأني سوف أستيقظ في الساعة الفلانية، على أن تكون النية صادقة، وهذا ما يُشير إليه قوله: «فعلم الله تبارك وتعالى ذلك منه». أي: كان جاداً مريداً.

ويمكن أن يدخل في هذا المجال الحديث القائل: «تفاءلوا ولا تطيروا»^(٢)، فإنّ التفاؤل حالة نفسية لها تأثير معنوي على الشخص المتفائل، فهو نوع من الإيحاء الذاتي بالإيجابية.

وعلى هذا الأساس، فالخطوة المهمة في هذا المجال أن يتفاءل الشخص ويصمم في نفسه على التغيير وتصحيح الخطأ ويوحي لنفسه بأنه قادر على ذلك.

وقوة الإرادة تحتاج إلى التركيز على نقطة واحدة فقط، والابتعاد عن التفكير في نقاط أخرى؛ فإنّ التفكير في عدة نقاط في آنٍ واحد يشتت التركيز وبالتالي يضعف قوة الإرادة، كما تحتاج قوة الإرادة إلى التحكم بقوة التفكير، بأن لا يسمح الشخص بأن يتسلل إلى فكره ما يُضعف الإرادة، كالتردد واليأس والخوف والشك وغيرها^(٣).

(١) الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٤٧٩.

(٢) ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة: ج ١٩، ص ٣٧٤.

(٣) من النافع في هذا المجال مطالعة الكتب التي تبعث على قوة الإرادة مثل كتاب: (قوة الإرادة) لمؤلفه: (اوريسون سويت ماردن)، فإنه نافع ومفيد.

كما أنّ للتأمل في قصص التائبين يعطي قوّة كبيرة تدفع الشخص نحو التوبة ومعالجة الخطأ، فإذا ما تأمل في قصة بشر الحافي وكيفية تحوّل من شخص منحرف إلى رجل صالح فإنه يعطيه رغبة أكبر في تصحيح المسار، ويجد في نفسه عزيمة وإرادة أقوى.

٤. تذكر الموت ونهاية الحياة وانقطاع اللذائذ

إنّ لتذكّر الموت والتفكير بما بعده من الحساب فوائد كثيرة، والتي منها الزهد بالشهوات واللذائذ؛ فإنّ الإنسان المدرك لحقيقة الحياة - وأنها ستنتضي عاجلاً أم آجلاً - لا يجد في نفسه ذلك الحرص الشديد على الاستمتاع باللذائذ والتفكير فيها كثيراً، فعن النبي ﷺ: «اذكروا هادم اللذات. فقيل: وما هو يا رسول الله؟ فقال: الموت، فما ذكره عبد على الحقيقة في سعة إلا ضاقت عليه الدنيا، ولا في شدة إلا اتسعت عليه، والموت أول منزل من منازل الآخرة، وآخر منزل من منازل الدنيا، فطوبى لمن أكرم عند النزول بأولها، وطوبى لمن أحسن مشايعته في آخرها، والموت أقرب الأشياء من بني آدم وهو يعده أبعد، فما أجرأ الإنسان على نفسه! وما أضعفه من خلق! وفي الموت نجاة المخلصين وهلاك المجرمين، ولذلك اشتاق من اشتاق إلى الموت وكره من كره»^(١)، وعن الصادق عليه السلام: «ذكر الموت يميم الشهوات في النفس، ويقلق منابت الغفلة، ويقوي القلب بمواعيد الله، ويرق الطبع، ويكسر أعلام الهوى، ويطفىء نار الحرص، ويحقر الدنيا»^(٢).

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٦، ص ١٣٣.

(٢) المصدر السابق.

فمن الجدير بالشخص الذي لديه علاقات غير شرعية - ويرغب في بقائها واستمرارها - أن يتذكر الموت وفناء عمره، وأنه سيترك هذه العلاقات لا محالة، وأنه سوف يُسأل عنها يوم القيامة، ففي الحديث عن النبي الأكرم ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن حبه أهل البيت»^(١).

٥- الدعاء بطلب العون من الله

لا شك في أن الإنسان مهما جدّ واجتهد في تحقيق الغاية فإنه بحاجة إلى عون الله تعالى ومساعدته له، فهو مسبب الأسباب ومدبر الأمور، وهذا ما خاطب به النبي موسى ﷺ ربه قائلاً: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(٣)، فالفقر والضعف والذلة كلها عوامل تفرض على الإنسان أن يلتجئ إلى الله في طلب العون والمساعدة؛ لإنقاذه من الضلال الذي هو فيه، ومساعدته في تجاوز المرحلة التي هو فيها، وقد فتح الله تعالى للإنسان باب الدعاء ورغبه إليه ووعدته بالاستجابة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ

(١) الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ص ٢٥٣.

(٢) القصص: آية ٢٤.

(٣) فاطر: آية ١٥.

دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١﴾، وقال: ﴿...أَدْعُوْنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (٢).

٦. التفكير بعواقب الانحرافات الجنسية وتذكّر بعض القصص المؤلمة

ربما لا يلتفت الشخص إلى خطورة العلاقات غير المشروعة إلاّ بعد التورّط ومرور فترة من الزمن يكون حينها غارقاً في هذه العلاقات، ولكن من الجدير بالذكر أنّ التفكير بعواقب هذه العلاقات وتذكر بعض القصص المؤلمة يساعد على تركها، ولا يحتاج هذا الشخص إلى أكثر من البحث عبر شبكة الإنترنت عن حالات الجرائم البشعة التي حدثت بسبب هذه العلاقات، أو يراجع مراكز السجون؛ ليكتشف حجم المأساة التي خلفتها هذه العلاقات. إنّ أرقام الجرائم الجنسية مهولة جداً، كما أنّ الكثير منها قد مُورس بشكل مرعب، وكلها بلا شكّ ترجع إلى فلتان الشهوة وعدم ضبطها؛ ولهذا تجد هناك معادلة وهي: أنّ المجتمعات التي تُعطي حرية جنسية كبيرة تزداد فيها الجرائم والمشاكل، والعكس بالعكس. ولهذا فالمجتمع الغربي يعاني من زيادة في معدلات المشاكل الجنسية والتي من أبرزها التفكك الاجتماعي، والحمل غير الشرعي، والأمراض الخطيرة مثل: (نقص المناعة المكتسب)، وفي مقابل ذلك مجتمعاتنا الشرقية الإسلامية؛ فإنها تمتاز بقلّة الجرائم الجنسية

(١) البقرة: آية ١٨٦.

(٢) غافر: آية ٦٠.

بالقياس إلى المجتمع الغربي، وما ذلك إلا لوجود أعراف وقيود ومعتقدات دينية وأخلاقية لا تسمح بالحرية الجنسية إلا بضوابط وحدود.

٧. ملء الفراغ

إذا أراد الشخص التخلص من التفكير بالعلاقات غير الشرعية فيجب عليه أن يشغل وقته بما هو نافع، كقراءة الكتب، أو مجالسة الأصدقاء، أو المشي والحركة، أو ممارسة الزراعة، أو أي عمل يملأ فراغه ويشغل فكره بعيداً عن التفكير والانشغال بالعلاقة المحرّمة، لا سيما في الأوقات التي كانت مخصصة للتواصل غير المشروع، فإنّ النفس في هذا الوقت تحرّك الغريزة وتثير فيه الشهوة لو كان فارغ البال، فإذا ما شغل هذا الوقت وتجاهل هذه الضغوط النفسية فإنها تضعف تدريجاً وفي غضون أيام قلائل. وفي الحديث: «نفسك إن لم تشغلها شغلتك»^(١)، أي: إنك إن لم تملأ وقتك بما ينفعك شغلتك نفسك بما تريد هي من الشهوات والغرائز.

٨. ممارسة الرياضة

واحدة من أهم العلاجات المهمة في هذا المجال هي تغيير نقطة التركيز، فالذي لديه علاقات محرّمة يكون تركيزه منصباً على هذه العلاقة ومثيراتها، مثل تخيّل بعض المشاهد العاطفية، أو تذكر بعض المواقف المهيّجة للشهوة، ولا شك في أنّ التركيز على هذه الصور والخيالات يجعله منشداً إلى مواصلة

(١) المالكي، ورام بن أبي فراس، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ص ٤٥٣.

هذه العلاقات، ولكن عندما يتمكن من تغيير نقطة التركيز فإنه يستطيع أن يتحرر بشكل تدريجي من هيمنة هذا التفكير، وخير وسيلة لتغيير هذا التركيز هي ممارسة الرياضة؛ لأنّ الرياضة تجعل الشخص يركّز على نقاط أخرى، كالعضلات والحركات وغيرها مما يجعله مشغولاً عن النقطة التي كانت تمثل جُلّ اهتمامه وتركيزه.

٩. الاختلاط مع الآخرين وتجنّب العزلة

إنّ التفكير في العلاقات المحرّمة ومواصلتها يحتاج إلى أجواء مناسبة والتي منها العزلة والابتعاد عن الناس، ولهذا فمن الخطأ أن يترك الشاب الذي لديه علاقات سيئة فرصة للخلوة مع نفسه، بل يجب أن يقضي معظم الوقت - لا سيما الفترات التي كان يمارس فيها العلاقات المحرمة - مع الأصدقاء أو الأهل، أو في مكان العمل، أو في مكان عام كالسوق، أو الشارع، أو حديقة عمومية، أو غير ذلك من الأماكن التي لا تسمح له بمواصلة مثل علاقات كهذه.

١٠. التواصل مع العلماء والاستفادة من إرشاداتهم

لا شكّ في أنّ مجالسة العلماء وأصحاب الاختصاص - بالإضافة إلى أنها نوع من المخالطة التي يحتاجها الشخص المعني، هي أيضاً ذات منافع كثيرة، فالخبرة التي لدى العلماء سواء التي اكتسبوها من خلال التجارب أو من خلال المطالعة والقراءة يحتاجها إليها كل شخص، سواء الشخص المعني أو

غيره؛ فإنَّ التجارب والخبرات علم برأسه، ومدرسة متكاملة يتعلم فيها الإنسان كل ما يحتاجه من علوم وفنون وخبرات، فمجالسة العلماء والحوار معهم يُكسب الشخص حلولاً لمشاكله أو رؤى تنفعه في معالجة الأزمة التي يعاني منها، ولهذا قد حثَّ الإسلام على مجالسة العلماء والاستفادة منهم، فعن النبي الأكرم ﷺ: «قالت الحواريون لعيسى: يا روح الله، مَنْ نجالس؟ قال: مَنْ يذكركم الله رؤيته، ويزيد في علمكم منطقته، ويرغبكم في الآخرة عمله»^(١)، فمن الواضح أنَّ هذه الصفات لا تجتمع إلَّا في العالم الورع التقي، وعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «المجلس أجلسه إلى مَنْ أثق به، أوثق في نفسي من عمل سنة»^(٢)، فالإمام يلفت نظرنا إلى أنَّ مجالسة العالم والاستفادة منه أفضل من العبادة عن جهل وعدم معرفة.

١١. معاقبة الفاعل

إنَّ الإسلام قد اعتمد عدَّة أساليب ووسائل لمعالجة الانحرافات والعلاقات غير السليمة، كما تحدثنا عن بعض تلك الأساليب، ولكن عندما تأخذ العلاقة المنحرفة طابعاً اجتماعياً بحيث تنكشف بين الناس يعتمد الإسلام حينذاك أسلوب العقوبة العلنية؛ لأنَّ الجريمة قد خرجت إلى العلن فلا بدَّ أن تكون العقوبة علنية أيضاً، أما كيف صارت العلاقة علنية؛ فذلك لأنَّ إثباتها

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ٣٩.

(٢) نفس السابق.

يتوقف على وجود الشهود كما هو مذكور في كتب الفقه، فالزنا يثبت بعد شهادة أربعة رجال، مما يعني بلوغ الجريمة حداً لا يبالي فاعلوها بالفضيحة والانكشاف، وهذا معنى أنها قد أخذت طابعاً اجتماعياً، فإذا بلغ الفاعل هذا المستوى من الاستهانة واللامبالاة - وعدم مراعات الحرمات - استحق العقوبة العلنية التي تردعه وتردع غيره ممن تسوّل نفسه له الجهر بمثل هذه الانحرافات، والغاية هي صيانة المجتمع وحفظه عن مثل هذه المظاهر الخطيرة. والعقوبة تختلف شدة وضعفاً بحسب نوع العلاقة المنحرفة ومستواها، فالزنا مثلاً، إذا كان بين المحارم فحكمه القتل، وإما إذا كان بين غيرهما فهناك تفاصيل كثيرة مذكورة في كتب الفقه^(١)، وهكذا حكم اللواط فإنه يختلف بحسب الحالات^(٢).

ويجدر الالتفات إلى أنّ هذا النحو من العلاج متبع في كل التشريعات الدينية منها والوضعية، ففي كلّ القوانين توجد عقوبات للجرائم، وهي تختلف بحسب تقديرات الجهة المشرّعة، وتقدّم في فصل سابق الإشارة إلى بعض العقوبات الموجودة في الشرائع السابقة، بل وحتى في بعض القوانين الحديثة^(٣).

(١) أنظر - على سبيل المثال -: الجواهري، محمد، القضاء والشهادات، (تقرير بحث السيد

الخوئي)، ج ٢، ص ١٤٨ وما بعدها.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ٢٤٧ وما بعدها.

(٣) أنظر: المبحث الثاني من الفصل الأول من هذا الكتاب.

الخاتمة:

وصلنا إلى نهاية الكتاب ولن ينتهي الحديث عن موضوع (العلاقات غير المشروعة)، فهو موضوع حيوي ومهم جداً، ولا شك في أن هناك الكثير من الكتاب والباحثين سوف يتناولون هذا الموضوع ويبحثون في الكثير من جوانبه، ولكننا في هذا الكتاب استطعنا أن نوضح للقارئ جوانب مهمة متعلّقة بالموضوع، وسلطنا الأضواء على بعض الأفكار الجديدة بالاهتمام والتركيز، ولكي يستحضرها القارئ نلخص له أهم الأفكار والنتائج التي توصلنا إليها:

١- كان من الضروري أن نتعرّض لطبيعة العلاقة بين المرأة والرجل، وما هو الأساس الذي ينبغي أن تقوم عليه، وقد قسمنا هذه العلاقة إلى قسمين رئيسيين: وهما العلاقة مع المحارم، والعلاقة مع غير المحارم، كما تعرّضنا لطبيعة العلاقة مع الجنس المماثل.

٢- في تاريخ العلاقات غير المشروعة اتضح وجود اتجاهين، الأول مادي، حيث يرى أصحابه أن المرأة كانت مشاعة بين الرجال، ثم بعد ذلك وبسبب ظروف مختلفة ظهرت الحاجة للعلاقة الزوجية ووضع قوانين؛ لتنظيم العلاقات الجنسية، وواجه هذا الاتجاه انتقادات واسعة، وتبيّن لنا أنه مجرد دعوى تفتقر إلى الدليل والبرهان. فيما كان الاتجاه الثاني - وهو الرأي

الديني وبعض الماديين - يرى أنّ الأصل في العلاقات الجنسية هو الزواج والمشروعية، وأنّ العلاقات غير المشروعة علاقات طارئة ظهرت بعد فترة من الزمن بسبب ظروف تعرّضنا إليها مفصلاً.

١. إن العلاقات غير المشروعة مرّت بظروف ومراحل مختلفة ساهمت عدة عوامل في تطورها وانتشارها، تعرّضنا لأهمّ تلك العوامل وأبرزها.

٢. كلّ الأنظمة الدينية والوضعية سواء القديمة منها أو القريبة جداً من عصورنا الحالية تحرّم العلاقات غير المشروعة وتعاقب عليها الفاعل بعقوبات مختلفة، ذكرنا ذلك مفصلاً، وذكرنا أنّ الإباحية والتحرر الجنسي تُعد من الأفكار المعاصرة والمتأخرة جداً، وكانت لها تداعيات كثيرة، وقفنا على الكثير منها.

٣. لتحديد الانحراف الجنسي ذكرنا أنه لا توجد عند الماديين ضابطة واضحة يمكن الرجوع إليها، وما ذكر لا يصمد أمام النقد، وقد حاولنا أن نجد ضابطة وفق الرؤية الإسلامية.

٤. تعرّضنا إلى أسباب الانحرافات الجنسية وأبرز عوامله، كما ذكرنا أنواعه وأشكاله.

٥. في الفصل الأخير ذكرنا أنّ هناك مجموعة حلول ومقترحات لمعالجة مشكلة العلاقات غير المشروعة، ذكرنا بعضها في مبحث الحلول الوقائية، والبعض الآخر في مبحث الحلول العلاجية.

المصادر والمراجع

✽ القرآن الكريم

✽ نهج البلاغة، خطب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، تحقيق: ما اختاره وجمعه الشريف الرضي / ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية: الدكتور صبحي صالح، ط ١، سنة الطبع: ١٣٨٧ - ١٩٦٧ م.

١- ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م، ط ١.

٢- ابن الأنباري، محمد بن القاسم، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: الدكتور يحيى مراد، الناشر: منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية، ط ١، سنة الطبع: ١٤٢٤ - ٢٠٠٤ م.

٣- ابن حجة الحموي، علي بن محمد، خزانة الأدب وغاية الأرب، الناشر: دار القاموس الحديث للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.

٤- ابن سيده، علي بن إسماعيل، المخصص، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.

٥- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ١٤٠٤ هـ.

٢٥٠.....العلاقات غير المشروعة

٦- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، الناشر: أدب الحوزة،
١٤٠٥هـ.

٧- الأسلحة الصامته للحروب الهادئة، نسخة إلكترونية.

٨- الأحسائي، ابن أبي جمهور، عوالي اللئالي، تحقيق وتقديم: السيد شهاب
الدين النجفي المرعشي / تحقيق: الحاج آقا مجتبی العراقي، مطبعة: سيد
الشهداء - قم، ط١، سنة: ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٩- الأصفي، محمد مهدي، نظرية العلاقة الجنسية في القرآن الكريم،
منشورات: مكتبة التربية في النجف الأشرف، مطبعة النعمان، سنة
١٩٦٨م - ١٣٨٨هـ.

١٠- الأمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم ودرر الكلم، ترتيب
وتدقيق: عبد الحسن دهيني، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع،
بيروت - لبنان، سنة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، ط١.

١١- انجلز، فردريك، أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة، ترجمة: أحمد عزّ
العرب، دار الطباعة الحديثة.

١٢- أورزولا شوي، أصل الفروق بين الجنسين، ترجمة: بو علي ياسين،
الناشر: دار الحوار، سوريا - اللاذقية، ط٢، ١٩٩٥ م.

١٣- اوريسون سويت ماردن، قوّة الإرادة، تعريب: يوسف شديد أبو اللمع،
ط٤.

- ١٤- البار، محمد علي، الأمراض الجنسية أسبابها وعلاجها، دار المنارة للنشر والتوزيع - جدة، سنة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ط ٢.
- ١٥- البار، محمد علي، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، الدار السعودية للنشر والتوزيع - جدة، سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، ط ٨.
- ١٦- البدري، عادل عبد الرحمن، نزهة النظر في غريب النهج والأثر، الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية - قم، ط ١، ١٤٢١هـ.
- ١٧- البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن، تحقيق: جلال الدين الحسيني المحدث، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، ١٣٧٠هـ.
- ١٨- البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة، المطبعة: المطبعة العلمية - قم، سنة ١٣٩٩هـ.
- ١٩- بول فريشاور، الجنس في العالم القديم، ترجمة: فائق دحدوح، مطابع جواهر الشام/ دار نينوى، سنة ١٩٩٩م، ط ١.
- ٢٠- الجواهري، محمد، القضاء والشهادات، (تقرير بحث السيد الخوئي)، الناشر: منشورات مكتبة الإمام الخوئي - قم - گذرخان، سنة الطبع: شعبان المعظم ١٤٢٨هـ، ط ١.
- ٢١- جون باينس، أسس التعامل والأخلاق للقرن الحادي والعشرين، ترجمة: أحمد رُمو، منشورات: دار علاء الدين، سوريا - دمشق، سنة ٢٠٠٦م، ط ٢.

٢٥٢.....العلاقات غير المشروعة

٢٢- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ط ٤.
٢٣- الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت، لإحياء التراث، قم - إيران، ١٤١٤هـ، ط ٢.

٢٤- حسنة عزوز، الانحرافات الجنسية لدى الشباب أسبابها وأنواعه، جامعة الجليلي بونعامه خميس مليانة، سنة ٢٠١٨ / ٢٠١٩م.
٢٥- الحفني، عبد المنعم، الموسوعة النفسية الجنسية، مكتبة مدبولي / القاهرة، ٢٠٢م ط ٤.

٢٦- حكمت سفيان، مسببات الشذوذ الجنسي، نسخة إلكترونية.
٢٧- الخالقي، روح الله، الثقافة الجنسية، نشر: دار النبلاء/ بيروت - لبنان، سنة ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، ط ١.

٢٨- الخوئي، أبو القاسم، منهاج الصالحين، نشر: مدينة العلم - آية الله العظمى السيد الخوئي، الطبعة: الثامنة والعشرون، سنة الطبع: ذي الحجة ١٤١٠هـ المطبعة: مهر - قم.

٢٩- ديورانت، ول وايريل، قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود، الناشر: دار الجليل، بيروت - لبنان، سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣٠- الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، الناشر: دفتر نشر الكتاب، سنة: ١٤٠٤هـ، ط ٢.

٣١- رامي خالد عبد الله الخضر، الانتصار على العادة السرية، وسائل عملية للوقاية والعلاج منها، ط٣.

٣٢- رهنف شولي وأسماء بحلق، أثر المسلسلات التركية المبدلجة على سلوك المراهقات من الناحية الاجتماعية والعاطفية والدراسية، (رسالة جامعية)، جامعة النجاح الوطنية - نابلس، سنة ٢٠١٧م / ٢٠١٨م.

٣٣- الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، تحقيق ونشر وطباعة دار الحديث بقم، ط١.

٣٤- الزبيدي الحسيني، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٣٥- سيجموند فرويد، الكبت، ترجمة: علي السيد حضارة، الناشر: سيد حسن أحمد.

٣٦- شريعة حمورابي، ترجمة: محمود الأمين، الناشر: شركة دار الوراق - لندن، ٢٠٠٧م.

٣٧- الصدر، محمد باقر، فلسفتنا، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، ط٣، ١٤٢٥ هـ. ق/ ٢٠٠٤ م، مطبعة الأمير.

٣٨- الصدوق، محمد بن علي، الخصال، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران، ١٤٠٣ هـ.

٢٥٤.....العلاقات غير المشروعة

٣٩- الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، تقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، الناشر: منشورات الشريف الرضي - قم، المطبعة: أمير - قم، سنة الطبع: ١٣٦٨ ش، ط ٢.

٤٠- الصدوق، محمد بن علي، علل الشرائع، تقديم: السيد محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف الأشرف - العراق، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م.

٤١- الصدوق، محمد بن علي، مَنْ لا يحضره الفقيه، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم - إيران، ط ٢.

٤٢- الصرايرة، نائلة سليمان، الانحرافات الجنسية لدى نزلاء ونزيلات مراكز الإصلاح والتأهيل الأردنية (أطروحة دكتوراه)، جامعة مؤتة، سنة ٢٠٠٩ م.

٤٣- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٤٤- الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، حقيق وتخرّيج: حمدي عبد المجيد السلفي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط ٢.

٤٥- الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، ط ١.

٤٦- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق وتقديم: الشيخ خليل الميس/ ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان، سنة الطبع: ١٤١٥ - ١٩٩٥ م.

٤٧- الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، منشورات المكتبة المرتضوية، طهران - إيران، ١٣٩٥ هـ، ط ٢.

٤٨- الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع، دار الثقافة، ١٤١٤ هـ، ط ١.

٤٩- الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام، تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران، سنة الطبع: ١٣٦٤ ش، ط ٣.

٥٠- عبد الله حسين، تاريخ ما قبل التاريخ، الناشر: مؤسسة هنداوي، مصر - القاهرة، ٢٠١٤ م، ط ١.

٥١- عبد الله علي حسين، المقارنات التشريعية بين القوانين الوضعية المدنية والتشريع الإسلامي، دراسة وتحقيق: مركز الدراسات الفقهيّة والاقتصاديّة، الناشر: دار السلام، القاهرة - مصر، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، ط ١.

٥٢- العلامة الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر، منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، تحقيق: عبد الرحيم مبارك، الناشر: انتشارات تاسوعاء - مشهد، المطبعة: الهادي - قم، سنة ١٣٧٩ ش، ط ١.

٢٥٦.....العلاقات غير المشروعة

٥٣- غاري ويلسون، دماغك تحت تأثير الإباحية، ترجمة وتقديم: مي بدر،

طبع ونشر: كومون ويلث - المملكة المتحدة، سنة ٢٠١٤م.

٥٤- فرج، د. هشام عبد الحميد، توابع العلاقات الجنسية الغير شرعية،

مطبعة الولاء الحديثة، ٢٠٠٦م، ط ١.

٥٥- قطوس، رزان بسام، درجة تأثير الدراما الاجتماعية التركية المدبلجة على

المرأة الأردنية في محافظة إربد نموذجاً، (رسالة جامعية).

٥٦- كارل ماركس، نقد فلسفة الحق عند هيجل.

٥٧- كاوه محمود، الزنا في الشرائع القديمة وفي الفقه الإسلامي، الناشر:

مطبعة رنج، ٢٠٠٤م.

٥٨- كبرّاء، د. عبد الفتّاح، الزواج المدني، دراسة مقارنة، الناشر: دار الندوة

الجديد، بيروت - لبنان، سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ط ١.

٥٩- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تصحيح وتعليق: علي أكبر

الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، ١٣٦٣هـ ش، ط ٥.

٦٠- الكنيسة، الكتاب المقدّس، (العهد الجديد)، الناشر: دار الكتاب

المقدّس، سنة ١٩٨٠م.

٦١- الكنيسة، الكتاب المقدّس، (العهد القديم)، الناشر: دار الكتاب

المقدّس، سنة ١٩٨٠م.

٦٢- كولن ولسن، أصول الدافع الجنسي، ترجمة: يوسف شرور وسمير

كتّاب، منشورات: دار الآداب - بيروت. سنة ١٩٨٦م، ط ٣.

٦٣- كولن ولسن، الجنس والشباب الذكي، ترجمة: أحمد عمر شاهين، الناشر: مركز الحضارة العربية.

٦٤- الليثي الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق: الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، دار الحديث، ط ١.

٦٥- ليز مانيش، الحياة الجنسية في مصر القديمة، ترجمة: رفعت السيد علي، ط ١.

٦٦- المالكي، ورّام بن أبي فراس، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، ناشر: دار الكتب الإسلامية، المطبعة: حيدري - طهران، سنة الطبع: ١٣٦٨ ش، ط ٢.

٦٧- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ط ٢.

٦٨- محمد بنجدي، العلاقات الجنسية والعاطفية في العالم الافتراضي دراسة سوسيولوجية، نشر: مطبعة الاقتصاد - أكادير، سنة ٢٠٢٠م، ط ١.

٦٩- محمود عبد الرحمن عبد المنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهيّة، الناشر: دار الفضيلة.

٧٠- المدني، د. سليمان، السياسة والجنس، طبع ونشر: المنارة/ بيروت - الحمراء، ١٩٩٧م - ١٤١٨هـ، ط ١.

٧١- مرسي، عبد الحميد، العلاقات الإنسانية، الناشر: مكتبة وهبة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م. مطبعة: دار التوفيق النموذجية، الأزهر، ط ١.

٢٥٨.....العلاقات غير المشروعة

٧٢- المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، الناشر: مؤسسة

الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤١٧هـ، ط ١.

٧٣- مغنية، محمد جواد، التفسير الكاشف، دار العلم للملايين، بيروت -

لبنان، آذار ١٩٨١م، ط ٣.

٧٤- المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق:

مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع،

بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ط ٢.

٧٥- ميريام جروسمان، الإباحية ليست حلاً، ترجمة: وائل الهلاوي، نشر:

طبعة سطور الأولى، ٢٠١١م.

٧٦- ميشال فوكو، تاريخ الجنسية، استعمال المتع، ترجمة: محمد هشام،

الناشر: أفريقيا الشرق - المغرب، سنة ٢٠٠٤م.

٧٧- نادية هایل عبد الله العمرو، التفكك الأسري وعلاقته بانحراف الفتيات

في الأردن، (رسالة ماجستير)، جامعة مؤتة، سنة ٢٠٠٧م.

٧٨- النعيمي، طارق كمال، سيكولوجية الرجل والمرأة، نشر: دار إحياء

العلوم/ بيروت، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، ط ١.

٧٩- النيسابوري، محمد بن القتال، روضة الواعظين، تحقيق وتقديم: السيد محمد

مهدي السيد حسن الخرسان، الناشر: منشورات الشريف الرضي - قم.

- ٨٠- الهواري، ازدهار خلف، الهبارنة، نجاح حسين، العوامل المؤدية إلى التفكك الأسري وانحراف الأحداث في المجتمع الأردني. (مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد ١٨٦ الجزء الثاني، أبريل سنة ٢٠٢٠م).
- ٨١- المقدسي، عبد الله بن أحمد، كتاب التوابين، تحقيق وتعليق: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٨٢- يوسف مراد، سيكولوجية الجنس، نشر: دار المعارف، القاهرة، ط ٢.

مصادر على شبكة الإنترنت

- ١- التوراة والإنجيل، موقع arabicbible
- ٢- الثورة الجنسية، ويكيبيديا، <https://ar.wikipedia.org/wiki>
- ٣- مقال منشور على الإنترنت تحت عنوان: سيف الحب: ثورة (الهيبيز) التي أعاد فشلها صياغة شكل العالم. <https://manshoor.com/politics-and-economics/summer-of-love>
- ٤- مقال منشور تحت عنوان: (٤٣٪ من أطفال أوروبا وُلدوا خارج إطار الزواج). <https://www.aljazeera.net/news/miscellaneous/2018/8/9/43>

٥- جين جودال - ويكيبيديا.

<https://ar.wikipedia.org> › wiki

٦- حسين قمبر، زنا المحارم في مجتمع القروء، مقال منشور على الإنترنت.

http://h-qamber-gis.blogspot.com/2017/06/blog-post_29.html

٧- الحيوانات والنباتات ترفض زنا المحارم. مقال منشور على موقع (الشروق).

<https://www.echoroukonline.com>

٨- أشهر حالات زواج وعلاقات قربى في التاريخ، مقال منشور على الإنترنت.

<https://dkhlak.com/incest-stories-throughout-history>

٩- زواج الأقارب وتشوّه الجنين، مقال منشور على الإنترنت.

<https://www.alukah.net/culture/0/124078>

١٠- الأناضول، كلنا إدريسا.. تضامن واسع مع لاعب سنغالي بفرنسا رفض دعم المثليين

<https://www.aa.com.tr/ar>

١١- المرجع الإلكتروني للمعلوماتية، تخطيط المجال المغناطيسي.

<https://almerja.net/reading.php?i=2&ida=1769&id=705&idm=35807>

١٢- إسماعيل عرفة، الشذوذ الجنسي... سلوك مكتسب أم جينات لا نتحكم بها؟ مقال منشور على الإنترنت.

<https://www.aljazeera.net/midan/intellect/sociology>

١٣- العين الإخبارية، جذري القروود والمثلية الجنسية. ما العلاقة؟

<https://al-ain.com/article/monkeypox-and-homosexuality-the-relationship>

١٤- الطب والصحة، ما هي فوائد الصيام للجنس؟

<https://mo5talfoon.com>

١٥- فوائد الصيام الصحية للجنس.

<https://www.grbha.com/health-benefits-of-fasting-for-sex>

١٦- شبكة الألوكة، مخاطر مشاهدة الأطفال للمواد الإباحية: شهادة الغرب على نفسه.

www.alukah.net/culture/0/27100

١٧- موقع سماحة المرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني، الاستفتاءات، التحدّث مع الأجنيبي.

<https://www.sistani.org/arabic/qa/0410/>

محتويات الكتاب

١١	مقدمة المؤسسة
١٢	(مؤسسة الخلق العظيم) ودوافع تأسيسها
١٣	رؤية المؤسسة
١٣	أولاً: فطريّة الميل الأخلاقي وإلهيته
١٤	ثانياً: تكامل النظام الأخلاقي في الإسلام
١٥	ثالثاً: محوريّة الإنسان في الأخلاق
١٦	أهداف المؤسسة
١٨	مشاريع المؤسسة
١٨	١- موسوعة المواعظ الحسنة
١٩	٢- موسوعة الأخلاق الإسلامية
١٩	٣- ترجمة التّاجات الأخلاقية
٢٠	٤ - موسوعة التراث الأخلاقي
٢٠	٥ - إعداد مناهج دراسية أخلاقية
٢٠	٦- الأدب الأخلاقي
٢١	٧- تحقيق التراث الأخلاقي وتدوينه
٢٢	٨- مجلة الخلق العظيم

٢٦٤.....العلاقات غير المشروعة

٩- تأليف سلسلة الفضائل والردائل ٢٢

١٠- إقامة المؤتمرات والملتقيات والندوات الأخلاقية ٢٢

١١- المشاريع الإعلامية ٢٣

١٢- إقامة دورات في الأخلاق الإسلامية ٢٣

١٣- المكتبة الإلكترونية الأخلاقية ٢٣

هذا الكتاب ٢٤

المقدمة ٢٧

تمهيد ٣١

١- العلاقة: لغةً واصطلاحاً ٣١

٢- المشروعة: لغةً واصطلاحاً ٣٢

الفصل الأول

طبيعة العلاقات في المجتمع الإنساني

العلاقة مع الجنس المائل ٣٨

العلاقة مع الجنس المغاير ٤١

خصائص الرجل والمرأة ٤٤

الأول: الخصائص الجسميّة ٤٤

١- الوزن ٤٤

٢- الطول ٤٤

٣- القوّة العضليّة ٤٤

٢٦٥	 محتويات الكتاب
٤٥	٤- سرعة النمو والنضوج
٤٥	٥- كثافة الدم
٤٥	الثاني: الخصائص الحسيّة والحركيّة
٤٦	الثالث: تركيز الرجل وتوسعية المرأة
٤٧	أنماط العلاقات بين الرجل والمرأة
٤٨	١- العلاقة مع المحارم
٥٥	٢- العلاقة مع غير المحارم
٥٨	ميادين العلاقات
٥٩	١- البيت
٦٠	٢- أماكن الدراسة
٦٤	٣- مواقع التواصل الاجتماعي

الفصل الثاني

نشوء العلاقات غير المشروعة ومراحل تطورها

٧١	المبحث الأول: نشوء العلاقات غير المشروعة
٧٢	الإجابة غير الدينية:
٧٧	الإجابة الدينية:
٨٠	المبحث الثاني: العلاقات الجنسية في الحضارات القديمة
٨٠	١- شريعة السومريين

٢٦٦.....العلاقات غير المشروعة

٢- شريعة البابليين ٨١

٣- شريعة الآشوريين ٨٢

٤- مصر القديمة ٨٣

٥- الحضارة اليونانية ٨٤

٦- الحضارة الرومانية ٨٥

المبحث الثالث: العلاقات الجنسية في الأديان الإبراهيمية ٨٨

المبحث الرابع: عوامل الانحراف الأخلاقي في المجتمع الغربي ٩٢

الفصل الثالث

مفهوم الانحرافات الجنسية وأسبابها

المبحث الأول: معنى الانحراف الجنسي ٩٩

المبحث الثاني: أسباب الانحرافات الجنسية ١٠٧

١- التقليد ومحاكاة الغير ١٠٩

٢- الانسياق وراء الشهوة ١١٩

٣- تفكك الأسرة ١٢١

٤- ضعف الوازع الديني ١٢٣

٥- المواقع الإباحية ١٢٦

٦- مواقع التواصل الاجتماعي ١٣١

٧- الشعور بالحرمان الجنسي ١٣٣

- ٨- الأفلام والمسلسلات ١٣٦
- ٩- القصص المثيرة ١٤٠
- ١٠- الشعور بالإحباط والخيبة ١٤٢
- ١١- السكر والمخدرات ١٤٤
- ١٢- البيئة والتنشئة غير المناسبة ١٤٥
- ١٣- الفراغ والراحة ١٤٨
- ١٤- أسباب حيوية ١٤٩
- ١٥- الدوافع الاقتصادية ١٥١

الفصل الرابع

أنواع الانحرافات الجنسية وتداعياتها وتأثيراتها

- المبحث الأول: أنواع الانحرافات الجنسية ١٥٥
- ١- الممارسة الجنسية مع الجنس الآخر، أو ما يُسمى بـ (الزنا) ١٥٥
 - ٢- الممارسة الجنسية مع نفس الجنس، أو ما يُسمى بـ (المثلية) ١٥٩
 - هل المثلية الجنسية أمر طبيعي؟ ١٦٣
 - ٣- الممارسة الجنسية مع الحيوان ١٦٦
 - ٤- الممارسة الجنسية مع الذات / أو ما يسمى بـ (العادة السرية) ١٦٨
 - ٥- السادية والماسوشية ١٧١
 - ٦- ممارسة الجنس مع الدمى ١٧٢

٢٦٨العلاقات غير المشروعة

- ٧- ممارسة الجنس مع الموتى ١٧٤
- ٨ - ممارسة الجنس أيام الطمث ١٧٥
- المبحث الثاني: التداعيات والتأثيرات ١٧٨
- التداعيات الاجتماعية ١٨٠
- التداعيات النفسية والصحية ١٨٣
- التداعيات السياسيّة ١٩٤

الفصل الخامس

العلاقات غير المشروعة... المعالجات والمقترحات

- معالجات التخلص من العلاقات غير المشروعة: ٢٠٠
- الحلول الوقائية ٢٠١
- الخطوة الأولى: تجنّب مثيرات الشهوة ٢٠١
- ١- حرمة النظر ٢٠٢
- ٢- الحجاب ٢٠٥
- ٣- اللمس ٢٠٧
- ٤ - الخلوة ٢٠٨
- ٥ - محادثة الأجنبية ٢١٠
- ٦- التفكير والخيال ٢١٣
- ٧- البيئة المثيرة ٢١٦
- ٨ - مثيرات أخرى ٢١٩

٢٦٩	 محتويات الكتاب
٢٢٠	 الخطوة الثانية: الزواج
٢٢٣	 الخطوة الثالثة: العفة
٢٢٦	 الخطوة الرابعة: الصوم
٢٢٧	 الخطوة الخامسة: الوعي التام بمخاطر العلاقات المنحرفة
٢٣١	 الخطوة السادسة: تجنب الأطفال مشاهدة المناظر المثيرة
٢٣٤	 الحلول العلاجية
٢٣٥	١- الترغيب في التوبة.....
٢٣٦	٢- قطع العلاقات غير السليمة.....
٢٣٧	٣- الإيحاء الذاتي وتقوية الإرادة.....
٢٤٠	٤- تذكر الموت ونهاية الحياة وانقطاع اللذائذ.....
٢٤١	٥- الدعاء بطلب العون من الله.....
٢٤٢	٦- التفكير بعواقب الانحرافات الجنسية وتذكّر بعض القصص المؤلمة....
٢٤٣	٧- ملء الفراغ.....
٢٤٣	٨- ممارسة الرياضة.....
٢٤٤	٩- الاختلاط مع الآخرين وتجنب العزلة.....
٢٤٤	١٠- التواصل مع العلماء والاستفادة من إرشاداتهم.....
٢٤٥	١١- معاقبة الفاعل.....
٢٤٧	 الخاتمة:

٢٧٠العلاقات غير المشروعة

٢٤٩المصادر والمراجع

٢٥٩مصادر على شبكة الإنترنت

٢٦٣محتويات الكتاب